شبلي العيسمي

حزب البعث العربي الاشتراكي



مرحلة النمو والتوسع

١٩٤٩ - ١٩٥٨



الجزء الثاني





دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

١٩٨٧



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق ـ بغداد اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

شبلي العيسمي

حزب البعث العربي الاشتراكي

مرحلة النمو والتوسع

1949 ـ 1958

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة ١٩٨٧

مقدمة الطبعة الثالثة

بعد ما يقرب من ربع قرن على معظم الاحداث التي تناولها الكتاب يصبح النظر اليها، وتدوينها باسلوب تحليلي ونقدي اقل حرجاً، «واسهل التزاما» بالنظرة الموضوعية من جهة، واكثر فائدة وعبرة من جهة ثانية.

وانطلاقاً من ذلك فقد كان بودي، لو كان لدى متسع من الوقت، ان اعيد قراءته قراءة مستأنية ناقدة، في ضوء ما استجد من ملاحظات ومعلومات اعتقد تقدم بعض الايضاحات والتعليقات المفيدة لقضايا واردة فيه.

غير ان الرغبة في طباعته في الفترة التي لا املك فيها الوقت الكافي لتحقيق هذا الذي اود، حملني على الاكتفاء بهذه المقدمة الموجزة، واشير فيها الى ما يلي:

اولاً: ان لم يتحقق ما اشرت اليه في طبعة قادمة، فانني امل بان اتمكن من اصدار كتاب جديد يبرز فيه جانب المقارنه والنقد والتحليل بالنسبة للاجزاء الثلاثة من تاريخ الحزب والتي تبدأ من ١٩٤٠ الى ١٩٦٨م.

ثانياً ما تم بالنسبة لهذه الطبعة لا يتعدى تصحيح الاخطاء التي هي في معظمها مطبعية، مع بعض الايضاحات والتعليقات البسيطة، وضعتها في الهامش بين قوسين كبيرين للدلاله على اضافتها.

ثالثاً واخيراً فإنني اذ ارحب باي ملاحظة او نقد من القارئ الكريم لمضمون الكتاب استفيد منهما في طبعة قادمة، ارجو في الوقت نفسه ان يجد هو فيه بعض ما ينشده ويفيده.

بغداد / شباط / ١٩٨٧ شبلي العيسمي

مقدّمة

من باب التوضيح للنهج الذي سأتبعه هنا في تدوين الوقائع وعرضها أود ان أؤكد قناعتي بأن القيمة والفائدة من أي كتاب مرتبطتان بمدى ما تطرح وقائعه بحجمها الطبيعي من دون افتعال او انفعال ، وبالقدر الذي كانت تعنيه في الظروف التي وقعت فيها ، بعيدا عن مسالك التهوين والتهويل . كما أود أن أشير الى ان الاسلوب الذي يعمد لاجتزاء بعض العبارات والنصوص او انتقاء فقرات ايجابية او سلبية ، معزولة عن مجمل النص وروحه وحقيقة المعنى الذي قيلت فيه ، بغية البرهان عن وجهة نظر ثابتة معينة ، هو أسلوب خاطىء ، يسيء الى الحقيقة والتاريخ ولا يمت بصلة الى العلم والموضوعية ، لذلك او من اجل ذلك ، فانني سأبذل قصارى جهدي لعرض الاحداث في مرحلة النمو والتوسع من حياة الحزب بروح موضوعية ومن خلال ظروفها ومبرراتها والغاية الاساسية منها : ولتحقيق هذا الهدف اعتمدت اولا وقبل كل شيء على وثائق الحزب الصادرة

عن مؤتمراته القومية والقطرية ، وعن قياداته المسؤولة ، ومن خلال نشراته وبياناته الرسمية ، ولم أعمد الى ذكر الاشخاص الا بالقدر الذي اقتضته الضرورة .. كما ابتعدت عن الانزلاق وراء الجزئيات والتفاصيل ، وحاولت الاهتمام بما كان منها مهما وذا قيمة حقيقية في فهم طبيعة المرحلة ومناحي التأثير والتطور فيها ..

لقد سبق لي في الكتاب الاول أن اطلقت اسم المرحلة التأسيسية على الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٩ من حياة الحزب ، لانها كانت في السنوات الاولى تبشيرا بالمبادىء وبلورة لبعض المنطلقات الفكرية ، ومن ثم تثبيتا لوجوده الشعبي والسياسي والتنظيمي ، بالشكل الذي مكنه من عقد مؤتمره التأسيسي القومي الاول ، والاندفاع بعده بزخم ونشاط في سبيل النمو والتوسع ، وتحقيق ما يمكن تحقيقه من الاهداف . غير ان المرحلة التالية من حياة الحزب والممتدة ما بين عامي ١٩٤٩ – ١٩٥٨ تشير الى انه قد نما واتسع في حجمه وعدد اعضائه ، وفي وزنه الشعبي ، بالشكل الذي مكّنه من تحقيق خطوات عملية ملموسة في سبيل اهدافه ، وجعل تأثيره يتخطى نطاق القطر السوري ، ليمتد الى انحاء كثيرة من الوطن العربي، ولاسيما في الجناح الشرقي منه ..

وبما ان تاريخ الحزب في هذه المرحلة مرتبط بظروفها وأحداثها العامة ، ومتداخل بتاريخ النضال العربي ومتفاعل معه ، فقد جعلت الفصل الاول للحديث عن ظروف المرحلة وابرز أحداثها وسماتها ، وتضمن استعراض القوى السياسية والصراعات الداخلية والتنافس الدولي في المنطقة العربية .

ولكن ما ان انتقلت الى التفكير بتبويب الفصول الباقية من تاريخ الحزب ، بالصيغة الملائمة لعرضه ، حتى استبدت بي الحيرة .. على ان ما كان واضحا في ذهني منذ البداية ، هو ضرورة عرضه باطار قومي وليس من خلال ما كان يمارسه

الحزب من نشاط في كل قطر على حدة وذلك انسجاما مع وحدة نضاله ومنطلقاته القومية .. وهذا المبرر نفسه ، كان ايضا يلح علي لكي أعالج نضاله في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية في فصل واحد . باعتبارها اهدافا متداخلة متفاعلة ، وتشكل كلا موحدا مترابطا . ولكنني بعد لأي وتردد ، آثرت أن أفرد لكل واحدة منها فصلا خاصا بها من باب التبويب والتصنيف ، وأملا في أن يسهم ذلك بالقاء المزيد من الوضوح على موقف الحزب من كل هدف من هذه الاهداف الثلاثة الاساسية . وهكذا فان موقفه من المشاريع الوحدوية المختلفة والجامعة العربية ، ودعمه لنضال فلسطين والاقطار العربية الاخرى وبعض آرائه الفكرية في الوحدة ، وضعت في الفصل الثاني بعنوان «النضال في سبيل الوحدة» ..

أما مقاومته للانظمة العسكرية والرجعية والبوليسية ، وللاحلاف العسكرية ودعمه لسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وبعض مفاهيمه عن الديمقراطية ، فقد وضعت في الفصل الثالث تحت عنوان «النضال في سبيل الحرية» في حين يندرج في فصل «النضال في سبيل الاشتراكية» ما قام به وبذله من جهد ونشاط لتأميم بعض المرافق العامة وفي مقاومة الاقطاع والراسمالية ، وتحقيق مكاسب للطبقة الكادحة، مع الاشارة الى تكوينه الطبقي وبعض مفاهيمه عن الاشتراكية ، ثم موقفه من الماركسية والاحزاب الشيوعية .

ومن الجدير بالذكر ان الحزب بدأ يربط بين الوحدة والحرية والاشتراكية منذ عام ١٩٤٦ ، ثم تبلورت بشعار واحد في صيف ١٩٤٩ وبرز الاهتمام بهذا الترابط وضرورته في مرحلة النمو والتوسع .

وبعد ان فرغنا من الحديث عن الجانب النضالي والسياسي في الفصول السابقة ، انتقلنا في الفصل الخامس الى الكلام عن نشأة الحزب ونموه وكيفية انتشاره في الاردن والعراق ولبنان

ومصر وبقية الاقطار العربية الاخرى ، وانتهينا اخيرا الى الفصل السادس المتعلق بالجانب التنظيمي، ويشمل اهم القضايا والنواقص التنظيمية ، مع اشارة مقتضبة الى المؤتمرات القومية والقطرية والانظمة الداخلية ، بالاضافة الى مسألتي الدمج وحل الحزب وبعض البحوث النظرية في التنظيم .

وبعد : فانني أرجو ان يكون في هذا الجهد الشخصي المبذول ، ما يفيد القارىء ويحقق رغبته في التعرف على تاريخ البعث ، كحركة نضالية اضطلعت بدور كبير في حركة الثورة العربية المعاصرة .. فاذا تحقق رجائي هذا ورغبته تلك ، فبها ونعمت ، وإلا فحسبي من جانبي ، انني استهدفت ذلك وأردته.

بغداد ١٥ـ٤ـ١٩٧٧ **شبلي العيسمي**

الفصل الأول

ظروف المرحلة وابرز احداثها وسماتها

تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي في مرحلة النمو والتوسع الممتدة بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٨ هو جزء من تاريخ النضال العربي لهذه المرحلة ، **حيث تأثر بظروفها وأحداثها وأثر فيها وتفاعل معها وانفعل بها ، وتركت آثارها وبصماتها على العديد من مواقفه وأساليب عمله** .. من ذلك مثلا ان طبيعة الانظمة العسكرية التي ظهرت فيها ، وضعت الحزب امام ظروف ومعطيات جديدة ، وفرضت عليه استخدام اساليب في التنظيم والمعارضة لم تكن معروفة لديه في المرحلة السابقة ، فمارس العمل السري واتقنه وازداد الانضباط شدة والتنظيم دقة ، واضطر لاستخدام شيء من العنف في مواجهة التحدي

والارهاب ، فضلا عما كان فيها من فرز وكشف طبيعي للاعضاء المتميزين بالروح النضالية الصلبة .. ومن الامثلة على ذلك ايضا ان قيام حركة ٢٣ تموز (يوليو) في مصر عام ١٩٥٢ وتطور مواقفها السياسية باتجاه التلاقي مع حزب البعث العربي الاشتراكي ، دفع الحزب لطرح وحدة سورية ومصر وقيام اول وحدة حقيقية في تاريخ العرب الحديث . أما على الصعيد الدولي فان جهر الاتحاد السوفيتي ودول المنظومة الاشتراكية بدعم النضال العربي بصفقة الاسلحة التشيكية وفي اثناء العدوان الثلاثي،قد مهد الجو لاقامة علاقات ايجابية مع الاحزاب الشيوعية ..

ومن هنا تتبدى لنا الغاية والاهمية من تقديم صورة ، ولو كانت مختصرة ، عن ظروف المرحلة وأبرز احداثها السياسية ، لانها تلقي الضوء على مسيرة الحزب ومواقفه ، وتساعد على فهم وتفسير كثير من الوقائع والامور ، وادراك مدى الدور الذي اضطلع به الحزب ، ولاسيما في الاقطار التي كان يتعاظم فيها وزنه وتأثيره السياسي والشعبي .

- ١ -
القوى السياسية والصراعات الداخلية:

في اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، نمت الاستثمارات الزراعية والصناعات الاستهلاكية ، ولكن حبلها السري الذي يمدها بالحياة بقي متصلا بالخارج ، ولذا فان طبقة الاقطاع والبرجوازية التجارية في القطر السوري وفي الوطن العربي بصورة عامة ، رغم انتعاشها واستحواذها على مقاليد الحكم والسلطة بعد نيل الاستقلال الوطني ، بقيت تابعة سياسيا واقتصاديا للدول الغربية ذات النفوذ في المنطقة ، ولم تستطع التحرر من هذه التبعية فسلكت سبيل التسلط والاستغلال ،

وما لبثت ان انكشفت مسؤوليتها عن شيوع الفساد والتردي السياسي والاقتصادي ، وظهر عجزها عن مجابهة اسرائيل والضغوط الامبريالية . ورغم ان اساليب الديمقراطية الغربية التي اخذتبها عند ممارستها الحكم، يغلب عليها الشكل والمظهر، من دون الجوهر ، **فقد افادت الحركة الشعبية مما وفرته من حرية التظاهر وتشكيل الاحزاب ، وتمكنت بالتالي من ادامة الاتصال بالجماهير** والنشاط في صفوفها ، والعمل على توعيتها ودفعها لدعم طلائعها المنظمة الثورية . وفي هذه الفترة ايضا كانت قاعدة الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة آخذة في النمو والاتساع ، وازدادت نسبة المتعلمين المنحدرين من أصول فلاحية وعمالية ، وكثر عددهم في اجهزة الدولة وأتيح لبعضهم الالتحاق بالكليات والمعاهد العسكرية وفي صفوف الجيش الذي نما بدوره بسرعة كبيرة لضرورات المرحلة ، مما سيكون له تأثير كبير في مجرى الاحداث والتغييرات السياسية . وهكذا اخذ يتعاظم مع مرور الزمن دور الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة ، عندما تعمق واتسع وعيها الثقافي والقومي ، وعندما راحت تتبنى بشكل ما القضايا الوطنية ومطاليب الجماهير ، وتتبوأ مراكز قيادية مهمة في حركة المعارضة . وفي وضع كهذا كان من الطبيعي ان يتعمق التناقض ويشتد الصراع بين الفئات الحاكمة في الوطن العربي ، كممثلة لتحالف الاقطاع والبرجوازية ومتعاونة مع الرجعية والامبريالية من جانب ، وبين الجماهير الشعبية ومنها الطبقة الوسطى والبرجوازية الصغيرة من جانب آخر ..

وقد اتخذ هذا الصراع الطويل ، والمرير احيانا ، صيغا وأشكالا متعددة ، وانتهى بتحطيم شوكة الطبقتين الاقطاعية والبرجوازية وإزاحتهما عن مقاليد السلطة والحكم في العديد من الاقطار العربية ..

وبما ان تدخل العسكريين في شؤون السياسة والحكم ، تصاعد في القطر السوري ، ونظرا لما تركه هذا التدخل من انعكاسات ونتائج تعدت حدود القطر ، فان من المفيد ان نشير الى ان الانتخابات النيابية في سورية عام ١٩٥٤ ، كانت بداية لمرحلة جديدة اظهرت بما رافقها ونتج عنها ، نمو شعبية حزب البعث ونفوذه بسبب من تحمله العبء الاكبرفي الاطاحة بالنظام العسكري السابق الذي بلته القوى السياسية وابتلت به ، وذاقت منه الامرّين ، كما ظهر حرص هذه القوى ، بمختلف فئاتها على ممارسة الحياة الديمقراطية واستبعاد العودة لمثل ذلك النظام . ولكن هذا لم يؤد بها الى التضامن والاتفاق على العمل المشترك بالشكل الذي يعمق الحياة الديمقراطية ويرسخها، كما لم يدفع بها الى اهمال الجيش ومناصبته العداء ، ولم يدفع ضباطه وقادته في الوقت نفسه الى التخلي عن امور السياسة والاهتمام بما يفعله السياسيون .

ومن هنا استمر ظهور الكتل بين ضباط الجيش وراحت تمارس نوعا من التدخل والضغط ، وكان لبعضها صلة بالقوى السياسية القائمة ، تعززت من خلال الصراع والتنافس فيما بينها .. في حين كان بعضها الآخر مستقلا يعمل وفق مصلحته وتطلعاته الخاصة في تعزيز نفوذه والوصول الى مراكز القوة والسلطة . وتبلور الصراع في منتصف الخمسينات بين تيارين، استقطب احدهما القوى الرجعية والمحافظة ، وكانت مشدودة نحو العراق وتسعى لربط سورية بالغرب وبأحلافه كلما استطاعت الى ذلك سبيلا .. في حين استقطب التيار الثاني القوى التقدمية وعلى راسها حزب البعث ، وكان يسعى لتثبيت سياسة عربية متحررة تتمثل في تلك الفترة بتبني سياسة الحياد وعدم الانحياز ومقاومة حلف بغداد ، مع التطلع للاتحاد مع مصر . وتجدر الاشارة الى ان الشيوعيين ظلوا ايجابيين من هذا التيار وداعين له ، الى حين قيام الوحدة التي لم ترق لهم

فعارضوها . ويمكن القول بصورة عامة ان الصراع بين هذين التيارين اخذ طريقه الى العراق والاردن ومعظم الاقطار العربية مع اختلاف في الشدة والاسلوب بين قطر وآخر . «وغدت السيطرة على سورية مفتاح الصراع من اجل السيادة في المنطقة» (١) ، واستطاع التيار الثاني في القطر السوري ان يكسب الى جانبه جناحا من الحزب الوطني المحافظ وأن يقيم حكم «التجمع القومي» الذي تعززت قوته ورجحت كفته بسبب الاعلان عن فشل مؤامرة حلف بغداد على نظام الحكم في تشرين الثاني من عام ١٩٥٦ ومحاكمة السياسيين المشتركين بالمؤامرة من جهة .. وبسبب اشتداد تهديدات اسرائيل وضغوط الدول الغربية وتركيا على سورية ، مع اعلان مصر استعدادها للدفاع عنها ، من جهة ثانية . وبعد ذلك تصاعد المد الثوري التحرري بين الجماهير العربية وتسارعت الاحداث في اتجاه الوحدة بين سورية ومصر، وبلغ المد التحرري ذروته عند قيام الوحدة بينهما في عام ١٩٥٨ .

- ٢ -

التنافس الدولي في المنطقة العربية

خرجت بريطانيا وفرنسا من الحرب العالمية الثانية ضعيفتين مهيضتي الجناحين ، ورغم ذلك فقد عملتا على التشبث بمستعمراتهما والابقاء على نفوذهما السابق في العالم ، **بينما خرجت امريكا من الحرب يغمرها الزهو والتيه وتراودها أحلام التوسع والسيطرة ، فراحت تتصرف بمنطق الدولة العظمى**

---

١ ــ باتريك سيل ــ الصراع على سورية ، ص ٣٢٦ .

ومن موقع الشعور بأنها اقوى دولة في العالم ، وسارعت لرسم سياسة الامن الامريكي «التي تقضي بارسال قواتها لمواجهة الخطر قبل أن يقترب من ارضها» وما لبثت ان نصبت نفسها حارسة «للعالم الحر» ، ومارست دور الشرطي العالمي، وتورطت في حروب محلية في بقاع مختلفة من العالم بصورة سافرة مكشوفة احيانا ، ومستترة خفية احيانا اخرى (٢) .. مما أدى الى افتضاح دورها الحقيقي كأقوى وأبرز ممثل للاستعمار الجديد .

اما الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية ، فقد انصرفت أيديها الى ترميم آثار الحرب ، وبناء قواها الاقتصادية والعسكرية ، بينما اتجهت أعينها لمراقبة اهداف السياسة الغربية وأطماعها ، وما يحمله المستقبل في طياته من عوامل التنافس والصراع بين الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية . ومن خلال الاحلاف العسكرية التي نشطت امريكا وحليفاتها في اقامتها لتطويق الاتحاد السوفيتي ، والحيلولة دون انتشار الشيوعية وامتدادها، اخذ الصراع طريقه نحو الشدة والتصاعد، وبدأت مرحلة الحرب الباردة بين المعسكرين ، وجرى فيها التركيز على بناء القوة العسكرية وتطوير الاسلحة الاستراتيجية، حتى اصبح لهما من قوة التدمير ما يجعل الحضارة البشرية كلها اثرا بعد عين ، ولا يبقى بعدها غالب ولا مغلوب ، وهذا ما جعل الحرب النووية مستبعدة (لكنها غير مستحيلة)، وأبقى ميادين الصراع في حدود اقليمية محلية ، وضمن الاسلحة التقليدية .

في السنوات الاولى من الخمسينات قبلت امريكا بمشاركة بريطانيا وفرنسا في المنطقة العربية ، وتمثل ذلك في البيان الثلاثي عام ١٩٥٠ الذي نظم تصدير الأسلحة الى دول المنطقة

---

٢ ــ في كوريا وفيتنام وكامبوديا والشرق الاوسط .

لضمان الامن الداخلي والدفاع الخارجي ، واقامة شبكة دفاع جماعية مع الغرب ، حتى اذا ما اخفقت في جر الدول العربية الى هذه الشبكة الدفاعية تفردت بريطانيا وأمريكا باقامة حلف بغداد عام ١٩٥٥ «وأدى ادخال العراق كعضو مؤسس الى اثارة غضب مصر التي رأت في الحلف مؤامرة انكلو ـ امريكية لدعم العرش الهاشمي كزعيم منافس لها في العالم العربي .. وأثار ادخال باكستان حفيظة أفغانستان ، ناهيك عن وقع ذلك على الهند ، وأعلن الكرملين انه قناع لانشاء قواعد عسكرية على عتبته الخلفية» (٣) . والواقع **ان الدول الغربية كانت ولا تزال تهدف الى بسط سيطرتها الاقتصادية والاستراتيجية على المنطقة العربية وامتصاص ثرواتها وبخاصة البترول** ، كما تهدف من خلال السيطرة عليها الى التحكم بالمرور الى القارات الثلاث المتصلة بها ، ومنع الاتحاد السوفيتي من المرور الى جنوب آسيا وأفريقيا ، بالاضافة الى ما كانت تسعى اليه من تطويقه بحزام من حلف بغداد متمم لحلفي شمالي الاطلسي وجنوب شرقي آسيا .. غير ان الدول الغربية كانت تتنافس فيما بينها على بسط السيطرة والنفوذ في المنطقة العربية ، مما افاد الحركة الوطنية من جهة وأفاد الاتحاد السوفيتي من جهة ثانية ، اذ بدأ في هذه الفترة بتأييد القضايا العربية من خلال الصراع بين العرب واسرائيل ، وأقدم على خطوة جريئة عندما قدم صفقة من الاسلحة الى مصر في صيف عام ١٩٥٥ بناء على طلب من حكومتها ، ثم تبعتها سورية واليمن وأفغانستان ، **وبذلك اشتدت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي ..**

---

٣ ـ الصراع السوفيتي الامريكي في الشرق الاوسط ، تحرير : س. هورويتز (ط ١٩٧١) ترجمة آ. ر عرموش ، ص ٢٤ .

ومع تصاعد الهجوم على حلف بغداد والتمسك بسياسة التحرير وعدم الانحياز والتطلع لدعم الاتحاد السوفيتي ، اشتد التآمر على سورية من هذا الحلف ، وأعدت مؤامرة للاطاحة بحكومتها في الوقت الذي أعدت فيه خطة العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ . ولكن تبين بعد فشل العدوان ان امريكا لم تكن كارهة لهذا الفشل ، ان لم نقل انها كانت ترغب به ، لتحل هي محل بريطانيا وفرنسا بالسيطرة على المنطقة العربية .. ولهذا فقد سارعت في اوائل عام ١٩٥٧ بطرح نفسها راعية السلام فيها ، فأعلنت مبدأ ايزنهاور الذي استند الى الاعتقاد بأن فراغا قد حصل في المنطقة وعلى امريكا ان تملأه بدفاعها عن السيادة والسلامة الاقليمية «لاية دولة تطلب مساعدة ضد عدوان مسلح مكشوف تشنه أمة تسيطر عليها الشيوعية العالمية» . واستنادا الى هذا المبدأ انزلت امريكا قواتها في لبنان عام ١٩٥٨ رغم انه لم يكن ثمة اي تهديد من الشيوعية العالمية ، كما حل الاسطول السادس محل القواعد البريطانية والفرنسية في غربي السويس ، واستأجرت امريكا حق استعمال القواعد في مراكش وليبيا بالاضافة الى قاعدة الظهران في السعودية .

ولعب الاسطول السادس دور المعرقل لنشاط الاتحاد السوفيتي ، والداعم للخلف الاطلسي وللدبلوماسية الامريكية في المنطقة العربية بخاصة وفي البحر المتوسط بعامة .

غير ان هذه السياسة زادت من مخاوف الدول العربية المتحررة ، وأثارت الشكوك لدى الاتحاد السوفيتي ، فاندفع في تصعيد دعمه وتسليحه لهذه الدول . ومع مرور الزمن تقلص الوجود البريطاني والفرنسي في المنطقة العربية وحوض البحر الابيض المتوسط ، وأصبح الصراع الحقيقي بين الدولتين العظميين ، امريكا والاتحاد السوفيتي . غير ان الوجود السوفيتي في الخمسينات نما في المنطقة «لأن الغرب أيد العراق ضد مصر واقنعه بالانضمام الى حلف بغداد الشائن ، ودعم اسرائيل علنا،

وبذلك فشل الغرب الى حد ما بالاعتراف بقوة القومية العربية وأهميتها وطبيعتها اللاشيوعية اصلا» (٤) .

وفي ايلول من عام ١٩٥٧ اشتدت الحـــرب الباردة بين الدولتين وتبادل المسؤولون فيهما الاتهامات العلنية : فقـــال رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي «ان تركيا وضعت قواتها علـــى الحدود السورية للقيام بهجوم مخطط من الولايات المتحدة ... وحذر ان النزاع المسلح لن يقتصر على تلك المنطقة فقط» ..

ورد وزير خارجية اميركا «بأن تركيا هي التي في خطـــر باعتبارها مهددة من الجيش السوفيتي شمالا ، والتعزيـــز السوفيتي العسكري في سوريا جنوبا» (٥) .

اما الدول العربية التي أيدت مبدأ ايزنهاور ، وهي لبنـــان والاردن والعراق والعربية السعودية ، فقد كانت عاجزة عـــن مجابهة الشعارات التحررية المعادية للصهيونية والامبرياليـــة الامريكية ، **وتحول موقفها تجاه الجماهير والدول العربيـــة المتحررة الى موقف الدفاع عن النفس والى مجرد المحافظة على مواقعها وأنظمتها المهزوزة** ، بسبب من بقاء تعاطفها مع الغرب المعادي للعرب ، ولانكماش الجماهير عنها وضغطها عليها ..

ـ ٣ ـ

ابرز الاحداث السياسية:

اكمالا للصورة التي ذكرناها عن واقع القوى السياسيـــة

---

٤ ـ في : الصراع السوفيتي الامريكي في الشرق الاوسط . مقال بقلم جيفري كمب ص ٥٦ .

٥ ـ الصراع على سورية ـ باتريك سيل ، ص ٣٩٢ .

والصراع الدولي في المنطقة العربية ، نعرض بإيجاز في هـــذه الفترة ابرز أحداثها السياسية ، لعلائقها وتأثيراتهـــا المباشرة بنشاط حزب البعث ومواقفه السياسية والنضالية :

- في الثلاثين من اذار عام ١٩٤٩ وقع اول انقلاب عسكـري استولى على قمة السلطة في القطر السوري ، وكان فاتحـــة سلسلة طويلة من الانقلابات العسكريـــة في المنطقة العربية ، **كما ان السهولة التي تمت فيها بالنسبة لمعظمها لا تخلو من دليل على افلاس الحياة الديمقراطية الليبرالية التي ساد في ظلهـــا الفساد والاستغلال الطبقي ..**

وفي الوقت الذي استطاع فيه بعض الانقلابيين ، فـــرض هيبة الحكم وتقوية الجيوش من حيث العدد والتسليح وانجاز مشاريع واصلاحات عمرانية ، الا انهم لم يستطيعوا ان يقيموا بديلاً عن الحياة الديمقراطية التي ألفوها ، نظاما راسخا وملائما، يشيع الاطمئنان والاستقرار ، ويتيح المجال لمشاركة الجماهـير وقواها الطليعية المنظمة .. بل ان ما جرى كان على العكس من ذلك ، حيث وقع صراع مرير بين الانظمة الانقلابية والمنظمات الشعبية السياسية ، انتهى بالاطاحة بنظام الشيشكلي فـــي شباط عام ١٩٥٤ ، وعودة الحياة البرلمانية ، ثم قيام حكـــم «التجمع القومي» بعد عامين وتميز كما اشرنا بتبنيه سياســـة الحياد وعدم الانحياز وبالتوجه نحو الاتحاد مع مصر . غير ان هذا الإنتصار على الانقلابيين في القطر السوري ، لم يكـــن انتصارا حاسما ، لأن العسكريين رغم تخليهم عن تسلـــم السلطة مباشرة ، فقد ظلوا مستمرين في ممارسة الضغـــوط والتدخل في شؤون الحكم والسياسة ، كما ظلوا قابضين على زمام الحكم ومراكز القوة في مصر وأقطار عربية اخرى .

- وفي ٢٣ يوليو (تموز) من عام ١٩٥٢ كانت مجموعة مـــن الضباط الاحرار في القطر المصري قد نجحت بالاستيلاء علـــى السلطة ، بعد ان تبين عجز الملك فاروق والفئة الحاكمة عـــن

تحقيق مطاليب الشعب بالسيادة الوطنية التامة ، وبعد ظهور فسادها وضعفها وفشلها في فرض الامن وهيبة الحكم ..

لقد اتجه النظام الجديد للاتفاق مع القوى السياسية في السودان ، لاخراج الانكليز منه وممارسة اهله لحق تقرير المصير .. وعندما جرت انتخابات المجلس التأسيسي في أواخر عام ١٩٥٣، فاز بالاكثرية الحزب الوطني الاتحادي ، المتعاطف مع وحدة وادي النيل .. ولكن الامور في فترة الانتقال ، سارت باتجاه معاكس لهذه الوحدة بتأثير السياسة البريطانية ، وتكتل القوى والاحزاب الرجعية «حزب الامة والحزب الديمقراطي الشعبي المنشق عن الوطني الاتحادي» ثم اصبح نظام الحكم في السودان جمهوريا مستقلا عام ١٩٥٥ ، وبعد ثلاثة أعوام تسلم الحكم ابراهيم عبود بانقلاب عسكري ، فحل الاحزاب والبرلمان وصادر الحريات العامة ، وعجز عن تحقيق اماني الشعب فسقط حكمه بانتفاضة شعبية عارمة وعامة في عام ١٩٦٤ .

– اما في العراق فقد اشتد ساعد الحركة الشعبية المناوئة للفئة الحاكمة المستبدة ، عندما استطاعت في عام ١٩٤٨ ، احباط معاهدة بورتسموث التي نصت على نوع من الدفاع المشترك بين بريطانيا والعراق مع ابقاء قواعد عسكرية لبريطانيا في الحبانية والشعيبة . وفي العام التالي طرح مشروع اتحادي بين سورية والعراق أدخل دول المنطقة في دوامة من المنازعات ، سنأتي على ذكرها في الفصل الثاني ..

ولكن الحركة الشعبية استمرت في النضال لجعل الانتخابات النيابية مباشرة ، ولتحديد الملكية الزراعية وتحقيق المزيد من التحرر والديمقراطية . وقويت شكيمتها بعد ان اخذ حزب البعث دوره الطليعي فيها ، عندما تصدى بجرأة وشجاعة للارهاب الذي فرضه نوري السعيد لتمرير حلف بغداد في عام ١٩٥٥ والذي كان من نتيجته عزل العراق عن المجموعة العربية..

وبما ان طبيعة البحوث في الفصول التالية تفرض علينا التعرض لأبرز الاحداث السياسية في الوطن العربي والتوقف عند بعضها وطرحه بشيء من التحليل والتفصيل ، فقد اصبح من الطبيعي الابتعاد عن تكرارها والاكتفاء هنا بالاشارة اليها بصورة عابرة على الوجه التالي :

- لم تكف دول الغرب الامبريالية طوال مرحلة الخمسينات عن محاولاتها ربط الدول العربية بأحلاف عسكرية فطرحت حلف الدفاع المشترك ، حتى اذا ما فشل طرحت حلف بغداد ثم مشروع دالاس ، فمشروع ايزنهاور . غير ان الجماهير والدول العربية المتحررة رفضتها وتبنت سياسة الحياد وعدم الانحياز وعمدت لايجاد «ميثاق الضمان الجماعي» في بداية المرحلة ثم (الميثاق الثلاثي العربي) بين مصر وسورية والسعودية في عام ١٩٥٥ . وعندما اشترت مصر وسورية الاسلحة التشيكية ، وكسرت بذلك الطوق المفروض من الغرب على العرب بالنسبة الى السلاح ، **وكذلك عندما انتقلت دعوة الحياد وعدم الانحياز الى مستوى الحكومات الرسمية ، وأخذ المد الثوري يتصاعد بقوة وسرعة في المنطقة العربية ، أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز عام ١٩٥٦** بينما اندفعت الدول الغربية بتهيئة العدوان الثلاثي على مصر وتنفيذه في ٢٩ تشرين الاول . وفي هذه الفترة اشتدت مقاومة الجماهير والاحزاب التقدمية للاحلاف العسكرية على امتداد الوطن العربي كله ، مما اضعف كثيراً من تأثير حلف بغداد ، وبخاصة بعد ان أحس المنادون به بالقلق والعزلة الشعبية ، وبعد ان فشلت زيارة تامبلر رئيس أركان الجيش البريطاني الى الاردن بغية جره الى هذا الحلف ، واضطر النظام الاردني بضغط الجماهير وقوى الجبهة الوطنية لرفضه والسير بركاب السياسة التحررية وطرد كلوب باشا القائد البريطاني للجيش الاردني ، والقبول بالمعونة المالية العربية كبديل عن المعونة البريطانية ، والغاء معاهدة ١٩٤٨ ، ولكن الملك

حسين ضاق ذرعا بنمو الحركة الشعبية ومطاليبها الآخذة بالتعمق والاتساع ، فانقلب عليها في نيسان من عام ١٩٥٧ وتحول في سياسته الى ما يعبر عن طبيعة نظامه الرجعي المتعاون مع السياسة الغربية ، واخذت امريكا تقدم له المساعدة المالية ، كما راح كبار المسؤولين فيها يصرحون عن استعدادهم لدعمه اذا تعرض للهجوم ..

- **ومن أبرز الاحداث التي جرت في نهاية المرحلة ، قيام الوحدة بين سورية ومصر في شباط من عام ١٩٥٨** ثم قيام الاتحاد الهاشمي كرد فعل عليها .. غير ان هذا الاتحاد سرعان ما انتهى بقيام ثورة ١٤ تموز في العراق التي قضت على النظام الملكي وحلف بغداد .. وعندئذ احست دول الغرب الامبريالية بخطر المد الثوري والوحدوي المتعاظم في المنطقة العربية ، **فأنزلت بريطانيا قواتها في الاردن ، بينما انزلت اميركا قواتها في لبنان لحماية الانظمة الرجعية المتعاونة معها** ، كما ركزت على دعمها العسكري للكيان الصهيوني بعد ان فشلت في فرض بعض المشاريع الاقتصادية والسياسية لمصلحته ، كمشروع جونستون في استغلال مياه نهر الاردن عام ١٩٥٤ .. ومنذ ان وقّع الحكام العرب في دول المواجهة ، الهدنة في اتفاقية رودس عام ١٩٤٩ ، والكيان الصهيوني يشجع على هجرة اليهود الى فلسطين ، ويمارس سياسة العدوان والتوسع من دون ان يأبه لمئات القرارات التي ادانته بها ، هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي ولجان الهدنة المشتركة ، وغيرها من المؤسسات الدولية .

- أما بالنسبة الى أبرز الاحداث في بقية الاقطار العربية ، فقد كان حكام اليمن في مرحلة الخمسينات يعيشون في عزلة عن الاحداث العربية الاساسية ويمارسون الحكم بشكل بدائي أشبه ما يكون بأنظمة العصور الوسطى .. وظهرت محاولتان

انقلابيتان ضد النظام ، احداهما في شباط عام ١٩٤٨ برئاسة الامير عبد الله بن الوزير باءت بالفشل ، والثانية في اذار عام ١٩٥٥ برئاسةالامير عبد الله أخ الإمام. ورغم انها انتهت ايضا الى الفشل ، الا انها دفعت المسؤولين عن الحكم الى الانفتاح على العالم العربي والخارجي الى الحد الذي وافقوا فيه على سياسة الحياد وعدم الانحياز ، والاعتراف بالصين الشعبية ، وعلى الارتباط مع الجمهورية العربية المتحدة بصيغة اتحادية واهية في اذار من عام ١٩٥٨ .. وخشيت بريطانيا من امتداد نفوذ اليمن الى سلطنات ومشيخات الجنوب ، فعمدت لفرض مشروعها باقامة «اتحاد الجنوب العربي» الذي سبق أن رفضته القوى الوطنية عند طرحه في عامي ١٩٥٣ و١٩٥٦ ، ولكن **الحركة الوطنية صعدت معارضتها للسياسة البريطانية ولجأت الى الثورة المسلحة حتى تحقق لها النصر** . اما بالنسبة لباقي مناطق الخليج ، فقد ازداد اهتمام بريطانيا وأمريكا بها بعد اكتشاف النفط فيها ، واشتدت بالتالي محاولات التجزئة لها والسيطرة عليها .. ولكن هذا كله لم يمنع قيام حركات وطنية جريئة طالبت باصلاحات تقدمية ، وازالة النفوذ الاجنبي كما جرى في البحرين منذ عام ١٩٥٤ وبعده ، وكذلك قيام ثورات مسلحة في عمان وظفار .

وبانتقالنا الى اقطار المغرب العربي في مرحلة الخمسينات: نلاحظ انبريطانيا حاولت تقسيم ليبيا الى ثلاث مناطق (طرابلس وبرقة وفزان) ولكن الشعب قاوم ذلك الى ان تحقق له استقلال ليبيا في نهاية عام ١٩٥١ برئاسة الملك ادريس السنوسي ، غير ان الحكم اعتمد قبل اكتشاف البترول فيها على المساعدات المالية من بريطانيا وأميركا وفرنسا ، مقابل احتفاظ هذه الدول بقواعد ومطارات عسكرية في اراضيها .

وفي تونس لجأت الحركة الوطنية منذ عام ١٩٥٢ الى استخدام السلاح والعنف ، ولاسيما بعد اغتيال النقابي فرحات

حشاد .. وفي انتخابات عام ١٩٥٥ نجح ممثلو الحزب الدستوري الجديد وكان سكرتيره العام صالح بن يوسف الذي اختلف مع رئيس الحزب بورقيبة ، على اكتفائه بالاستقلال الذاتي ، واتباعه سياسة «خذ وطالب» التي تعتمد على أسلوب المفاوضة والمساومة .. وأخيرا نالت تونس استقلالها في اذار عام ١٩٥٦ ، مع بقاء بعض القواعد العسكرية فيها لفرنسا ، ولم تجل عنها القوات الفرنسية نهائيا الا في عام ١٩٦٣ .. وفي عام ١٩٥٧ خلع المجلس التأسيسي الباي محمد الامين وأصبح بورقيبة اول رئيس للجمهورية .

وعلى اثر اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد في مطلع عام ١٩٥٢ ، حرض حزب الاستقلال الاتحاد العام للنقابات في المغرب على الاضراب العام ، فعمدت السلطات الحاكمة لقمع التظاهرات وقتلت زهاء اربعة آلاف مواطن في الدار البيضاء ، واعتقلت الالوف من «قادة الحركة الوطنية» .

وفي آب من العام التالي اشتدت الاضطرابات عندما لجأت السلطات الفرنسية الى خلع السلطان محمد الخامس وابعاده مع عائلته الى جزيرة مدغشقر .. ولكنها اضطرت الى اعادته في عام ١٩٥٥ ، ومن ثم اتباع شيء من المرونة مع المغرب وتونس ، بعد نشوب الثورة في الجزائر ، بقصد التفرغ لهذه الثورة والقضاء عليها ..

وفي اذار من عام ١٩٥٦ نال المغرب استقلاله ، وأعيدت له منطقتا الريف وطنجة وأصبح عضوا في الجامعة العربية بعد عامين .. ولكن ما بقي من القوات الفرنسية في المغرب لم يجل عنه نهائيا قبل عام ١٩٦١ ..

كان حزب الاستقلال أبرز الاحزاب الشعبية في فترة الحماية ثم خرجت منه بعد الاستقلال عناصر يسارية وشكلت حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية .

أما موريتانيا التي سلخها الفرنسيون عن المغرب في بداية هذا القرن ، فقد نالت استقلالها الذاتي بعد استفتاء ايلول ١٩٥٨ ثم استقلالها التام في عام ١٩٦٠ ، وأصبحت جمهورية .

وفي الجزائر كان حزب الشعب الجزائري برئاسة مصالي الحاج يطالب بالاستقلال .

وفي تموز من ١٩٥٤ تشكلت جبهة التحرير الجزائرية . واشعلت الثورة المسلحة في أوائل تشرين ، وتشكلت حكومة في المنفى عام ١٩٥٨ .. وبسبب ما اظهره شعبنا العربي في الجزائر من بطولات ، وما قدمه من تضحيات قاربت المليون من الشهداء ، اضطرت فرنسا للاعتراف للجزائر بحق تقرير المصير بعد ان كانت مصرة على اعتبارها جزءا من فرنسا ، وبعد ان ايقنت ان قواتها ومن ورائها قوات حلف الاطلسي ، عاجزة عن اخضاع شعب صمم على نيل الحرية والاستقلال ، ثم عقدت اتفاقية ايفيان في اذار من عام ١٩٦٢ واعقبها الاستفتاء في تموز حيث اجمع الشعب على الاستقلال التام، وبذلك تحقق له ما اراد بعد مضي سبع سنوات على الثورة التي قدمت اروع الامثلة في الصمود والتضحية والعطاء ..

ـ ٤ ـ
بعض السمات لمرحلة الخمسينات

● بعد نشاط الدول الغربية الامبريالية في اقامة الاحلاف العسكرية ، واشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين ، ودخول السوفييت الى المنطقة العربية ، جرى انفتاح عربي ملحوظ على دول المنظومة الاشتراكية ، وحدث مد جماهيري وحدوي وثوري على نطاق واسع هدد الانظمة المحافظة بالانهيار ، ودفع الدول الامبريالية ، وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية ، لوضع ثقلها وتكثيف نشاطها في دعم الكيان الصهيوني ، وحماية الانظمة العربية الموالية لها ، فحققت نجاحا في هذا الصدد بانقلاب الملك حسين وبانحراف ثورة الرابع عشر من تموز عن

خطها الوحدوي ، وباجهاض الثورة الشعبيـــة في لبنـــان . وساعدها على ذلك ان القوى التقدمية (وبخاصة حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة ٢٣يوليو في مصر) **لم تستطع الوصول الى صيغة محددة وثابتة للعمل الجبهوي المشترك** ، والمـــؤدي لخلق حركة عربية واحدة تستقطب قوى النضال العربي وتشكل عامودها الفقري . وبدلا من ان يحدث هذا ، او على الاقل ، ان يعتبر عبد الناصر حزب البعث قوة اضافية وحليفة له ، عمد الى إضعافه والتفرد بالحكم والتوجيه ، انطلاقا من اعتقاده بأنه يشكل قوة منافسة له على قيادة الامة العربية وزعامتها .. وكان من الطبيعي ان يصاب المد الجماهيري بالجمود ثم بالتراجـــع والانحسار بعد النكسات التي حدثت في مرحلـــة الستينات ، وبخاصة بعد وقوع الانفصال وفسخ الوحدة الثلاثية الاتحادية عام ١٩٦٣ ، ثم هزيمة حزيران المنكرة .

● رغم ان قوة الحزب السياسية والشعبية نمت وتوسعت في هذه المرحلة ، وبالتالي زادت قدرته على التأثير بالاحـــداث السياسية ، وتحقيق خطوات عملية في طريق اهدافه ، ورغـــم كثرة النشرات التي تشخص بدقة نواقص التنظيم والعوامـــل اللازمة لتقويته ورفع مستواه ، فقد ظل دون المستوى المطلوب من القوة والتماسك ، **وظلت الهوة كبيرة بين اهدافه وشعبيته الجيدة من جهة، وجهازه التنظيمي كأداة للتنفيذ من جهة ثانية..** وهكذا فبدلا من ان يحصل التكافؤ بين الاهداف والتنظيم او بين الغايات والاداة ، ليستمر الحزب في طريق الصمود والصعود ، حصل نوع من الخلل والتفاوت ، فناءت الاداة بعبء الغايات ، ولم يستطع الحزب ان يحقق منها كل ما كان يصبو اليه .

● ان الحزب واجه أوضاعا وحالات جديدة من العمـــل والنضال ، لم تكن معروفة لديه في المرحلة السابقة ، **كالاشتراك في الحكم وزيادة الاهتمام بالانتخابات النيابية واللعبة البرلمانية ،**

وعدم الاستقرار على موقف واضح ومدروس من الانقلابات العسكرية ، ومواجهة الانظمة الديكتاتورية بأساليب جديدة من المقاومة استدعت الاهتمام بدقة التنظيم والعمل السري والتدريب على السلاح واستخدام بعض أشكال العنف .

● هذا ويمكن القول بصورة عامة ان الحزب في نشأته الاولى في اي قطر ، اي **عندما يكون حجمه صغيرا وتأثيره محدودا ، يهتم بالقضايا القومية اكثر من أهتمامه بالقضايا القطرية والمحلية** ، في حين يزداد اهتمامه بهذه القضايا الاخيرة مع نمو عدده وزيادة تأثيره وتأثره بالاحداث السياسية المحيطة به .. ولئن كان هذا امرا طبيعيا الى حد كبير ، فقد كانت ترافقه او تنشأ عنه احيانا بعض الظواهر المرضية كالفردية والانشداد الزائد للاوضاع القطرية والمبالغة في المرونة والتاكتيك على حساب الاستراتيجية والاهداف المبدئية ، ولاسيما عندما لا تتوفر للحزب قيادة قومية مركزية فعالة ، من حيث الاشراف والتوجيه ، وفي التخطيط والمتابعة .. كما ان هذه الظواهر المرضية نفسها كانت من العوامل المهمة في تنبيه قواعد الحزب ودفعها لايجاد قيادة قومية فعالة قوية ، تعمل بصلاحيات واسعة وفق مبدأ المركزية الديمقراطية ، من اجل المحافظة على وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية .

● رغم ان التركيز على مسألة الترابط بين الوحدة والحرية والاشتراكية كان في مرحلة الخمسينات ، اقوى منه في المرحلة السابقة ، الا ان قيادة الحزب **عندما طرحت شعار الوحدة بين مصر وسورية لم تتوقف من الوجهة العملية عند هذه المسألة ولم تفطن لضرورة توفير الديمقراطية والاشتراكية لهذه الوحدة المنشودة ، وراحت تعبىء الجماهير** من اجلها بأسلوب يغلب عليه طابع العفوية والحماسة والتفاؤل الذاتي .. وسنتعرض الى ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الثاني ..

● **وأخيرا يمكن القول ان الحزب كالكائن الحي الذي ينمو**

ويتطور ، فيرافق ذلك بعض الازمات والصعوبات، ولكنه يكتسب الكثير من تجاربه ومن مواطن الخطأ والصواب في مسيرته .. وسنحاول قدر المستطاع ان نشير في الفصول القادمة الى ملامح التطور وسماته في حياة الحزب النضالية والسياسية والفكرية والتنظيمية ، وذلك بالاستناد الى الوقائع والنصوص المستمدة من تراث الحزب . ولعل العبارة التالية من نشرة داخلية في عام ١٩٥٢ تعبر عما نود الاشارة اليه وهي «ان العفوية التي هي صفة الحزب وفضيلته وقوته في مرحلة التكوين ، يجب ان تنتهي بانتهاء هذه المرحلة بعد ان استنفدت أغراضها جميعا .. فالحزب كائن حي ينمو ويتطور ، ويخرج من مرحلة ليدخل في اخرى جديدة .. وعندما يبلغ أشده ينبغي ان تنقلب فيه العفوية الى وعي ، والبراءة الى ذكاء والفوضى الى نظام ويجب ان تحل النظرة الموجبة المرشدة له في نضاله ، محل الاجتهادات والاختبارات .. والنهج الحزبي محل الارتجال اليومي . اننا نعتبر الحزب قد قطع مرحلة التكوين منذ عدة سنين وان فيه الاستعداد الكامل للتخلص من صفات وعقلية تلك المرحلة..»(٦).

● بالرغم من اعتماد الاستعمار الغربي على أحدث الوسائل وأخبثها لترسيخ سيطرته على اقطار المغرب العربي ، وبخاصة محاولاته طمس اللغة العربية والتراث العربي ، واستخدام سياسة التجهيل والعزل الفكري والسياسي وتعميق الاوضاع القطرية والاقليمية ، وبالرغم من ان الحركات الوطنية في تلك الاقطار كانت مشدودة الى هدف الاستقلال والتحرر من دون الوحدة ، فقد ظل التعاطف العربي العام مع هذه الحركات

---

٦ ــ النشرة الداخلية ، القطر السوري ١٩٥٢ . أعيد نشرها في ابحاث في التنظيم الحزبي ــ مكتب الثقافة والاعداد الحزبي ، القطر اللبناني ١٩٦٠ ، ص ٢٥ .

بالاضافة الى الدور الايجابي الذي اضطلع به الاسلام في دفع الجماهير للتمسك باللغة العربية ، لغة القرآن ، وبالتراث العربي الاسلامي، من العوامل الاساسية في احباط مخططات الاستعمار الرامية لخنق الفكرة العربية في اقطار المغرب العربي ، هذه الفكرة التي اخذت تتقوى وتتعزز بعد مرحلة الاستقلال الوطني والانضمام الى الجامعة العربية ، ونجاح معركة التعريب ونمو الوعي القومي لدى الجماهير ، وتبنيها لقضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى .

الفصل الثاني

النضال في سبيل الوحدة

- ١ -
موقف الحزب من المشاريع الوحدوية قبل ١٩٥٦

كان الحزب منذ نشوئه يشدد على الفكرة القومية وعلى الوحدة العربية كتجسيد عملي لها ، وبرز ذلك بمناسبة تحركه لدعم ثورة مايس (ايار) في العراق عام ١٩٤١ ، ولدعم الحركة الوطنية في لبنان بعد عامين ، وبعد اعلان ميثاق الجامعة العربية في عام ١٩٤٥ ، حيث اهتم به وأبدى رأيه فيه بقوله «انه صورة ناقصة مشوهة لأماني العرب الحقيقية في الوحدة ، لانه صادر عن حكومات ، هي صورة ناقصة ومشوهة لحقيقة الشعب

العربي . ولكنه رغم جميع علله ونواقصه قادر على تحقيق بعض الخير للعرب ، فيما لو استطاعت الحكومات ان تخلص له وتفيد من جميع امكاناته» (١) .

ويمكن القول **بصورة عامة ان الحزب في المرحلة التأسيسية كان يؤيد اية خطوة وحدوية من الناحية المبدئية ، من دون ان يكون له فيها دور مخطط وفاعل** ، فهو مع وحدة وادي النيل ، ومع استقلال امارات الخليج واتحادها بأقطار عربية اخرى ... وهو ايضا مع مشروع سورية الكبرى المطروح عام ١٩٤٥ اذا حافظ على عروبة فلسطين والنظام الجمهوري ، وتم برضى الشعب وحقق المصلحة العربية العليا ... الا انه اضاف « ان الخطوة الجدية الحاسمة في طريق هذه الوحدة هي توحيد سورية والعراق» (٢) .

ولكن عندما طرح ذلك المشروع مرة اخرى بعد عامين ، عارضه الحزب بسبب «انتقاص المعاهدة البريطانية الاردنية من استقلال الاردن ، وبسبب حرص سوريا على مبدأ الجمهورية» (٣) .

وفي نهاية الاربعينات ، طرح الحكام مشروعا اتحاديا بين سورية والعراق ونشطت من اجله القوى السياسية في البلدين، وانقسمت بين مؤيد له ومعارض .. ودخلت في مهاترات

---

١ ـ افتتاحية البعث ١٢ـ٨ـ١٩٤٦ ، العدد ٢٩ بقلم الاستاذ ميشيل عفلق .

٢ ـ نضال البعث الجزء الاول طـ٣ ص ٨٥ من بيان للحزب بتاريخ ١٤ـ١٢ـ١٩٤٥ .

٣ ـ نضال البعث الجزء الاول طـ٣ ص ٢٠٦ . من بيان لمجلس الحزب المنعقد في ١٩ و٢٠ـ٩ـ١٩٤٧ ، ونشر في جريدة البعث في ١١ـ١٠ـ١٩٤٧ .

وصراعات حادة لبست لبوس الدفاع عن الوحدة عند بعضها ، وعن الجمهورية والحرية عند بعضها الآخر ، مع انها استهدفت ، بالنسبة لأكثرهم ، الوصول الى السلطة ، وكان فيها للسياسة العربية والدولية أثر ملحوظ .. أما الحزب فقد أوضح رأيه بهذا المشروع بشيء من التفصيل والتحليل لاول مرة في بيان أصدره في التاسع من كانون الثاني عام ١٩٥٠ (٤) ، فأشار الى ان مسألة الاتحاد المطروح تخفي وراءها صراعا بين فئتين :

احداهما مرتبطة بحكام العراق المتمثلين بطبقة الاقطاع والمرتبطين بعجلة السياسة البريطانية والراغبين بازالة النظام الجمهوري في القطر السوري ، ومن ثم تمكين سيطرتهم عليه ، ومد النفوذ البريطاني اليه . اما الثانية ، (فلا تتورع عن بيع ضمائرها وتبني وجهة نظر المستعمرين في معاكسة الاتحاد بغية الوصول الى الوزارات والمنافع الشخصية ...)

هذا فضلا عن ان بعض الحكومات العربية تقف بدافع الانانية والتنافس على الزعامة مع الدول الاجنبية ، في السعي لإبقاء الوضع الراهن فيسورية على ما في بقائه من شرور وأخطار... ثم ان الحزب لم يقف عند فضح هاتين الفئتين بل دعا «العناصر المخلصة البعيدة عن الايحاءات والمؤثرات الاجنبية لكي تلتف حوله وتقف معه صفا واحدا في وجه كل محاولة استعمارية ، ولترجع الى الشعب ثقته بأهدافه القومية وثقته بامكان بلوغها، دون ان يكون مطية للمصالح الاجنبية وللسياسيين المأجورين». ثم لخص وجهة نظره على الوجه التالي :

«مع اعتبار الاتحاد بين سورية والعراق الخطوة الاولى العملية نحو الوحدة العربية ، نظرا لتوافر الشروط الجغرافية والاجتماعية والقومية من جهة ، ونظرا للضرورة القومية التي

---

٤ ــ راجع نضال البعث الجزء الثاني ط٣ ، ص ٤٥ ــ ٤٩ .

يفرضها خطر الدولة اليهودية من جهة اخرى ، يعتبر الحزب ان تحقيق هذه الخطوة لا يؤدي الى الفائدة المرجوة في الظرف الحاضر ، الا اذا توفرت فيه ضمانتان :

الاولى : قومية ، بأن يطمئن الشعب الى ان الاتحاد لن يفقده السيطرة علىمقدراته السياسية والاقتصادية والعسكرية، لمصلحة دولة اجنبية ..

لذلك يشترط الحزب ان تعدل المعاهدة البريطانية العراقية، بشكل يستكمل فيه العراق اسباب استقلاله، وأن يقتصر مفعول المعاهدة على العراق ، فلا يتعداها الى سورية ، وأن لا يؤدي التعاون العسكري ، الى تهديد استقلال الجيش السوري وسلامته ...

الثانية : تقدمية ، بأن يطمئن الشعب ، الى ان الاتحاد لن يكون وسيلة لاستثماره واخضاعه لسيطرة الطبقات الرجعية الاقطاعية . لذلك يشترط الحزب بأن يضمن بقاء النظام الجمهوري في سورية ، باتجاهه التقدمي الاشتراكي ، بشكل نهائي ثابت ، لا ان يكون مرحلة مؤقتة توصل الى الملكية بعد حين ، وهذا يستتبع ان تكون رئاسة الاتحاد بالتناوب بين سورية والعراق» .

ومن خلال هذين الشرطين **تتضح المحاذير والمخاوف التي كانت تساور الحزب ومعارضي المشروع المذكور .. كما ان الضمانات الواردة فيها جاءت معبرة عن وجهة النظر المبدئية للحزب اكثر مما هي معبرة عن امكانات التطبيق العملية .**

بعد فشل هذا المشروع طرحت عدة مشاريع وحدوية من جانب الحكام العرب . فالملك عبد الله دعا الى مشروع اتحاد كونفدرالي بين الاردن والعراق في حزيران عام ١٩٥٠، ولكن سرعان ما طوي بموته . كما طرح السيد ناظم القدسي رئيس وزراء سورية في أوائل ١٩٥١ مشروعا اتحاديا عربيا مستندا

الى ميثاق الجامعة العربية ، ويهدف الى توحيد الخارجية والاقتصاد والمرافق الرئيسية. وقد ابدى الحزب رأيه فيه بقوله «ان مذكرة الدكتور القدسي تعبير عن أمنية الشعب العربي في الوحدة اكثر منه مشروعا عمليا لتحقيقها . وكذلك فان من الخطأ اضاعة الوقت في البحث عن الوحدة بين اروقة الجامعة العربية التي تعمل سرا وجهرا لابقاء التجزئة ، وان أجدى سبيل لتحقيق الوحدة العربية هي في السعي لاقامة حكم شعبي في كل جزء من أجزاء الوطن العربي» (٥) .

وفي اوائل عام ١٩٥٤ ، عرض فاضل الجمالي رئيس وزراء العراق مشروعه عن (الاتحاد العربي) في اجتماع مجلس الجامعة العربية ، وينص على توحيد الدفاع والسياسة الخارجية والاقتصادية .. غير ان الجماهير العربية كانت تنظر الى هذه المشاريع بعين الشك والريبة من خلال الذين يطرحونها،لانهم معروفون بولائهم للسياسة البريطانية الاستعمارية .

وكان الحزب واعيا لحقيقة هذه المشاريع ومدى جديتها فقال : «.. ان الحزب يؤيد مبدأ الاتحادات بشكل عام من حيث انه خطوة نحو الوحدة ، ولكنه يعنى كذلك بأن يوجهه الوجهة الصحيحة التي تكمل نواقصه وتجعله اداة ضد الاستعمار بدل ان يكون اداة في يد الاستعمار» .. «ولكن الخطر في الامر ان يكون الجمالي وأمثاله غير جادين في الامر وانما يقصدون مجرد الاستهلاك المحلي» (٦) .

وقال ايضا : «ان هذه المشاريع الاتحادية ، مشاريع موهومة

---

٥ ـ المصدر السابق ص ١٢٧ .

٦ ـ المصدر السابق ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٩ ـ النشرة الداخلية للحزب في القطر السوري ، اوائل شباط ١٩٥٤ : مشروع الجمالي للاتحاد العربي ، وقد اعاد فرع الحزب في الاردن طبع هذه النشرة باسمه ايضا .

يقصد منها الدعاية ، كما يقصد منها خلق الانقسام والتفرقة في صفوف الشعب العربي في جميع أقطاره.. ان حزبنا الذي جعل الوحدة العربية هدفا اساسيا له قد سلك لها سبيلها الطبيعي وهو توحيد نضال الشعب العربي لتحقيق هذه الوحدة» (٧) .

وقال ايضا في وقت لاحق «ان الشعب لا يأخذ على بعض مشاريع الوحدة كونها رجعية ، بل كونها وهمية ، لان الوحدة والاستعمار متناقضان وما نشاهده ونعانيه في مرحلتنا الحاضرة خير دليل على ذلك» (٨) .

وقد اولى الحزب مشروع الجمالي عناية كبيرة فأصدر نشرة داخلية تناقش مواده وتحلل واقعه ودوافعه ، وموقف الحزب المبدئي والعملي منه .. ومما ورد فيها «ان مثل هذا المشروع لا يمكن ان يمر دون ان يجد العناية الكافية من حزب البعث الذي يجعل الوحدة احد أركانه الثلاثة التي يقوم عليها..

ان المشروع لا يبين موقفه من المعاهدات الثنائية المعقودة مع الدول الاجنبية ، ولا من شكل الحكم في الدولة المتحدة كما انه غامض من حيث وحدة السلطة التشريعية ، وفوق هذا كله فان مقدمه من المعروفين بممالأة نوري السعيد وأصدقائه المستعمرين .. لا شك اننا نقابل بالحذر كل الحذر مشاريع تصدر عن مثل هذه الفئات .. ولكننا اذا سرنا على المبدأ المغلوط القائل «يجب ان نرفض مثل هذه المشاريع لمجرد كونها صادرة عن أمثال هؤلاء» .. فواضح مثلا ان الامريكان يعارضون مثل هذا الاتحاد بل ويقاومونه كما يقاومه بعض البلاد العربية كالسعودية وسوريا .. أما الانكليز فيستدل من دعوة الجمالي

---

٧ ـ المصدر السابق ص٢٨٤ ، وصحيفة البعث العدد٦٣٢ (٢١ـ٨ـ١٩٥٤).

٨ ـ معركة المصير الواحد ص ٨٤ (تموز ١٩٥٦) .

للمشروع انهم يؤيدونه ويرغبون به ولكن ليس ثمة ما يؤكد هذا القول .. فالانكليز بقوا مدة طويلة يظهرون انفسهم على انهم مؤيدين لمشروع سورية الكبرى ايام الملك عبد الله ، ولكن ظهر فعلا ان سياستهم المطبقة لم تكن كذلك ، بدليل انه توفرت ظروف كثيرة لتحقيق ذلك فلم يفعلوا .. ان التحليل المنطقي للسياسة الانكليزية انها تكون راضية عن التصريحات والكلام حول هذه المشاريع بمقدار ما تؤدي هذه التصريحات وهذا الكلام الى خلق البلبلة في الصفوف العربية (٩) .

وأيا كان الامر فقد فشلت هذه المشاريع ولم تخرج الى حيز التنفيذ، فضلا عن ان السياسة الامبريالية كانت ولا تزال ترى من مصلحة الغرب ترسيخ التجزئة في الوطن العربي وتعميقها ، كي يسهل عليها استغلال خيراته وبخاصة البترول ، والافادة من موقعه الممتاز استراتيجيا وتجاريا .

بقي ان نشير في هذه الفقرة الى **موقف الحزب من مواثيق التضامن العربي : والى بعض مقترحاته العملية في سبيل الوحدة .**

ففي نشرة داخلية ورد (انه لا يجوز ان تظل الوحدة في حيز الاماني والاحلام .. وان الحزب لا يكتفي بترسيخ شعار الوحدة لدى الجماهير العربية ، وانما يناضل في الميادين الشعبية والبرلمانية والحكومية لدفع القضية خطوات الى الامام) وبهذا الاتجاه :

أ — تبنى الحزب مشروع الميثاق العربي الى الاتحاد السياسي والاقتصادي والعسكري بين أقطار عربية ثلاثة (مصر وسورية والسعودية) ، مع افساح المجال لضم الاقطار الاخرى المتحررة اليه .

---

٩ — نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٩ .

ب ـ وحين عملت الرجعية على عرقلة قرار الميثاق ، تبنى المواثيق العسكرية الثنائية كخطوة ضعيفة قاصرة مع استمرار السعي لتطويرها وتنمية اسباب الوحدة فيها .. [10]

وفي نشرة داخلية اخرى صدرت باسم المكتب الثقافي للقيادة القومية : ورد (ان الخطوة الايجابية الجديدة الوحيدة التي سارت على صعيد التوحيد العربي والتي أيدها حزبنا ودعمها هي خطوة الميثاق العربي .. فلأول مرة ظهرت في أقطار عربية أمكانية تحقيق خطوة توحيدية سليمة مستقلة عن تدخل الاستعمار ومصالح المستعمرين) [11] .. غير ان **الوقائع دلت فيما بعد على ان هذه المواثيق لم تعطِ المردود الذي كان متوقعا منها** . بل كان يتجمد مفعولها عندما تتبدل سياسة الحكام العرب في الاردن والسعودية باتجاه معاكس لسياسة التحرر والحياد التي استمرت عليها حكومتا مصر وسورية .. هذا ومما يسجل للحزب من مواقف عملية في دروب الوحدة ، انه اضطلع بدور اساسي في تثبيت الاتجاه القومي التقدمي في الدستور السوري عام ١٩٤٩ ، والنص على اعتبار الشعب في سورية جزءا من الامة العربية .. وللعمل على تحقيق الوحدة العربية .

وفي ايار من عام ١٩٥٦ ، كان الحزب قد تقدم بمشروع ميثاق لحكم قومي في القطر السوري .. وبعد تحليل الوضع السياسي الداخلي والعربي حدد أهم القضايا التي يجب ان

---

١٠ ـ نشرة داخلية من شعبة ادلب ـ نضال البعث، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٢٨ . ويذكر ان الميثاق الثلاثي كان في ١٢ـ٣ـ١٩٥٦ والثنائي بين سوريا والاردن في ١١ـ٤ـ١٩٥٦ . وفي نشرة حزبية عام ١٩٥٩ اشارت الى ان الحزب هو الذي اقترح عقد الميثاق الثلاثي .

١١ ـ موقفنا السياسي من الشيوعية ، كانون الثاني ١٩٥٦ ..

يتركز عليها النضال المرحلي في اطار الشعور بمسؤولية الحكم والمشاركة الفعلية في توجيه وقيادة السياسة السورية ..

ومما طرحه في سبيل الوحدة :

أ ــ اعلان الاتحاد بين القطرين السوري والمصري مع السعي لجعل الاقطار العربية قادرة على الانضمام اليه باعتباره نواة للوحدة العربية الشاملة ، وطريقا عمليا لتحقيقها .

ب ــ تحقيق الوحدة الثقافية والاقتصادية والتشريعية بين جميع الاقطار العربية بوصفها عاملا من العوامل المساعدة لتحريرها وتوحيدها .

ج ــ تحرير الجيش الاردني من القيادة البريطانية بتقديم المساعدة المالية له .

د ــ دعم نضال المغرب العربي في سبيل تحريره .. تحريرا كاملا وانضمامه الى الوحدة العربية الشاملة (١٢) .

وفي بيان حزبي لمرشحي الحزب لانتخابات الاردن في ايلول من العام المذكور نجد المقترحات التالية :

١ ــ قبول المعونة العربية كبديل للمعونة البريطانية .

٢ ــ تبني الاتحاد بين مصر وسورية والعمل لدخول الاردن في هذا الاتحاد .. والترحيب بالخطوات الاتحادية التي تمت بين الاردن وسورية (الميثاق الثنائي) وتطويرها لبلوغ هذا الهدف .

٣ ــ العمل لتحقيق وحدة جيوش الدول العربية المحيطة باسرائيل وحدة حقيقية .

٤ ــ المشاركة في العمل العربي المنظم لاخراج العراق من حلف بغداد .. والخروج بلبنان عن سياسته العربية المسماة بالحياد بين الصفين العربيين .

٥ ــ تأييد النضال العربي التحرري في الجزائر والمغرب

---

١٢ ــ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٥٠ ــ ١٥١ .

العربي بالمال والسلاح .

٦ ـ تأييد الوعي العربي المتفتح في شواطىء الجزيــــرة العربية والبحرين وعدن وتدعيمها ماديا ومعنويا (١٣) .

هكذا يتبينَ ان الحزب في مرحلة الخمسينات ، كان **يبادر لطرح شعارات ومقترحات وحدوية المضمون والاتجاه ، وقابلــة التنفيذ** .. بل ان بعضها قد تحقق بالفعل بتأثير نضاله والقوى الوطنية الاخرى ..

ـ ٢ ـ

نضال الحزب في سبيل الوحدة بعد ١٩٥٦

● ان الخطوة الوحدوية الجدية التي خرجت الى حيــــز التطبيق وكان للحزب فيها دور بارز وملحوظ من حيث التخطيط والتنفيذ ، هي وحدة سورية ومصر عام ١٩٥٨ .. وبما انها كانت اول تجربة وحدوية جدية في تاريخ العرب الحديث ، وكــــان الحزب والجماهير العربية تعلق عنيها آمالا عظيمة .. ونظـــرا لخطورة النتائج والآثار التي نجمت عن انتكاسها ، وللآثار التي خلفتها في مسيرة الحزب وفي حركة الثورة العربية ، فلا بد لنا **من وقفة عند الكيفية والمبررات والعوامل التي أدت الى قيامها ،** ومن ثم الى انتكاستها ، بعد ثلاثة أعوام ونصف ، مشيرين في ذلك كله الى مواقف الحزب ودوره في هذه التجربة .

---

١٣ ــ بيان البرنامج الانتخابي لمرشحي الحزب بالاردن في ايلول ١٩٥٦ . ومما يذكر ان الحزب اراد الاهتمام بالانتفاضات الشعبية التي جرت في الخليج وبخاصة في البحرين وكان للبعثيين فيها بعض النشاط والمشاركة في اطـار القوى الوطنية الاخرى .

١ ـ لقد كان موقف البعث من ثورة ٢٣ ـ تموز ـ يوليو في مصر موقفا سلبيا منذ قيامها عام ١٩٥٢ وحتى نهاية ١٩٥٤ ، وذلك لانها بدأت انقلابا عسكريا وراحت من خلال هذه الفترة تتعاطف مع النظام العسكري الذي اقامه الشيشكلي في سورية، وتستخدم العنف والبطش مع بعض العمال المتظاهرين (في كفر الدوار) ، ولأنها أبرمت اتفاقية عام ١٩٥٤ ، مع بريطانيا بصيغة تسمح للانكليز بالعودة الى قاعدة السويس عند مهاجمة قوة خارجية للبلاد العربية او لتركيا ، وبقاء فنيين بريطانيين في القاعدة لصيانتها . هذا بالاضافة الى غموض هويتها القومية وموقفها الخاطىء من الوحدة العربية . ومما ورد في جريدة «البعث» بهذا الصدد «لو ان حكومة الثورة كانت حكومة شعبية صادقة ، لكان في مقدورها ان تقوم بالدور الرئيسي في تحقيق الاتحادات التي هي الخطوات الطبيعية نحو الوحدة ، لا ان تلوذ بالسلبية والاستهتار تجاه موضوع حيوي كهذا ، كما يظهر ذلك على لسان رئيسها اذ يقول (انه لا يهمه ان تتحد سورية مع العراق او مع الاردن او حتى مع تركيا !) انه دليل جديد على ان رجال الحكم في مصر آخذون في الانسجام مع الفئات الحاكمة الاخرى المفروضة على الشعب العربي لتشويه اهداف هذا الشعب وعرقلة تحرره » (١٤) .

وفي رسالة وجهها الحزب في العراق الى رئاسة وزراء حكومة الاردن ورد ما يلي «وكنتيجة لهذا التهديد الشعبي الذي جعل كيان الاستعمار معرضا للانهيار وبقاءه مهددا بالزوال ، لجأ الاستعمار كعادته الى اساليبه المعروفة في الارهاب والتنكيل ، وفي تعطيل الحياة الديمقراطية ومصادرة الحريات

---

١٤ ـ البعث العدد ٥٦٥ في ٢٣ـ٥ـ٥٤ ، نضال البعث الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ . كان تصريح عبد الناصر المشار اليه بمناسبة طرح فاضل الجمالي مشروع الاتحاد العربي عبر الجامعة العربيه

العامة وحكم البلاد حكما بوليسيا رجعيا . وهذا هو عين ما نشاهده اليوم في وطننا العربي سواء في مصر على يد حكومة الضباط او في العراق على يد حكومة نوري السعيد او في الاردن على يد حكومتكم ..» (١٥) .

غير ان هذه النظرة السلبية اخذت تتلاشى بعد الخطوات الايجابية المتتابعة التي بدأت بها حكومة الثورة منذ منتصف الخمسينات وجعلت مسيرتها في خط متقارب مع السياسة التي سار عليها حزب البعث العربي الاشتراكي .

هذا وستتضح مسوغات ما جرى من تفاهم وتقارب بين الحزب وعبد الناصر من خلال الاجابة على النقاط التالية :

- لماذا اتجه الحزب الى تحقيق الوحدة بين سورية ومصر من دون الاقطار العربية الاخرى ..؟ وما هو موقفه من الاتحاد العربي بين العراق والاردن ..؟
- كيف كان الحزب يفهم وحدة سورية ومصر وكيف كان يريدها ..؟
- لماذا انتكست هذه التجربة وما هي مسؤولية الحزب والقوى الاخرى في ذلك ..؟

١ ـ بالنسبة للنقطة الاولى يمكن الاجابة عنها فيما يلي:

أ ـ لان حكومة الثورة في مصر تبنت على الصعيد الخارجي سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، ومقاومة الاحلاف ولاسيما حلف بغداد ، وجهرت بمحاربة الاستعمار والقوى الرجعية المتعاونة معه .. وكسرت احتكار الغرب للاسلحة بشرائها من المعسكر الاشتراكي .

وعلى الصعيد الداخلي اقدمت على اصدار قانون الاصلاح

---

١٥ ـ في ٣٠ـ١٠ـ١٩٥٤ ، نضال البعث الجزء الخامس ط٣ ، ص ٦٧ .

الزراعي بعد ان الغت النظام الملكي ، ونصت في الدستور المصري ، ولاول مرة ، على ان مصر جزء من الوطن العربي ، وشعبها جزء من الامة العربية ثم وجهت اجهزة إعلامها نحو تعزيز الدعاية للقومية العربية المتحررة ، ومن ثم أممت قناة السويس .

وعلى الصعيد القومي ، تجاوبت مع فكرة الاتحاد بين سورية ومصر والتي طرحها الحزب ، وأظهرت استعدادها لدعم النظام التقدمي في سورية ، في الوقت الذي اشتدت فيه ضغوط الامبريالية وحلف بغداد وتركيا عليه ، وتكررت مؤامرات الاطاحة به .

ب ـ حماسة الجماهير في القطر السوري، وفي طليعتها حزب البعث العربي الاشتراكي، لأي خطوة وحدوية ، وحرصه الشديد على جذب مصر وربطها ربطا قويا بتيار العروبة ، باعتبارها اكبر قطر يتمتع بثقل سكاني وحضاري وجغرافي مؤثر على مستقبل الوحدة وفيها تيارات فرعونية واقليمية وانعزالية ناشطة ، تغذيها اوساط رجعية وامبريالية قوية ، وهذه لا تضعف وتتراجع الا بقيام الوحدة . وبهذا الصدد يقول **الامين العام للحزب:** (وهذا التفاعل الذي جرى بين مصر التي كانت مغرقة في الانعزالية ، وبين الاقطار العربية الاخرى هو من الحوادث الخطيرة التي تدعو الى الاستبشار ، وليس لنا الا أن نشجع هذا التفاعل بكل قوانا) (١٦) .

جـ ان في تحقيق هذه الوحدة المحيطة بالكيان الصهيوني تعزيزاً لقدرة العرب على دفع عدوانه المتكرر، ومجابهة خطره المتفاقم بفعل الدعم المتعاظم له من الامبريالية الامريكية . ولكنها مع ذلك لو كتب لها البقاء بالشكل الذي اراده الحزب وتمناه ،

---

١٦ ـ معركة المصير الواحد ص ٤٦ .

لغدت نواة جذب واستقطاب للجماهير وطلائعها الثورية وبعض الانظمة العربية ، ولنمت قوتها بالشكل الذي يتعذر على اسرائيل ان تلحق ما ألحقته بالعرب من هزائم في الخامس من حزيران وبعده .

د ـ لايمان الحزب، بأن قيام الوحدة يشكل في حد ذاته (ثورة او محركاً قوياً لثورات متعاقبة) ، تمكن الحزب من تصعيد وتفجير الطاقات النضالية الكامنة للجماهير ، ولثقته بأن هذه الجماهير ، تشكل بدورها ضمانة كبرى لحماية الوحدة ورعايتها .. وقد بلغت حماسة الحزب لها وتفاؤله بنتائجها ، من القوة والاندفاع ، بحيث انه لم يفطن لبعض المحاذير والنواقص في صيغتها وفي طبيعة النظام الذي يشرف على تنفيذها ، وألح قادته على ابراز جوانبها الايجابية معتبرين «ان وحدة سورية ومصر ستكون وحدة سليمة من كل اثر استعماري ، ووحدة شعبية صحيحة تزخر بامكانات القوة والتحرر والبناء ، وتشكل نقطة جذب قوي يضمن لها في وقت قريب ان تسع الامة العربية جمعاء» [17] .

هـ ـ اما فيما يتعلق بالاسباب التي ادت استبعاد الوحدة بين سورية والعراق والاردن ، فتتلخص في ان السيطرة البريطانية على هذين القطرين ومن ثم ارتباطهما بعجلة السياسة الامبريالية ، كانا من أبرز الاسباب في ذلك . وفي هذا المعنى ورد في نشرات الحزب ما يلي (في اليوم الذي يتخلص فيه العراق من اوضاعه الشاذة لا يعود شيء أثمن من الاتحاد مع العراق) [18] .

---

١٧ ـ معركة المصير الواحد ص ٧٣ .

١٨ ـ المصدر السابق ص ٤٦ .

كما ورد في جريدة «البعث» «ان دعاة الاتحاد بين سورية والعراق يجهلون او يتجاهلون التناقض القائم بين وجود الاستعمار وامكانية الوحدة .. ربما يدّعون ان الاستعمار قد ولى من العراق ، ولكن احدا لن يستطيع ان ينكر ... بفضل حلف بغداد والاتفاقية البريطانية العراقية ... وجود الانكليز فيه كقوة عسكرية تذهب وتجيء في جميع انحائه وفي اي وقت شاءت وفي ايام السلم .. ووجودهم كمدربين واستشاريين في الجيش العراقي ، ووجودهم كشركاء في الدفاع عن العراق . ولا يستطيع احد ان يجهل او يتجاهل بعد ذلك تغلغل النفوذ البريطاني في العراق وهيمنته على السياسة العراقية الخارجية وفق أغراض الحلف ومصلحة بريطانيا ، وعلى السياسة الداخلية التي يجب ان توجه لقمع حريات الشعب الذي خالف ويخالف هذا الحلف وبصورة خاصة الاتفاقية التي ربطت مصير العراق بمصير الاستعمار البريطاني ، وبالتالي منعت قيام اي وحدة او اتحاد بين العراق وسورية» (١٩) .

و ـ **الاتحاد العربي بين الاردن والعراق** : عندما تملص قادة النظام في الاردن من سياسة الحياد والتحرر والتقارب مع سورية ومصر في منتصف عام ١٩٥٧ ، اتجهوا نحو السعودية والعراق والسياسة الغربية طلبا للدعم والحماية .

وما ان قامت الجمهورية العربية المتحدة ، واشتد حماس الجماهير لها في الاردن ، وفي مختلف الاقطار العربية ، حتى شعر حكام الاردن بأن الارض تميد تحت أقدامهم وان مصيرهم

---

١٩ ـ «البعث» العدد ٣ في ٤-٥-١٩٥٦ ، نضال البعث الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٤٦ .

اصبح على كف عفريت ، فتملكهم الخوف والقلق ، واتجهوا لاقامة (الاتحاد العربي) مع العراق بدوافع مختلفة اهمها :

ـ حماية النظام في الاردن ، والحيلولة دون انضمامه الى الجمهورية العربية المتحدة ، في الوقت الذي انتعشت فيه الحركة الوطنية ، ونشطت تسلم السلطة والتوجه نحو الجمهورية العربية المتحدة .

ـ اشاعة الالتباس واليأس في نفوس المواطنين العرب حول مشاريع الوحدة ومفاهيمها ، عن طريق الايحاء بأن هذا الاتحاد يحقق تطلعاتها نحو الوحدة ، وبذلك يختلط الحابل بالنابل ، وتلتبس الامور في الاذهان ، وهذا أخبث وسائل التضليل والتزييف لهدف الوحدة وعقيدتها وبالتالي لعرقلتها .

ـ دعم سياسة التعاون مع الغرب التي كان ابرز من يمثلها نوري السعيد ، والفئة الحاكمة في العراق ، يومذاك .

لقد كان من الطبيعي ان يتصدى الحزب لفضح هذا الاتحاد وكشف أغراضه وأهدافه اللاوحدوية . ومن يرجع الى بيانات الحزب ونشراته حوله ، يجد انه كان يتحدث عن الجمهورية العربية المتحدة بروح مفعمة بالثقة والامل ، وبأسلوب ينم عن ايمان تام بثورية هذه الخطوة وتقدميتها ، وبقدرتها على تحقيق اهداف الامة العربية ، بينما كان يرى في الاتحاد العربي ما يناقض ذلك ويتعارض معه .. ففي «الاشتراكي» مجلة الحزب الداخلية في العراق ، نجد الموازنة التالية : «كما ان قيام الجمهورية العربية المتحدة سيكون بداية المزيد من التماسك القومي والسير لتحقيق الوحدة العربية الشاملة ، وللمزيد من التقدم الاقتصادي والاجتماعي .. كذلك الاتحاد العربي سيكون بداية المزيد من التآمر على الوحدة العربية الكبرى ، وللمزيد من الخضوع للاستعمار وللاستغلال وللتبذير،

وللمزيد من الطغيان والارهاب وسلب الحريات» (٢٠) .

وعلى اي حال فان هذا الاتحاد لم يعمر اكثر من بضعة اشهر، حيث انتهى بقيام ثورة ١٤ تموز في العراق والاطاحة بنوري السعيد والنظام الملكي فيه .

لقد كان من المتوقع ان يتجه العهد الجديد بعد ثورة ١٤ تموز نحو الوحدة او الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، لو لم تنشط الامبريالية والقوى المعارضة لهذا الاتجاه ، وفي مقدمتها الشيوعيون وبعض مراكز القوة في الجيش من الذين كانوا يتطلعون الى الحكم ويتأثرون بالمغريات والضغوط التي تمارسها الامبريالية والرجعية العربية . هذا فضلا عن ان الحزب والقوى الوحدوية الاخرى لم تكن بعد ، قد بلغت من القوة التنظيمية والشعبية ومن التماسك ، بحيث تستطيع التغلب على القوى المعادية للوحدة .. ومن المفيد ان نذكر هنا فقرات من بيان اصدره الحزب في العراق ، يوضح موقفه وموقف القوى الاخرى في تلك الفترة ، ومما جاء فيه «ان الاهداف الرئيسية الكبرى لثورة تموز هي التحرر التام من الاستعمار والاصلاح الداخلي الاجتماعي والاقتصادي وتحقيق الوحدة العربية ..» ثم قال «لقد عملنا من اجل التفاهم داخل الجبهة الوطنية وأمسكنا حتى نعرف مواقف الفئات الاخرى التي طرحت شعارات غريبة كالاتحاد الفدرالي ، ولم تتورع عن مهاجمتنا بشكل رسمي في مناشيرها . ان هذا الاصرار على مقاومة الاتجاه القومي المتحرر وفكرة الوحدة العربية والحياد الايجابي ، من شأنه اثارة الشقاق والتفرقة بين المواطنين ، ويضع العراق في صف معاكس للركب العربي المتحرر ويزج

---

٢٠ – الاشتراكي عدد اذار ١٩٥٨ بغداد . نضال البعث الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

البلاد في خضم التطاحن الدولي» .

وينتهي البيان بتحديد رأي الحزب في السياسة المطلوبة بقوله «ان المحافظة على الثورة ومبادئها لا يمكن الا بتنازل الشيوعيين عن خطة الاستيلاء على الحكم ، وبضمنها المحاولة الجارية الان لضرب الاتجاه القومي في البلاد وفكرة الوحدة العربية ، وازالة الجو الارهابي وإيقاف حملة الدعاية المفرضة، ولصق الاتهامات الكاذبة ، واحترام الاتجاهات السياسية والتعايش السلمي معها بجبهة وطنية تعمل يدا واحدة لتحقيق مبادىء الثورة الاصيلة» (٢١) .

وفي نشرة دورية للحزب يلخص فيها المبررات العلنية لرفض الشيوعيين للوحدة بما يلي «أولا : لانها خطوة في غير وقتها ، وثانيا: تتعارض مع مصالح الشعوب العربية الاقتصادية والمالية، وثالثا : تهضم حقوق الاقليات القومية الموجودة في البلاد العربية» (٢٢) .

وهكذا فقد نشط خصوم الوحدة بعزل ثورة ١٤ تموز وإبعادها عن الانضمام لوحدة سورية ومصر، وكانوا بارعين في طرح شعار (اتحاد لا وحدة)، حتى اذا ما زال احتمال الوحدة ، انتقلوا لطرح شعار (جمهورية لا اقليم ولا زعيم الا كريم) ، كما ركزوا على شعار تمتين الصداقة مع الاتحاد السوفيتي كرد على شعار الحياد الايجابي وعدم الانحياز الذي تبناه حزب البعث ودولة الوحدة .

اما قادة القوميين العرب ، الذين يفترض انهم مع الوحدة

---

٢١ – بيان الحزب في العراق الى جماهير الشعب بتاريخ ٥–١١–١٩٥٨ .
نضال البعث ، الجزء السابع ط٣ ، ص ١٨ – ٢٣ .

٢٢ – نشرة دورية عامة ص ١١ لسنة ١٩٥٩ .

فقد مارسوا حملة ضغط في العراق للانسحاب من الجبهة القومية ، ومهاجمة البعثيين ، رغم ما في ذلك الموقف من خدمة وتمهيد لوقوع الانفصال، ولكنهم على ما يبدو تأثروا بعبد الناصر وأغرتهم شعبيته ودعمه لهم ، فدخلوا معه في اتفاق لمقاومة البعث .

بقي ان نشير في هذه الفقرة ، الى ان قيام الاتحاد العربي رافقه اقتراح بضم الكويت اليه .. ففي «الاشتراكي» ورد ان الطبقة الحاكمة تقدمت بحل آخر «لسد العجز المالي في الاردن» هو ضم الكويت للاتحاد املا بالاستفادة من امواله في سد العجز المذكور » (٢٣) .

ولكن الحزب عارض دوافع ومنطلقات هذا الاقتراح ، لان الانضمام اذا تم ــ سيكون بمضمون رجعي وبتوجيه الاستعمار واشرافه ، ويرمي لمواجهة الجمهورية العربية المتحدة بتقوية الاتحاد العربي من خلال الاستفادة من ثروات الكويت النفطية.. **غير ان الوقائع السابقة واللاحقة ، اثبتت ان الاستعمار اذكى من ان يدفع بأي خطوة وحدوية نحو التحقيق ، حتى ولو كان على رأسها أعوانه وعملاؤه** . وهذا ما سبق ان اشار اليه الحزب في معرض الحديث عن المشاريع الوحدوية الكثيرة التي طرحت ولم يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ .

٢ ــ نعود الان لنتذكر كيف كان الحزب يفهم الوحدة بين سورية ومصر ، وكيف كان يريدها ان تكون ..

لعل في العودة الى النصوص والبيانات الحزبية واستقرائها خير سبيل للاجابة على ذلك .. ففي نشرة قومية داخلية ورد ما يلي : «ان قوة الجمهورية العربية المتحدة كنواة : هي بالدرجة

---

٢٣ ــ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٣٤ .

الاولى في مقدار تجاوبها مع أفكار وإرادة الشعب العربي في مختلف اقطاره ، وفي عملها الدائم لبناء نموذج حي تقدمي ، يكون مركز اشعاع وجذب لتجميع قوى الثورة العربية وتطويرها ، فلن تستطيع الجمهورية ان تؤثر في الثورة العربية كرافعة لشعارات التحرر والوحدة والديمقراطية الا بنسبة ما تزدهر في ربوعها هذه الشعارات» (٢٤) . والحق انه كان لهذه الخطوة الوحدوية عند قيامها جاذبية سحرية بين الجماهير العربية ، وكان حماسها لها منقطع النظير حتى غدت خطرا كبيرا على بعض الانظمة العربية ، بل انها أثرت فعلا باسقاط نوري السعيد ، وكادت تسقط الحكم في الاردن ، لو لم تبادر امريكا وانكلترا عقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بانزال قواتهما في لبنان والاردن لحماية الانظمة العربية المهزوزة الموالية لهما والمهددة بالسقوط بفعل المد التحرري الوحدوي الذي تصاعد وامتد في أعقاب الاعلان عن قيام الجمهورية العربية المتحدة .. وعند قيامها القى الاستاذ ميشيل عفلق الامين العام للحزب حديثا بعنوان «الوحدة ثورة تاريخية» عبَّر فيه عن تفاؤله الكبير بقيامها ، ممزوجا بشيء من الخوف عليها ، فقال «انها هي بصورة خاصة المعيار لثورية الافراد والجماعات ، ولثورية أمتنا في هذه المرحلة .. وان ما تحقق للعرب في هذه الظروف هو نتيجة ثورة وبداية ثورة ... هذه الوحدة التي هي ثمرة لنضال الماضي ستكون بدورها بذرة قومية ومحركا قويا لثورات متعاقبة ... وتحقيق هذه الخطوة سيبدل النفسية العربية في كل مكان ... وسيكون لها آثار ونتائج سياسية واجتماعية ضخمة عاجلة وآجلة». ولكن مع هذا التفاؤل الكبير المعبر في

---

٢٤ ـ آذار ١٩٦٠ . نضال البعث ، الجزء السادس ط٣ ، ص ٩٧ .

جوهره عما يفهمه من الوحدة ويريده منها ، يبدي مشاعر الخوف والقلق على مستقبلها ، وذلك من خلال قوله «ان هذه الخطوة ما تزال معرضة لأخطار كثيرة ، والاخطار المكشوفة هي أخف الاخطار لانها مكشوفة ، والاخطار المخيفة هي التي لا تظهر كثيرا بوضوح تام ، وأهمها ان يستمر شيء من عقلية التجزئة ، وأن تنسج الوحدة بخيوط التجزئة فتتناقض وتفشل» (٢٥) .

وقال في مقال آخر «فلنتعاهد على أن نجعل من هذا النصر الجزئي الذي حققه جميع العرب... على ان يكون فاتحة جديدة لعمل قومي موحد منظم ، وأن تكون هذه الوحدة الصغيرة التي يفرح لها العرب في كل مكان ، ان تكون النواة للوحدة الشاملة، وأن تنصب أكثر جهودها الى مساندة ودعم حركات التحرر ، والى العمل لتوحيد الاقطار المجزأة» (٢٦) . وفي مشروع الميثاق القومي الذي قدمه الحزب في القطر السوري طالب «بالسعي لجعل الاقطار العربية قادرة على الانضمام لاتحاد سورية ومصر باعتبارها نواة للوحدة العربية الشاملة وطريقا عمليا لتحقيقها» وطالب ايضا «بتحقيق الوحدة الثقافية والاقتصادية والتشريعية بين جميع الاقطار العربية بوصفها عاملا من العوامل المساعدة لتحريرها وتوحيدها» (٢٧) . ثم قال «ليس في وحدة سورية ومصر نكاية لفئة او تحد لقطر ، ما دامت في مصلحة جميع العرب ... فلا بد اذن ان يكون للوحدة اتجاه وأن تتجه نحو التحرر والتقدم، فهما طريقها وغايتها وهي لهما الضمانة الكبرى » (٢٨) .

---

٢٥ — في سبيل البعث ط٣ ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

٢٦ — المصدر السابق ص ٢٦٥ .

٢٧ — ايار ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٥٠ .

٢٨ — ٥ تموز ١٩٥٦ . نفس المصدر ، ص ١٧٨ — ١٧٩ .

ومن ذلك يتبين ان الحزب ، من خلال طرحه وحدة سورية ومصر ، كان يتمسك بالنظرة المبدئية وبمنطلقاته القومية السليمة ، ويؤكد حرصه على السير قدما في طريق الوحدة الشاملة بعيدا عن المحورية وأساليب المناورة والتاكتيك . وبوجيز القول : **كان الحزب متحمسا لهذه الوحدة مؤمنا بضرورتها واثقا من نتائجها الايجابية حريصا على انجاحها وكان يريدها بمضمون تقدمي تحرري اشتراكي ، ومركز جذب واستقطاب للاقطار العربية الاخرى ولدعم حركة الثورة العربية وحركات التحرر العالمية ، وكان يأمل من قيامها تفجير طاقات الجماهير الثورية وحشد الطاقات العربية لتحرير فلسطين وطرد النفوذ الامبريالي من الوطن العربي كله ..**

ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن . فانتكست هذه التجربة الرائدة بأسرع مما كان متوقعا . وهنا يرد الى الذهن السؤال التالي :

٣ ـ لماذا انتكست وكيف ، وما هي مسؤولية الحزب والقوى الاخرى في هذه الانتكاسة ...؟

كان حزب البعث العربي الاشتراكي ، في مقدمة المنظمات القومية التقدمية التي اهتمت بمضمون هذا السؤال ، وقامت بالتحليل والاستقصاء لعوامل التعثر والفشل في وحدة عام ١٩٥٨ .. ومن خلال ما ورد في نشراته ومقررات مؤتمراته يمكن تلخيص هذه العوامل فيما يلي : (٢٩)

١ ـ تجاهل حكم الوحدة المنطلق القومي ، الذي يعني تفاعل تجربتي سورية ومصر في النضال والتنظيم والحكم .. وعمد الى تعميم تجربة الحكم الفردي ، بتقاليده وأساليبه السائدة في

---

٢٩ ـ الوحدة العربية من خلال التجربة ، ط٣ ص ٣٣ ـ ٣٨ للمؤلف .
[سنقدم في الجزء الثالث من تاريخ الحزب مزيداً في الشرح والتوضيح عن وحدة سورية ومصر مع بعض الاستنتاجات والدروس المستفادة منها]

الاقليم الجنوبي ، على الاقليم الشمالي ، ذي التجربة الغنية في الديمقراطية والنضال الشعبي .. كما اعطى طابع التسلــــط الفردي والاقليمي ، وأوحى للكثيرين ، بأن المنطلقات والمفاهيم القطرية ، هي التي تتحكم بسياسة المسؤولين في دولة الوحدة، وتجعلهم ينظرون اليها على انها امتداد للسلطة والنفوذ ، فـــي النطاقين العربي والدولي ، ان لم تكن مجالا حيويا ، للتوســع القطري .. وبعبارة اخرى كان كثير من تصرفـــات المسؤولين ومواقفهم يوحي بأنهم يفهمون الوحدة ، على انها استراتيجية سياسية ، لدعم حكمهم ، وليست ايديولوجية ثورية وهدفـــا اساسيا للأمة العربية ..

ب ــ ان حكم الوحدة بالغ في اعتماده على اجهزة الامن ، وأساليب الضغط والمراقبة . وركز على تضخيم وسائل الدعاية، لتكون بديلا في دعم الحكم ، عن المنظمات النقابية والشعبية ، وخاصة ذات الاتجاه الثوري العقيدي الذي كان حـــزب البعث أبرز ممثليه . وبقول موجز ، كان نظام الحكم في ظل الوحدة فرديا يعتمد على شخص الرئيس ، والدعاية القوية وعلى الجهاز البيروقراطي من مساعدين فنيين ، ورجال استخبارات .

جـ ــ اما الوزارة المركزية ، فلم تكن لها مسؤوليات حقيقية، وكان وجودها بقصد الايحاء بمظاهر قومية الحكم ، وبمظاهــر القيادة الجماعية .. وكانت الاحزاب السياسية ملغاة ، وموضع هجوم وتشنيع . والنقابات العمالية ، والجمعيات المهنيـــــة المختلفة ، تحولت الى هيئات شكلية ، تابعة لمؤسسات الدعاية والاستخبارات ... والاتحاد القومي ، كان التنظيم الشعبـــي الوحيد ، ومهمته محصورة ، في الدعاية لسياســـة الدولة ، وتنفيذ خططها ، واعداد مهرجاناتها .. ويتكون من اغلبيـــــة ساحقة من الموظفين والاشخاص الذين لا لون لهم ، والذيـــن يمثلون مختلف الطبقات والاتجاهات المتضاربة وغير المنسجمة . وكان هذا نتيجة طبيعية للطريقة الموجهة في انتخاب اعضائه من

جميع المواطنين ، والعزوف عن الاسلوب المتبع في الحركـــات الشعبية الثورية ، وهو أسلوب الاصطفاء والانتقاء للعناصر التي تبرهن عن ثوريتها ، من خلال الممارسة النضالية ، ولاسيما في اوقات الشدة والضيق

د ــ ان مفهوم القيادة السياسية للاشتراكية ، كان مفهوما عائما ، وغير مستقر ، فهي رغم مهاجمتها لطبقـــة الاقطاعيين والرأسماليين ، كانت تدعو (للتعاون بين الطبقات) . ورغـــم تمجيدها الدعائي للطبقة العاملة ، كانت تجعل تنظيمها النقابـي قليل الفعالية ، وبعيدا عن المشاركة الفعلية ، في أمور السياسة والاقتصاد . ويذكر في هذا المجال ، ان القرارات الاقتصادية التي اتخذتها دولة الوحدة ، وباركها الحزب ، لم تصدر ، الا قبل فترة وجيزة من وقوع الانفصال ، اي بعد فوات الاوان .

هـ ــ أن السياسة الداخلية والقومية والدوليـــــة ، كانت رجراجة وغامضة بصورة عامة ، تتسم بالمغامـــرة والارتجال ، وتقع كثيرا في الازمات والانتكاسات ، فهي ان حركت الثـــورة على الحكم الرجعي في لبنان ، لا تتورع عن الاعتماد على عناصر رجعية واقطاعية . ولا يهمها ان تأخذ طابع الاقتتال الطائفي ، وان تعمق النزعة الطائفية في هذا القطر. وهي اذا أحست بنقمة في اوساط العسكريين الوطنيين ، في اي قطر ، عمـــــدت لتكليف عناصر مغامرة ، من اجهزة المخابرات للتعامـــل معها ، والعمل على تحريضها ، للقيام بانقلاب عسكري ، غير عابئـــة باقامة تنظيم شعبي ، ذي ايديولوجية واستراتيجية قومية .. ورغم فشل هذه المحاولات المتكررة في العراق وسورية والاردن واليمن فقد استمر هذا الاسلوب وتكرر .. ويضاف الى ذلك انها قد تتعاطف مع ملك المغرب ، ضد الاتحاد الوطني للقـــوات الشعبية والحركة الوطنية ، وقد تسلك سبيل الضغط علـــى قيادة الثورة الجزائرية ، الى الحد الذي يحمل هذه ، علـــى

تغيير وزيرين من الحكومة المؤقتة ، لعلاقتهما مع حكومة القاهرة، والى نقل معظم نشاط الحكومة ومكاتبها من القاهرة الى اقطار المغرب . وهكذا فقد كانت نتائج هذه السياسة تسيء الى فكرة الوحدة العربية لدى الحركات الثورية في بعض الاقطار العربية .

والى هنا أشعر وكأني في نفس القارىء ، وقد بدأ يتململ ليسأل : **الم يتحرك حزب البعث لدرء هذه الاخطاء وتصحيحها ؟ وما هي حدود مسؤوليته في ذلك ..؟**

للحقيقة والتاريخ ، يمكننا القول : ان الحزب سعى جهده لتصحيح ما كان يعتقده خاطئا في السياسة التي اتبعتها دولة الوحدة ، عن طريق انتقادها برفق ، وبروح ايجابية ، في الجلسات المتكررة التي جمعت القياديين في الحزب والمسؤولين في الدولة ، وكذلك عن طريق التنبيه والتحذير ، من مغبة الاستمرار في تلك السياسة .

وقبيل الانفصال (٣٠) كانت القيادة القومية للحزب ، قد أقرت برنامج قيادة قطر العراق ، والقاضي «باقامة وحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، مع رفض الوحدة المشروطة بالقضاء على الحياة الديمقراطية ، كما تريدها قيادة المتحدة ،

---

٣٠ – قبيل بضعة اسابيع من الانفصال قام المهدي بن بركة بدور الوساطة بين الحزب وعبد الناصر ومما قالته له قيادة الحزب لابلاغه ان الرجعية في سورية تلقى تشجيعا ملحوظا وتنشط في اجهزة الجيش والدولة. وانها ربما تلجأ للانفصال وضرب الوحدة . فكان جواب عبد الناصر (ان البعثيين يصورون الوضع في الاقليم الشمالي من خلال اوهامهم ورغباتهم) . وعندما تطوع احد الضباط الصغار باطلاع المشير عبد الحكيم عامر على وجود تكتل رجعي في الجيش بقصد الانفصال اتهمه بالتشكيك بسلامة الوضع وزج به في السجن .

لان قبول مثل هذه الوحدة المشروطة ، يعني اهمال هـدف اساسي ، من اجل تحقيق هدف آخر مساو له في القيمة»(٣١).

وفي المؤتمر القومي الرابع لحزب البعث ، المنعقد قبل عام واحد من وقوع الانفصال «قرر الحزب العمل على تصحيح الاوضاع ، على نطاق اقليمي الجمهورية المتحدة ، لان محاولة التصحيح في الاقليم الشمالي فقط ، ستؤدي الى تهديد الوحدة ... واقر هذا الاتجاه ، لان الوحدة القائمة ، لا يجوز ان يضحى بها من اجل الديمقراطية ... وانما يجب العمل من خلال الوحدة ، ومن خلال الحرص عليها ، لاقامة اوضاع ديمقراطية في اقليمي الجمهورية» (٣٢) . وكان وزراء الحزب قد قدموا استقالاتهم من الحكم ، في أواخر عام ١٩٥٩ ، في الوقت المناسب ، لعدم فتح معركة داخلية ، وهو وقت محاكمة البعثيين في العراق ، وفي اثناء تضحيات الحزب ونضاله لدعم الجمهورية العربية المتحدة . وكان القصد من ذلك ، اعلان استحالة تصحيح الاوضاع بالمشاركة في الحكم وبالنقد الايجابي، ثم عدم تغطية انحرافات الحكم ، بمشاركة الحزب فيه .. وتوكيدا لرغبتهم بعدم فتح معركة ، والاساءة للوحدة ، فقد قدموا استقالاتهم بشكل فردي ، ولم يعلنوا عن اسبابها الحقيقية للجماهير ، ثم التزموا الصمت والهدوء .

ولكن الحزب رغم تقديره السليم ، للواقع المتردي لدولة الوحدة ، وحرصه الشديد على تصحيح الاخطاء والانحرافات ، ضمن اطار الوحدة، فان امكاناته وقدراته علىالحركة والتصحيح كانت في تلك الفترة دون المستوى المطلوب ..

---

٣١ ـ نضال البعث ، الجزء السادس ط٣ ، ص ١٨٦ .

٣٢ ـ نفس المصدر ، ص ١٨٧ .

كما ان التردي كان من القوة والشدة بحيث جاءت النكسة أسرع من قدرة الحزب على وقفه ...

غير ان الحزب مع ذلك كله لم يتهرب من تحديد مسؤوليته، **فمارس نقدا ذاتيا لمواقفه وأخطائه ، برز بشكل خاص في المؤتمرين القوميين الثالث والرابع ، ويمكن ايجاز نقد الحزب لنفسه فيما يلي :**

أ ـ ان الحزب ، وبقدر ما يتعلق الامر به ، مسؤول عن الاندفاع في اقامة الوحدة من دون ان يوفر لها شروط ضمانتها واستمرارها .. وان تقديرات قياداته وحساباتها لطبيعة عبد الناصر ونظامه قبيل قيام الوحدة ، كانت خاطئة ، ولم تعتمد على مقاييس علمية وموضوعية لبعض الامور الاساسية ، فمن ذلك مثلا ، انها لم تفطن عند التطبيق لاهمية مضمون الوحدة الديمقراطي والاشتراكي رغم توكيداتها السابقة عليه .. وأهملت وضع الاسس اللازمة لتحقيق هذا المضمون ، وانجرفت وراء رغبة الحزب بتسهيل ارتباط مصر بالوحدة ، لاعادتها بقوة الى التيار القومي الذي كان ضعيفا فيها ، قبل منتصف الخمسينات . ولعل الكتابات المركزة على الوحدة دون ابراز اهمية محتواها بنفس النسبة ، قد عززت النظرة العاطفية وغير العلمية لها (٣٣) .

والحق ان الحزب اندفع نحوها بكل عواطفه وجهوده ، وعمل لها بعقله وقلبه ، وسعى اليها بأمل وتفاؤل لا حدود لهما وبثقة مطلقة بمستقبلها .. بل لعله ذهب بعيدا او الى أبعد مما يجب في الحماس العاطفي والتفاؤل الذاتي وفي الثقة بوعود الرئيس عبد الناصر ، وفي اعتبار «هذه الخطوة في طريق الوحدة الكبرى ، فريدة في نوعها من حيث سلامة الشروط

---

٣٣ ـ نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٩ .

وثورية الاتجاه وديمقراطية التحقيق» (٣٤) . ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة ان قيادات الحزب في سورية والاردن ولبنان اغدقت على عبد الناصر من عبارات التقريظ وأوصاف المديح ما لم يحظ به احد سواه ، بدافع الاعجاب به والتشجيع له ، على المضي بخطه التحرري القومي من جهة ، ولاشعاره بالثقة المطلقة، كي لا يتردد ويتخوف من سياسة الحزب، وأهدافه من جهة ثانية . غير ان الحزب في العراق تميز في هذه المسألة بأنه ، وفي جميع نشراته ، لم يمتدح عبد الناصر بل كان يقتصر على امتداح المواقف الجيدة كالتأميم وتبني سياسة التحرر والحياد ... وينسبها الى نضال الشعب العربي في مصر وذلك رغم اندفاعه في تبني الوحدة بين سورية ومصر واعجابه بالمواقف الثورية الجريئة التي قامت بها حكومة الثورة .

ب ـ لقد اخطأت القيادة كذلك يوم ظنت ان المد الجماهيري الوحدوي وزيادة احتكاك الحزب مع النظام القائم في مصر ، مع مرونة الرئيس عبد الناصر وسرعة تفهمه لحاجات المرحلة وطبيعتها الشعبية الوحدوية ، سوف تخفف من نزعته الفردية ، وتقود الى تصحيح مسيرة الحكم . كما انها اخطأت عندما اعتقدت بأن الوحدة عملية ثورية من شأنها تصحيح الانحرافات وتقويمها ، وبأن الجماهير التي أيدت الوحدة بزخم سوف تحميها بالضرورة . غير ان هذه الاحكام والتقييمات لا يمكن فصلها عن الظروف الموضوعية والذاتية التي مرت بها المنظمات الشعبية ، ومنها حزب البعث في القطر السوري ، حيث عانت كثيراً من الضعف والتفكك وعدم الانسجام في قياداتها ، ومرت

---

٣٤ ـ نضال البعث الجزء الثالث ط١ ، ص ٣١٦ ، ومعركة المصير الواحد ط٤ ص ١٩٦ .

عليها فترة من الانقسام والصراع وفقدان التنظيم والمبادرة «كما انزلقت قيادات شعبية الى اساليب غير شعبية في العمل السياسي» (٣٥) وتطلعت الى الزعيم البطل متجاهلة ان الجماهير لا تستطيع التحرك وحماية الوحدة من دون طلائعها الثورية المنظمة الواعية ...

جـ ـ ومن الاخطاء التي وقعت بها القيادة ايضا ، انها قبلت بحل الحزب في الجمهورية العربية المتحدة من دون العودة الى مؤتمر قومي نزولا عند الشرط الذي طلبه الرئيس عبد الناصر لاقامة الوحدة .. ولئن كان هذا الحل غير خال من التعبير عن التضحية بالنفس في سبيل الوحدة ، فانه يعني التخلي عن ضمانة اساسية من ضماناتها ، والتسليم للقيادة الفردية بأن تأخذ مداها في التفرد والعمل من دون استراتيجية قومية مدروسة ، فضلا عما في الحل من سابقة خطيرة ، ومن اعتبار (مهمة الحزب مهمة مرحلية) تزول بتحقيق بعض اهدافه الجزئية . ومما جسم الشعور بخطأ الحل ، بروز الاخطاء والانحرافات في دولة الوحدة بعد قيامها ، ومهاجمة عبد الناصر الاحزاب والحزبية، وهو في أوج شعبيته مستغلا ضعف وأخطاء الاحزاب القائمة، وذلك كله بدافع الامعان في التفرد بالسلطة، وانهاء اي معارضة له من المنظمات الشعبية التي اعتادت العمل والنشاط في الحقل السياسي والقومي .. ولذلك او من اجل، ذلك نجد الحزب بعد عامين من الحل يؤكد في نشرة داخلية على اهمية الحزبية العقيدية وكيف كانت «انجح طريق ثوري لتوضيح اهداف الشعب العامة وتنمية وعي الجماهير وتنظيمها لمعارك النضال وتربية قيادات شعبية» (٣٦) .

---

٣٥ ـ نضال البعث الجزء الرابع ط٣ ، ص ٩٤ .

٣٦ ـ آذار ١٩٦٠ . نضال البعث الجزء السادس ط٣ ، ص ١٠٤ .

وفي نشرة اخرى لاحقة تضمنت توصيات المؤتمر القومي الرابع (ايلول ١٩٦٠) نجد ادانة لحل الحزب وابرازا لأهمية الديمقراطية بالنسبة لقضية التحرر والوحدة والتقدم الاجتماعي .. مع ابراز دور الحزبية العقائدية والتنظيم النقابي والمهني في الحياة الديمقراطية .. والاهتمام بالعمل الحزبي على المستوى القومي وتطهير الحزب من القيادات والعناصر الغريبة.. وابراز استقلاله كاتجاه واسلوب عن اتجاه الجمهورية العربية المتحدة وأسلوبها .. كما أكد المؤتمر القومي «ايمانه بأن حزبنا حركة اصيلة في حياة الامة العربية ، مسؤولة عن حاضرها ومستقبلها لا حركة مرحلية .. ودعا القيادة القومية الى العمل والنضال من اجل بناء الحزب بناء ثوريا يجعله في مستوى رسالته ومسؤولياته القومية» (٣٧) .

د ــ ان الحزب كان متحمسا للوحدة واستطاع ان يعبىء عواطف الجماهير نحوها ، ولكنه لم يضع لها استراتيجية واضحة ولم تكن لديه خطط ودراسات عن صيغها التطبيقية واشكالها الدستورية ، مما سهل فرض الصيغ المرتجلة لها ، والمنسجمة مع رغبة عبد الناصر ومفهومه للسلطة وادارة الدولة ، وبذلك فقدت عاملا من عوامل حمايتها وضمان استمراريتها ، اذ ربما لو كانت بصيغة الوحدة الاتحادية وليست المركزية لاستمرت او لما انتكست بالشكل والحجم اللذين انتكست بهما .. ولهذا راح الحزب يؤكد على اهمية الدراسة والتحليل العلمي والتسلح بالوعي الثوري ، في تقرير أقره المؤتمر القومي الرابع، ومما ورد فيه : «ان ثورية الحزب تتطلب منا فهما عميقا للواقع وتحليلا علمياً، لتطوره ونموه كي يستطيع الحزب ان يؤثر في هذا

---

٣٧ ــ نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ٩٦ ــ ٩٨ .

الواقع ... ولا بد لنا من دراسته لمعرفة اتجاهاته ومتطلباته ، ولا بد لنا ، حتى نستطيع السيطرة عليه ، من معرفة الوسائل التي تهيء لنا هذه السيطرة ... اننا لا نستطيع ان نسيطر عليه بالتمني والافتراض وانما بالعمل وسط هذا الواقع ... ويتحتم علينا ان نتسلح دائما بوعي ثوري يضبط لنا اتجاهنا ويحدد لنا مواقفنا . واننا لا يمكن ان نجد هذا الوعي الثوري المطلوب في الحدس والالهام ، كما لا يمكن ان نجده لدى فرد او قيادة .. بمعزل عن الحزب والشعب .. وانما يكون هذا الوعي في نظرية للعمل والنضال ، يتسلح بها الحزب بمجموعه ، ويستند الى نقد اجتماعي واقتصادي وسياسي لهذا الواقع وتحليله على هدى نظرة علمية لمعرفة مواقع القوى واتجاهاتها ، واستخلاص خطة عملية واضحة للسيطرة على هذه القوى والتحكم في اتجاهاتها» (٣٨) .

- ٣ -

الموقف من الشعارات والخطوات الوحدوية:

يستهدف البحث في هذه الفقرة ، التعرف على موقف الحزب في مرحلة الخمسينات ، من الجامعة العربية وشعار التضامن العربي ووحدة النضال الشعبي والعمل الجبهوي ، مع الاشارة الى مقترحاته العملية الهادفة الى تحقيق خطوات جدية في طريق الوحدة .

---

٣٨ ـ المصدر السابق ص ١١٤ .

١ ـ الجامعة العربية :

كان الحزب قد ابدى وجهة نظره بالجامعة العربية منـــذ تأسيسها في عام ١٩٤٥ وتتلخص فيانها (صورة ناقصة مشوهة لأماني العرب الحقيقية في الوحدة)•وقد استمرت هذه النظرة السلبية لها في مرحلة الخمسينات .. ففي بيان لمجلس الحزب عام ١٩٥١ ورد التقويم التالي : «.. يرى الشعب العربي فـــي الحكومات اداة تفرقة وعرقلة للكفاح ، وتثبيتا للاوضاع الفاسدة القائمة ، **وهو لا يعتبر الجامعة العربية الا صورة هزيلة عن هذه الحكومات التي اقامتها لتمنع عن الشعب الوحدة الصحيحـــة المنتجة ، ولتكون واسطة للتخدير وتنفيذ مصالح تلك الطبقـــة المتفقة مع مصالح الاستعمار** .... ان حزبنا لينادي من جديد باقامة (جامعة شعبية عربية) تلغي تلك الجامعة الشكلية مـــن الوجود ..» (٣٩) .

وفي عام ١٩٥٦ قال الامين العام للحزب «ولكن ثمة منطلقا آخر للوحدة او الاتحاد وطريقا آخر يمكن ان يقدما لنا كبداية واقعية ، هما منطلق الجامعة العربية وطريقها ، وقـــد برهنت الحوادث والكوارث طوال السنوات العشر الاخيرة على انه كان منطلقا خاطئا يكمن فيه الغش والتآمر ، وان الطريق كـــان معكوسا ، أريد من انتهاجه ، تثبيت التجزئة لا الخلاص منهـــا وتخدير حاجة العرب الى الوحدة لا تلبيتها» (٤٠) . لقد كان من الطبيعي ان يبدي الحزب رأيه السلبي بالجامعة العربية ودورها في تلك المرحلة التي طرح فيها شعار الوحدة بين سورية ومصر،

---

٣٩ ـ بيان صادر في اوائل تموز ١٩٥١ عن مجلس الحزب الذي انعقد في اللاذقية . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

٤٠ ـ معركة المصير الواحد ص ٦٧ .

حيث حاولت الحكومات الرجعية ان تعرقل قيام هذه الوحدة ، من خلال التستر بأنظمة الجامعة والحرص على وحدة الصف العربي ، وتكريس التجزئة والاوضاع الرسمية القائمة في الوطن العربي . وبهذا المعنى ورد في جريدة البعث «ان الوحدة العربية لم تكن هدفا قوميا في ذهن الذين خلقوا الجامعة العربية ، بل كان الهدف المحافظة على التجزئة الراهنة وسوق دول الجامعة العربية ، جميعها في سياسة تبعية واحدة .. فجاءت الجامعة كأداة لتكريس التجزئة .. وعندما عادت الوحدة لتصبح من جديد الهدف القومي ، تكسر اطار الجامعة وتطايرت أجزاؤها لانها ليست للوحدة اداة وطريقا ، وبات من واجبنا ايجاد الاداة المواتية» (٤١) .

ولعل بقاءها في هذا العجز والشلل ، راجع في الدرجة الاولى ، الى كونها الصيغة التوفيقية بين القوى الحاكمة التقدمية والرجعية ، او بين الراغبين بالتقدم باتجاه الوحدة والكارهين لذلك والمتخوفين منه ، حتى اصبحت كالعربة التي يشدها حصانان باتجاهين متعاكسين ويمنعانها من التقدم ، وهي باختصار كمنظمة رسمية ، تعبر عن منطق الحكومات في فهم الوحدة وفق صيغة لا تتجاوز معنى المحافظة الظاهرية على وحدة الصف العربي ، مع معالجتها لبعض القضايا العربية الثانوية والجزئية وعجزها التام عن حل ما هو اساسي ومهم منها .[٢]

٢ ـ شعار التضامن العربي :

ان الحديث عن الجامعة يقودنا الى الكلام عن شعار التضامن

---

٤١ ـ ٤ ايار ١٩٥٦ ـ نضال البعث، الجزء الثالث ط٣ ص١٤٨

٢ـ[لعل ماوقع في الثمانينات من احداث جسيمة انطوت على تحدي العرب والمسّ بكرامتهم كالعدوان الاسرائيلي المتكرر على لبنان وضرب المقاومة الفلسطينية فيه. والعدوان الايراني على اللعراق ودول الخليج، والاعتداء الاسرائيلي على المقاومة في تونس، والعدوان الامريكي على ليبيا وانما تؤكد هذا العجز المشار اليه.

العربي والمواثيق التي أبرمت في هذا الاتجاه ، لكي تتضح أمامنا الصور والاشكال المتباينة في فهم هذا الشعار بالنسبة للقوى التقدمية والرجعية . ولكي نبين بشكل خاص موقف الحزب من مضمون هذا الشعار ومحتواه ، ولاسيما انه كان يظهر ويزدهر بين حين وآخر ، وله علاقة بصورة او اخرى ، بهدف الوحدة، ومحاولة تجميدها .

«ان النظُرة العادية والسطحية لهذا الشعار من الناحيتين اللغوية والدعائية تقود الى اعتباره شعارا جيدا ومفيدا ، ذلك لان التضامن لغة يعني تحقيق نوع من الانسجام والتفاهم ، ومن ثم التعاون لما فيه الخير لجميع الاطراف المتضامنة ... كما انه من وجهة النظر الدعائية يبدو وكأنه بديل عن حالة التناحر والتمزق التي يرى فيها المواطن العربي اكبر علة في استمرار الضعف والتردي ، وفي وقوع النكسات والهزائم امام الهجمات الصهيونية» (٤٢) .

على ان مسألة خطيرة الشأن كهذه لا ينظر اليها بهذه البساطة ومن زاوية لغوية ودعائية ، وانما من خلال الواقع العملي والدوافع الحقيقية للمنادين به .. فالرجعية تفهم من التضامن العربي غير ما تفهمه منه القوى التقدمية . فعندما تطرح هذه ، استخدام النفط مثلا كسلاح في المعركة الضارية ضد الصهيونية والامبريالية ، بتأميمه او قطعه عن الدول المؤيدة للعدوان ، فان الانظمة الرجعية ترفض ذلك وتعارضه بشدة ، ولكنها اذا ما وقعت الحرب واشتد هياج الجماهير وضغطها عليها ، واضطرت لاستخدام هذا السلاح ، فانها تستخدمه بشكل جزئي وعلى اضيق نطاق ممكن . وعلى اي حال «فان التضامن العربي كما

---

٤٢ – انظر حول الوحدة العربية للمؤلف، ص ٩٠، الطبعة الثالثة، ففيه بعض التفاصيل.

تفهمه الرجعية وتريده ، نقيض للوحدة العربية ، وليس خطوة نحوها ولا عاملا مساعدا ، ذلك لان أسلوب تحقيقها لن يكون بالتضامن العربي على المستوى الرسمي وانما على المستوى الشعبي .. وهذا المستوى نفسه يشترط توضيح الهدف والاسلوب المؤدي لتحقيق الوحدة ، اذ اي معنى وأي مردود لتضامن بين قوى وأنظمة تتآمر على الوحدة وأخرى تريدها وتعمل لها ؟

وهل يعقل ان يعمل للوحدة نظام متحالف مع الامبريالية التي ترى في الوحدة اكبر خطر يهدد مصالحها وأمن ربيبتها (اسرائيل) ؟ وهل يعقل ان يعمل للوحدة من يرى سلطته ونفوذه رهنا ببقاء الكيانات القطرية ، ومن يخشى الجماهير ويسعى لعزلها والغاء دورها ؟» (٤٢) . لقد كان الحزب واعيا لما يريده من شعار التضامن العربي ، وواعيا في الوقت نفسه ، لما كانت تريده الرجعية منه . ففي بيان للحزب ألقي في مجلس النواب السوري ورد قوله «ان الذين يحاربون الميثاق العربي الثلاثي ، بحجة أنه يقسم الصف العربي ، سواء كانوا حكومات ام سياسيين، انما ينفذون مآرب الاستعمار الذي يريد باسم وحدة الصف العربي اعطاء زمام السياسة العربية للدول العربية الاكثر ارتباطا وخضوعا للاستعمار ، اي بقصد جر الدول العربية جميعا لذات السياسة التحالفية التي تمثلها حكومة نوري السعيد في العراق .. لا حياة لهذه الامة ولا بقاء الا بتحقيق وحدتها الكاملة الناجزة ، **وأن يكون السلوك العملي الى ذلك ، لا في مسايرة عقلية التجزئة ومصالحها ، والتستر عليها باسم المحافظة على وحدة الصف المزيفة ، ولا بربط مصير الوحدة**

---

٤٣ ـ المصدر السابق ص ١٣٠ .

العربية بارادة أقل الحكومات العربية تجاوبا معها» (٤٤) .

وورد في جريدة «البعث» توضيحا للاهداف السلبية لهذا الشعار قولها «ان الاحلاف من وجهة النظر القومية تعني تبعية سياستنا للغرب الذي هو استعمار وحليف لاسرائيل معا . **وان وحدة الصف تعني في الحالة الراهنة ، تكريس التجزئة ومنع اي بلد عربي ان يخطو خطوات تحررية** ، وان الحياد بين المعسكرين العربيين (كذا) يعني من جهة بقاء التجزئة ، ومن جهة ثانية بقاء العراق في الحلف وبقائه معزولا عن المجموعة العربية، ومن جهة ثالثة عزل مصر التي عبرت بقوة ووضوح عن السياسة العربية المستقلة ..» (٤٥) .

وفي مقال آخر قالت «ينادي دعاة حلف بغداد بوحدة الصف العربي ، وحدة استسلام لخط الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية» (٤٦) .

وحول معنى التضامن كما يفهمه الحزب ، يقول الامين العام الاستاذ عفلق «ان عناصر التضامن العربي ، هو الشعب العربي نفسه ، **وطريق هذا التضامن هي السياسة الثورية الصحيحة التي تسمي الاشياء بأسمائها وتضع الشعب امام مسؤولياته وتزيل من طريقه كل ما يعرقل نضاله او يتآمر عليه» (٤٧) .**
وقال ايضا «ان وحدة الصف العربي التي يدعو اليها الحكام العملاء في مثل هذه الحال ، لا يمكن ان تكون مهمتها توحيد

---

٤٤ ــ ٢٤ ايلول١٩٥٥ . نضال البعث، الجزء الثالث ط٣ ص١١٤، ١١٧ .
٤٥ ــ «البعث» العدد ٣ تاريخ ٤ــ٥ــ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٤٧ .
٤٦ ــ «البعث» العدد ٢٢ تاريخ ٢٨ــ٩ــ١٩٥٦ . المصدر السابق، ص١٩٢ .
٤٧ ــ معركة المصير الواحد ، ص ١١٢ .

الجهود ، بل فرض الجمود على الحكومات المتحررة التي تقود الشعب الى النضال والتي يقودها نضال الشعب الى التحرر» (٤٨) .

وبعد فما أشبه الليلة بالبارحة ، أليس ما تفهمه وتريده الرجعية من شعار التضامن العربي في هذه الايام ، هو ذات ما كانت تفهمه وتريده منه في مرحلة الخمسينات ..؟

قبل الانتقال الى نقطة اخرى ، يبدو من المفيد ان نجيب على سؤال يفرض نفسه وهو : **متى يكون شعار التضامن العربي مجدياً ونافعاً للأمة العربية ..؟**

«لا بد من التنويه اولا ، بأن القيمة الحقيقية لأي موقف او شعار سياسي ، تكمن في محصلته ونتائجه . وان القياس الذي لا يخطىء في تقويم الشعارات السياسية والفكرية لا يجب ان نفتش عنه في ألفاظ هذه الشعارات ومعانيها الجميلة المجردة ، وانما فيما تتركه من انعكاسات سلبية وايجابية في النضال من أجل الوحدة والتحرر والتقدم .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، فان الاجابة بالايجاب على السؤال المطروح تقع في احدى حالتين :

الاولى : عندما تخوض الامة ممثلة بقواها التقدمية ، حربا ساخنة ضد الاستعمار والعدوان الصهيوني ، فتضطر الانظمة الرجعية تحت ضغط الجماهير ولهيب الحرب الى المشاركة ووضع جزء من طاقاتها المادية في خدمة المعركة ، ذات الاهداف التحررية الواضحة . وهي اذ تفعل ذلك ، فلكي تحفظ لنفسها ايضا حق المشاركة في تخطيط ورسم سياسة ما بعد الحرب ، والتحرك بما يخدم اهدافها واستراتيجيتها المتعارضة مع اندفاع

---

٤٨ ـ المصدر السابق ، ص ١١٦ .

الجماهير نحو المزيد من المواقف الثورية .. أما الحالة الثانية ، فهي عندما تعمل القوى التقدمية في جبهة واحدة ، ضمن ميثاق سياسي يحدد بوضوح هدفها التحرري الوحدوي ، وتبقى ماسكة بزمام القيادة والتوجيه السياسي والاعلامي والنضالي ، وبالشكل الذي يفوّت على القوى الرجعية امكانية حرف المسيرة واستغلال التضامن وفق مصالحها وأهدافها» (٤٩) .

٣ ـ وحدة النضال الشعبي والعمل الجبهوي :

ان حزب البعث العربي الاشتراكي ، انطلاقا من ايمانه بوحدة القضية والمصير ، ومن ايمانه بالشعب وبطاقاته الضخمة ، واعتباره غاية النضال ووسيلته في آن واحد ، فقد راح يدعو في أدبياته الى الاعتماد على الجماهير واعطائها دورها النضالي الرئيسي الذي تستحقه ، مع توحيد نضالها ، تحقيقا لأقصى ما يمكن ان تقدمه وتعطيه . وكان من الطبيعي ان يركز الحزب على شعار وحدة النضال الشعبي عندما تكون القيادة بأيدي القوى التقدمية وبخاصة في النصف الثاني من الخمسينات ، وذلك توسيعا لرقعة التأييد الشعبي لها ، وتعزيزا لصمودها ومُضيّها في طريقها التقدمية .

ولئن كان الحزب يؤكد على ان وحدة النضال الشعبي هي الطريق المؤدية الى الوحدة ، فانه لم يضع لهذا الشعار خططا تفصيلية واستراتيجية محددة، باستثناء بعض دعواته ومحاولاته المتواضعة التي استهدفت اقامة جبهة شعبية على مستوى الوطن العربي ، تضم كل القوى الشعبية الوطنية .. ولكن هذه

---

٤٩ ـ حول الوحدة العربية ، ط٣ للمؤلف ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

المحاولات لم يكتب لها النجاح لأكثر من سبب ... واهمها ان وسائل الحزب وامكاناته في الاتصال والدعاية لوجهة نظره على الصعيد القومي ، كانت ضعيفة ومحدودة . كما ان الاهتمامات القطرية لدى القوى العربية التقدمية الاخرى ، كانت طاغية على نشاطها ومواقفها ، وبعضها مرتبط بأنظمة تعارض وحـــدة النضال العربي ، فضلا ان اكثرهـا كان يعيش في دوامـــة الخصومات والخلافات العقيدية والسياسية ، ويصعب في حال كهذه ، ان تلتقي على ميثاق مشترك موحد . غير ان الحزب في مراحل وظروف معينة ، استطاع في الاقطار التي نمت فيهـــا قوته الشعبية ، ان يضطلع بدور فعال باقامة جبهات وطنية كان لها تأثير ملحوظ في دفع الحركة الشعبية نحو التقدم والنمو.. ففي عام ١٩٥١ ، أصدر مجلس الحزب بيانا يدعو فيه الاحزاب العربية الاشتراكية للعمل الموحد وفق ميثاق مشترك ، ولتحقيق اهداف الامة في التحرر السياسي والاجتماعي، ومما جاء فيـه «ان حزبنا لينادي من جديد باقامة (جامعة شعبية عربية) (٥٠).. تلغي تلك الجامعة الشكلية من الوجود وهو يدعم بكل قواه وحدة النضال الشعبي العربي، ويناشد الاحزاب الاشتراكية الصحيحة في كل الاقطار العربية الى جمع جهودها وتوحيد عملها ، بل الى وضع ميثاق قومي مشترك يسير بالشعب الى غاياته في الغاء المعاهدات الاستعمارية وتحرير الوطن العربي ، والى ازالـــة الحكم الاقطاعي الذي يميت البلاد . ان توحيد النضال الشعبي من اجل اقامة حكم شعبي ، هو وحده السبيل الى كل هدف عربي كبير» (٥١) .

---

٥٠ ـ كان قد طرح هذه الفكرة منذ ١٩٤٥ .

٥١ ـ نشرة عن مجلس الحزب المنعقد باللاذقية في اوائل تموز ١٩٥١ .
نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٧٠ .

وفي بيان للحزب بالعراق عام ١٩٥٣ ، وردت مبررات وحدة النضال العربي الشعبي «بأنها كفيلة بتحطيم جميع مؤامرات الاستعمار والرجعية . فالاستعمار الذي يشكل معها وحدة لا تتجزأ في خطرها واستغلالها ، يجب ان يقابل بنضال عربي شعبي موحد يظهر حيوية هذه الامة بصورتها الصحيحة لا صورتها الاقليمية الضعيفة التي شوهتها التجزئة الاقليمية»(٥٢).

وفي مقال في «العربي الجديد» ، بعنوان (وحدة النضال العربي) يعالج اسباب فشلها وكيفية تحقيقها ، فيقول «والفكرة هذه بالرغم من سمو اهدافها ونبل مقصدها وضرورة تحقيقها بحاجة ماسة الى البحث العميق في كيفية تطبيقها ، اذ ان مجرد الدعوة اليها واغفال الكيفية التي بواسطتها نصل الى تحقيق الفكرة ، ستفقد هذه قيمتها الحقيقية السامية .. ولكننا لو تعمقنا قليلا لوجدنا ان العقلية التي تسير هذه المنظمات قد ارتبطت ارتباطا وثيقا في الحدود الاقليمية الضيقة التي تعيش فيها .. فهي تستلهم من ظروف الاقليم وامكاناته المادية والمعنوية جميع ما تقترحه من حلول وما تؤمن به من افكار . ان هذا الطوق الشديد الذي فرضته ظروف التجزئة الشاذة ، يعتبر المعرقل الاول والاساسي الذي حال وسيحول دون وحدة نضال هذه الهيئات ، ونحن ان اردنا لها في انحاء الوطن العربي الكبير ان توحد نضالها فما علينا الا ان نبدأ بدعوتها الى التخلص من أدران العقلية الاقليمية ، عقلية التجزئة ... ان ما ردده رائد الجيل العربي الجديد (لا نستطيع ان نحقق وحدة النضال ما لم نمارس نضال الوحدة) ، هو الذي يعطي حلاً : صحيحا متينا، ويصور لنا الحقيقة واضحة المعالم» (٥٣) .

---

٥٢ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٣ .

٥٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

وفي بيان للحزب في لبنان ورد «ان حرية العرب واحدة لا تتجزأ ، وان وحدة النضال العربي هي سبيله الوحيد لحل قضيته» (٥٤) .

وبما ان العمل الجبهوي يعبر عمليا والى حد كبير عن شعار (وحدة النضال العربي) فقد اصبح لزاما علينا ان نذكر موقف الحزب والفئات الاخرى من قضية الجبهة التي طرحت في ظروف معينة ، وفي اكثر من قطر عربي ، محاولين توضيح فهمه وتصوره لها ومدى نجاحه في اقامتها والعوامل التي كانت تدفعه لطرحها والالحاح عليها ..

كان الحزب منذ نشأته يرفض التعاون مع الاحزاب المرتبطة بالاجنبي والمعادية لفكرة القومية العربية ، والمتجاوبة في تفكيرها وعملها مع الحكام الذين يعارضهم الحزب لفساد منطقهم وسياستهم، بينما كان يقبل بالتعاون مع الشخصيات المستقلة والفئات الوطنية ، وعلى هذا الاساس مارس عملا جبهويا عام ١٩٤٦ ، ونجح في حمل الحكام في القطر السوري على التراجع عن المراسيم التشريعية التي حاولوا بها تقييد الحريات العامة . وفي عام ١٩٥١ ، دعا لاقامة جامعة شعبية ، ووضع ميثاق جبهوي تعمل بموجبه الاحزاب الاشتراكية العربية .

وفي النصف الثاني من الخمسينات ، بدأ الحزب يعرب عن تقديره لثورتي مصر والجزائر ، ويتطلع للتعاون معهما ، ويعتبرهما مع حركة البعث «حركات اصيلة عميقة تتكلم نفس اللغة .. وتعلن نفس الاهداف والمبادىء وتناضل من اجل نفس الغايات والاهداف» (٥٥) .

---

٥٤ ـ اوائل نيسان ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الثامن ط٢ ، ص٧١ .

٥٥ ـ في سبيل البعث ص ٢٦٤ .

وفي نشرة داخلية للحزب في لبنان ورد «ان التفاعل بين حركة البعث وحكم مصر وثورة الجزائر اذا كان قد ادى الى قوة حركة التحرر العربي ، فلا شك في ان هذا التفاعل ينبغي ان يزداد الان بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة» (٥٦) .

على ان الحزب **لم يستطع تحقيق فكرة الجامعة العربية الشعبية أو الجبهة على الصعيد القومي للاسباب التي سبق ان اشرنا اليها قبل قليل ، في حين انه على الصعيد القطري وحيث نما حجمه واشتد تأثيره الشعبي ، وبخاصة في سورية والعراق والاردن، تمكن من اقامة جبهات وطنية بالتعاون مع بعض الفئات السياسية .**

ففي القطر السوري :

كان قد تعاون مع الحزب العربي الاشتراكي ، لمقاومة الحكم الديكتاتوري في مطلع الخمسينات ، وانتهى هذا التعاون الى تحقيق الدمج الكامل بينهما في ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وسنذكر فيما بعد عوامل هذا الدمج ومبرراته .

اما المنظمات السياسية التقليدية التي كانت تتناوب على تسلم الحكم قبل الانقلابات العسكرية ، **كحزبي الوطني** والشعب ، فلم تستجب لدعوة الحزب الى الجبهة الا في وقت متأخر، وحينما ظهرت علائم الاعياء والانهيار على النظام الديكتاتوري ، في حين انها احجمت عن ممارسة اي نشاط ضده ، عندما كان يمارس البطش والارهاب . وان أنس لا انس ،

---

٥٦ ــ آذار ١٩٥٨ . نضال البعث الجزء الثامن ، ص ١١٣ .

ذلك الجواب السلبي الرافض لابسط مستلزمات النضال الشعبي والذي سمعته من احد قياديي الحزب الوطني البارزين عندما طالبناه بالعمل المشترك والقيام «بتظاهرات شعبية» (٥٧).

وعندما وافقت الاحزاب والقوى السياسية التقليدية على عمل جبهوي وفق ما عرف بجبهة ميثاق حمص ، كان الحزب هو الداعي والموجه ، كما احتفظ دائما بهويته وشعاراته النضالية حتى ضمن الجبهة (٥٨) .

اما الحربان الشيوعي والسوري القومي الاجتماعي ، فقد اتجها للتعاون مع هذا النظام والافادة من شعوره بالتعب والافلاس من جراء العزلة الشعبية الخانقة التي احاطت به ، حتى اذا ما انهار بتأثير المقاومة الشعبية الضارية التي قادها حزب البعث، بدأت الاحزاب التقليدية والمحافظة بالتعاون فيما بينها للاستئثار بالحكم . ولكن الحزب استأنف نشاطه ، واستطاع ان يستقطب عددا غير قليل من المعارضين والمستقلين في المجلس النيابي ، وأن يسهم بتشكيل حكومة ائتلافية لمدة عام ونصف ، ثم بحكومة (التجمع القومي) منذ عام ١٩٥٦ ، وحتى قيام الوحدة ، وذلك لمقاومة الرجعية المتكتلة والعاملة على ربط سورية بعجلة الاحلاف الامبريالية ولاسيما حلف بغداد ، وللمحافظة على السياسة التحررية التي انتهجها القطر السوري والمتمثلة بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، ومقاومة

---

٥٧ ـ هو السيد صبري العسلي (رئيس وزراء سابق) اذ قال «لا اوافق على التظاهرة المقترحة لان سقوط طربوشي على الارض بسبب مشاركتي فيها اعتبره اهانة لي» . وهكذا يتبين مدى التعارض بين منطق الاحزاب العقيدية الثورية ، ومنطق الاحزاب التقليدية المنتمية للفئات الحاكمة .

٥٨ ـ نشرة داخلية بعنوان : «موقفنا السياسي من الشيوعية» ، كانون الثاني ١٩٥٦ .

الامبريالية والصهيونية بجراة ووضوح ، وبالدعوة الى الاتحاد بين سورية ومصر كخطوة في طريق الوحدة الشاملة ..

ومن المفيد ان نذكر هنا بعض ما ورد في ادبيات الحزب حول شروط العمل الجبهوي ومبرراته .

ففي نشرة داخلية صدرت في القطر السوري في اواخر عهد الشيشكلي أثر مؤتمر ضم قياديين من عدة اقطار عربية ، نجد القرار التالي : «يعتبر المؤتمر العمل ضمن جبهات امرا تكتيكيا وليس مبدئيا ويتقرر بالنسبة لكل حالة على ضوء ظروفها . اما ان يتخذ هذا التعاون شكل الجبهة التي ينادي بها الشيوعيون فأمر لا يوافق عليه الان والى اشعار آخر . وعند التعاون في حالات معينة استثنائية يشترط ان لا يكون هذا التعاون مقصورا على حزبنا والشيوعيين وحدهم ..» (٥٩) . كذلك فقد حددت نشرة داخلية اخرى الموقف من الشيوعيين كما يلي : «اما الان وشبح الحرب العالمية قد ابتعد فستصبح مهمة الشيوعيين التسرب الى صفوف الحركات الوطنية ، ومحاولة قيادتها او الاشتراك في قيادتها على أقل حد ، اشتراكا يتيح لهم العمل ونشر دعوتهم من جهة ، وسد السبيل على الحركات التقدمية الاشتراكية الديمقراطية القومية ــ كحزبنا ــ من ان تتولى قيادة الجماهير الشعبية وتنظيمها .. وتركيز الشيوعيين على ما يسمى الجبهة الوطنية هو المظهر الواضح لهذه السياسة» (٦٠) .

وفي نشرة داخلية صادرة عن المكتب الثقافي بالقيادة القومية نجد ما يلي :

---

٥٩ ــ تشرن الاول ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ٤٢ .

٦٠ ــ كانون الاول ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٢٢٨ . كذلك أعيد طبع هذه النشرة في الاردن في شباط ١٩٥٤ .

«والضمانة في جميع هذه الحالات هي ان يكون حزبنا هو الذي يختار الظرف والزمن لمثل هذا الالتقاء ، وان يدخل التعاون وهو مسلح بنضال القوى الشعبية التي تضغط وتهدد وتفرض بقوة نضالها ، منع استغلال الفئات الرجعية لهذا التعاون ... وعلى الحزب ان يحتفظ ضمن هذا التعاون بصفته الانقلابية ، فلا تحرفه مصالح الفئات الاخرى ، وأن يخرج دوما من هذه العمليات وقد ازدادت انقلابيته وضوحا ، وقوته النضالية نموا وتماسكا ... ويجيز حزبنا التعاون كوسيلة للدفاع عن النفس عندما تتكتل جميع القوى الرجعية المدعومة بالقوى الاستعمارية بقصد القضاء على الحركة الانقلابية ..» وتمضي النشرة الى القول «ليكن دوما واضحا في أذهاننا ، اننا بالرغم من اعترافنا بامكان التقاء الاحزاب الوطنية في ساعة الخطر لدفع غزو اجنبي التقاء موقتا تضمن يقظة الشعور القومي وسيطرة الروح الشعبية الجماعية ، نقف دوما موقف الحذر سواء من دعوة الاحزاب المحافظة او من دعوة الاحزاب الشيوعية الرامية الى خلط الحابل بالنابل ، وطمس وجه الحركة الانقلابية ، ولا يقبل الحزب ان يكون التعاون على حساب مبادئه» (٦١) .

اما في العراق :

فقد بدأ الحزب بدعوته الى الجبهة في عام ١٩٥٤ لمقاومة حلف بغداد ، وارهاب نوري السعيد ، وامعانه في عزل العراق عن السياسة العربية المتحررة . وكانت علاقته مع حزب

---

٦١ ـ موقفنا السياسي من الشيوعية ، كانون الثاني ١٩٥٦ .

الاستقلال ودية ، لأن عددا من البعثيين كانـــوا استقلاليين ، ولأن له بعض المواقف الجيدة من القضايا القومية ، وبخاصـــة قضية فلسطين ، «بينما كانت علاقة الحزب بالقوى السياسية الاخرى كالشيوعيين والوطني الديمقراطي والجبهة الشعبيـــة والاخوان المسلمين غير ودية» (٦٢) .

وفي نشرة سياسية للحزب ورد قوله «كان اول ما تنبهنـــا اليه وبدأنا الان للعمل له هو الاتصال بقيادة حزبي الاستقـــلال والوطني الديمقراطي ، لاقناعهم بضرورة العمل الجماعي المشترك لمقاومة وزارة نوري السعيد واسقاطها ، واحباط ما تبنيه مـــن مشاريع ومؤامرات وخطط استعمارية» (٦٣) .

وفي ذلك العام نفسه اعلنت الاحزاب عن قيام جبهة لخوض الانتخابات النيابية ، فرفض الحزب دخولها ، لانها اقتصرت على الجانب الانتخابي ، فضلا عن وقوع الخلاف مع الشيوعيين الذين أصروا على ان يكون التمثيل ايضا للاحزاب والمنظمات الشعبية التي تعتبر واجهة لهم (٦٤) ، هذا بالاضافة الى رغبة الحـــزب بتركيز جهوده على بناء تنظيمه وتقويته. وعندما جرت الانتخابات ونجحت بعض العناصر الوطنية المعارضة ، تسلم نوري السعيد الحكم فحل المجلس والاحزاب السياسية وعطّل الصحافـــة ومارس الارهاب وبعدئذ حاولت هذه الاحزاب ان تتجمع فـــي تنظيم واحد على غرار حزب المؤتمر الهندي (٦٥) ... ولكنهـــا

---

٦٢ ـ تقرير للرفيق جعفر قاسم حمودي ، ٢-٣-١٩٧٢ .

٦٣ ـ النشرة السياسية اوائل كانون الثاني ١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٧٢ .

٦٤ ـ تقرير ، دحام الالوسي ، ص ١٥ .

٦٥ ـ ندوة مع عدد من الحزبيين القدامى في العراق ١٤-٤-١٩٧٥ .

ارادت اضفاء الصفة الشرعية والقانونية على تجمعهـا ، وان تتحرك بترخيص الحكومة . اما الحزب فقد وضح رأيه بهذا المنطق في آب من عام ١٩٥٦ ، فقال :

«لا بد من عمل سريع وحاسم .. للسير بالعراق في طريق تحرري واضح يخدم قضية العرب في تحررهم كليا من نفوذ الإستعمار وسيطرته وفي سيرهم لتحقيق وحدة الوطن العربي، وكذلك فان اشتراط اسباغ الصفة القانونيـة على الجبهـة الوطنية ــ او الائتلاف الوطني او المؤتمر الوطني ــ لم يعد واردا الان ، ما دامت الغايات التي يطلب الشعب استهدافها والعمل من اجلها لا يمكن ان تؤدي الى تسهيل امر الحصول على هذا الاشتراط (الترخيص الرسمي بالعمل) . فمهمة الجبهة الوطنية اليوم اعداد النضال الشعبي ، ومن ثم وبأسرع وقت ، الشروع لتحطيم حلف بغداد والنضال مـن اجل الحريات المسلوبـة والمعطلة ..

لقد جرب الشعب الوانا من الائتلاف والتعاون وهو لا يريد ان يلاقي الشكل الجديد من الائتلاف الوطني ، المصير الـذي انتهت اليه جبهة سنة ١٩٥٤ ، الوطنية» .

ثم يمضي الى تحديد مبررات الجبهـة وأسلوب عملهـا فيقول .. «ان حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق خاصة وفي جميع اجزاء الوطن العربي ، سيتبنى وسيدعم بكل قواه، اية دعوة تعمل من اجل تحقيق وحدة عمل جميع الاحـزاب الوطنية ، من اجل انقاذ العراق من حلف بغداد والوضع الارهابي الناجم عنه .. ولكنه في نفس الوقت يشترط لكل تعاون ان يستهدف بالفعل النضال العملي من اجل تحقيق هذه الامـور الخطيرة،فبغير هذا الشرط يصبح التعاون والائتلاف مجرد سراب

خادع يلهي الشعب ويؤخر التحرر» (٦٦) .

وفي نشرة داخلية صدرت في ايلول عام ١٩٥٦ ، أكــد الحزب «ان تعاون الاحزاب وائتلافها في جبهة وطنية» او توحيد عملها بأي شكل من الاشكال ، اصبح ضرورة لم تكن في اي وقت مضى اشد من حاجتنا اليها اليوم .. وطوال هذه الفترة (عامين) لم يتأخر حزبنا عن اعلان هذه الحقيقة ودعوة الشعب والهيئات السياسية للعمل على تكوين الجبهة الوطنية . ولم نكن فـي دعوتنا هذه مدفوعين برغبات لا يهمها سوى تحقيق بضعـة مكاسب حزبية ، وانما يدفعنا الى ذلك ايمان مخلص بأن سلامة الوطن المهددة بالاخطار يجب ان تجابه بالتضحية بالكثير مـن مصالح الافراد ومكاسب الاحزاب» (٦٧) .

واخيرا وبعد جهود مضنية وتوعية مستمرة لاهمية الجبهـة وضرورتها نجح الحزب والقوى الاخرى في اقامة جبهة اتحـاد وطني واسع في العراق ضمت البعث والشيوعي والاستقـلال والوطني الديمقراطي والوطنيين المستقلين ، واصبح لهـذه الجبهة لجنة وطنية عليا وميثاق وطني أعلن في آذار من عـام ١٩٥٧ .. وفي اواسط تشرين الثاني اجتمع المؤتمر القطـري الرابع للحزب وبحث اوضاع جبهة الاتحاد الوطني وأسبـاب ضعفها ووسائل تقويتها ، ومما ورد في تقرير للمؤتمر «ان جميع الحقائق تشير الى ان اي حزب من الاحـزاب ليس بمقدوره منفردا تحقيق اهداف الشعب في الوقت الحاضر ، وقيـادة نضال ناجح من اجل تحرير العراق من ربقة الاستعمار ... وان الاجماع على ضرورة التعاون الوطني ، والحاجة الى تقوية جبهة

---

٦٦ ـ «الاشتراكي» ، العدد الخامس ـ تموز ـ آب ١٩٥٦ . نضـال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

٦٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

الاتحاد الوطني وترسيخها لن يمنع من ظهور آراء مختلفة وتيارات متباينة تتناول اوضاع الجبهة ومستوى النشاط فيها ومدى نجاحها في قيادة نضال الشعب من اجل اهدافه الوطنية الكبرى» (٦٨) .

ويشير التقرير الى «ان عددا كبيرا من ابناء الشعب يرى ان الجبهة عجزت حتى الان من تأدية المهمات الوطنية كما كان ينتظر منها» ، كما يشير الى عوامل التعثر والضعف وتتلخص في انها «لم تشكل الا منذ اشهر معدودات» ، وان النظام استخدم اساليب الوعيد والارهاب والضغط ، الى جانب الوعد والاغراء وشراء الذمم ، بالاضافة الى ان الزمن القصير الذي انقضى على قيامها لم يكن كافيا لصهر الخلافات والحساسيات القديمة التي كانت قائمة بين الاطراف المشتركة فيها .

ويمضي التقرير بتحديد وسائل تطوير الجبهة وتقويتها فيرى ضرورة السعي «لتحقيق الانسجام وسيادة روح العمل الجدي الفعال» ... ووضع الاحزاب جميع ما تمتلك من امكانيات لتحقيق اهداف الجبهة لان «مسألة الضعف والاهمال لا تعالج بمزيد من الضعف والاهمال» . ثم أكد في توجيهه الى الحزبيين على «ان من واجب كل عضو في الحزب تحمل أعباء النضال كاملة ، سواء كان ذلك في تنظيمات الحزب او الجبهة او في قيادة نضال الشعب» (٦٩) .

لقد استمرت الجبهة بنشاطها الذي كان للحزب فيه دور بارز كبير ، الى ان قامت ثورة الرابع عشر من تموز ، حيث اشترك الحزب بالحكم لاول مرة .. ولكن هذه الثورة ما لبثت

---

٦٨ ــ المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .
٦٩ ــ المصدر السابق ، ص ٢١٠ ــ ٢١١ .

ان انحرفت عن اهدافها ، وحدث الانشقاق بين قادتها وانتهى الى عزل العراق من جديد عن ركب السياسة العربية الوحدوية المتحررة ، وبدأ الحزب يعارض النظام الذي قاده عبد الكريم قاسم ، وخاض معه صراعا مريرا انتهى آخر الامر ، بانهيار النظام وانتصار الحزب .

اما في الاردن :

فقد تعاون الحزب مع بعض الاحزاب السياسية كالحزب الوطني ، والقوى المستقلة منذ عام ١٩٥٤ .. ولاسيما عندما برزت الحاجة لمقاومة حلف بغداد وتحرير الجيش الاردني من القيادة والتمويل البريطانيين ، وتحقيق المزيد من الحريات العامة، واستطاعت الحركة الوطنية بالفعل، ان تحقق انتصارات مرموقة في هذه المجالات وأن تطبع سياسة الاردن بطابع السياسة العربية المتحررة حتى نيسان من عام ١٩٥٧ (٧٠) . ومما ساعدها على ذلك ان حكومتي سورية ومصر قاومتا الاحلاف العسكرية بقوة وتمسكتا بسياسة الحياد وعدم الانحياز، واتجهتا لتحقيق خطوات وحدوية .

ـ ٤ ـ

النضال من اجل فلسطين والاقطار العربية الاخرى

١ ـ القضية الفلسطينية :

في مرحلة النمو والتوسع في حياة الحزب ، تصاعد

---

٧٠ ـ في ظل حكومة النابلسي الائتلافية والتي شارك فيها الحزب .

الاهتمام بقضية فلسطين ، لانها ما زالت في نظره (القضية الكبرى بالنسبة للعرب ، بل هي خلاصة قضيتهم) (٧١) ويمكن القول بصورة عامة ان نضال الحزب ضد الاستعمار والاحلاف العسكرية ومن اجل التحرر والوحدة ، وجل نشاطه السياسي على الصعيدين العربي والدولي كانا متأثرين بل مرتبطين بشكل او آخر بقضية فلسطين ..

ولهذا لم يفوت مناسبة يمكن فيها توعية الجماهير على ابعاد هذه القضية ، وخطورتها على مستقبل الثورة العربية ، الا استغلها لتوضيح الاهداف التي ارادها الاستعمار من خلق اسرائيل ، والدور الخطير الذي يمكن ان تضطلع به ، لاعاقة الشعب العربي عن السير في طريق التحرر والوحدة والتقدم الاجتماعي ..

ففي بيان له بذكرى وعد بلفور والتقسيم ورد ان «هذه الدول الاستعمارية تواصل تآمرها على وجود الامة العربية ونهضتها حتى تم لها اخيرا انشاء دولة اسرائيل الباغية في قلب وطننا كأكبر معرقل لوحدته ونهضته ، على حساب مليون من المواطنين العرب في فلسطين ، قتلوا وشردوا من ديارهم على افظع شكل عرفه التاريخ» (٧٢) .

وفي بيان آخر عن دوافع الاستعمار من خلق اسرائيل في قلب الوطن العربي ، يشير الى تحقيق غايتين : الاولى ، ان تكون هذه الدولة ركيزة للاستعمار يهدد به الامة العربية في نضالها للتحرر من الاستعمار ، والثانية : ان تكون هذه الدولة اساسا

---

٧١ — «البعث» العدد ١ تاريخ ٢٠-٤-١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٣٦ .

٧٢ — دمشق ٢-١١-١٩٥٤ . المصدر السابق ، ص ١٨ .

يرتكز الاستعمار اليه في اجبار العرب دوما على التفكير في حماية انفسهم منه ، وبالاتجاه الى الاستعمار بدلا من الاتجاه نحو انفسهم لتقويتها. والوحدة اهم عوامل التقوية ـ لدرئه ومن ثم القضاء عليه ، ولم يتنازل الاستعمار الغربي عن هذه الخطة ..»(٧٣) .. ومما ورد ايضا «ان اسرائيل قاعدة للاستعمار دون شك ، فهو الذي خلقها ويدافع عنها ويغذيها لهذه الغاية واسرائيل ايضا تعبير عن قوة الصهيونية العالمية التي تستطيع ان تسخر الاستعمار والاستعمار يسخر اسرائيل» (٧٤) ..

ثم يحدد الحزب دور امريكا ومصلحتها في اقامة اسرائيل، والاستمرار في دعمها فيقول **«لم تكن مساهمة امريكا في خلق هذه الدولة حبا باليهود ، ولا خضوعا لضغطهم المستمر فحسب، بل لعرقلة وحدة الامة العربية وتحررها واستخدام اسرائيل كوسيلة للضغط على الدول العربية لضمان خضوعها لتوجيهات السياسة الامريكية ، وأخيرا كقاعدة عسكرية مضمونة لا شك في ولائها لامريكا ..» (٧٥) .**

وفي بيان آخر يضيف مبررات اخرى لخلق اسرائيل وهي «ان الاستعمار لا يزال يجعل من اسرائيل والصهيونية اداة للضغط على العرب في سبيل الابقاء على مصالحه وسيطرته ولتبديد الطاقة العربية الثائرة عليه ، وتثبيت الرجعية العربية،

---

٧٣ ـ «البعث» العدد ٦٧٤ تاريخ ٥ شباط ١٩٥٥ . المصدر السابق ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

٧٤ ـ «البعث» العدد ٦٣ تاريخ ٢٧ تموز ١٩٥٧ . معركة المصير الواحد ، ط٤ ، ص ١٨٢ .

٧٥ ـ «الاشتراكي» العدد ٩ أواسط آذار ١٩٥٧ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٧٦ .

المتآمــــرة معه ، ولاجبار العرب علــــى القبول بخططــــه واحلافه ..» (٧٦) ..

هكذا يتبين ان الحزب يعي بعمق مبررات خلق اسرائيل ، ويدرك بوضوح تام ما يهدف اليه الاستعمار من وراء خلقهـــا ودعمها ، وكان حريصا باستمرار على توعية الجماهير على ذلك، انطلاقا من ايمانه بأن قدرتها على التحرك والنضال مرتبط الى حد كبير، بمدى ادراكها ووعيها لهذه الحقائق من جهة ، وبمدى ما تتاح لها حرية العمل والتنظيم والقيادة الواعية من جهـــة ثانية .. على ان الحزب لم يقف عند حدود الشرح والتوضيح لدوافع خلق هذا الكيان المصطنع وخطر استمراره على مصـير الامة العربية ، ولم يقتصر في نشاطه على أسلوب النـــدوات والبيانات والتظاهرات ، بل كان يتقدم بمقترحات عملية ومن أفق انساني تقدمي حول وسائل التخلص منه ، وسبيل الانقاذ من واقع الجمود والتخلف والضعف وصولا الى التحرر التام من ضغوط ومؤامرات الامبريالية والصهيونية ..

ومما اكد عليه في هذا المجال ضرورة مشاركة الجماهـــير والاعتماد عليها ، والثقة بها ، لانها تمتلك طاقات ضخمة ولكنها كامنة مهدورة ، ويمكن تفجيرها او تثويرها اذا ما أتيحت لهـــا حرية العمل والنشاط بقيادة ثورية واعية .. وعلى صعيـــــد الخطوات السياسية المرحلية شدد الحزب على مقاومة الاحلاف والمعاهدات الاستعمارية المكبلة لحرية العرب والمؤدية لدعـــم الكيان الصهيوني ، وعلى ضرورة قيام خطوات وحدوية والاعتماد على الذات وحشد الطاقات العربية واستخدام النفط ، والكفاح

---

٧٦ - بيان القيادة القومية في ١٧-٤-١٩٥٦ . نضال البعث ، الجـــزء السادس ط٣ ، ص ٣٧ . وقد اعيد نشر البيان نفسه في الاردن بتاريـــخ ٢٢-٤-١٩٥٦ . **الاحداث التي اعقبت هذه الاقوال جاءت مؤكدة لتحذيرات الحزب وتقديراته. واصبحت هذه لشدة وضوحها تفقأ العين. ولكن يبدو ان العرب الحكام لايرون ولايسمعون ولايشعرون بالاخطار والتحديات او ما لجرح بميت يلام**

الشعبي المسلح ، كما أكد على اهمية المقاطعة الاقتصادية ، ورفض كل المشاريع المؤدية لتجميد القضية الفلسطينية وتصفيتها ، كمشروع توطين اللاجئين وتدويل غزة والقدس وخليج العقبة ومشروع جونستون في استثمار مياه نهر الاردن، او اي مكسب جزئي يقود الى الصلح مع الكيان الصهيوني او الاعتراف به وتثبيت وجوده .. **ولتوضيح هذه النقاط نورد الفقرات التالية من تراث الحزب :**

- «ان الحل الوحيد لمشاكل العرب ـ ومن جملتها مشكلة فلسطين ـ هو في انطلاق الحركة الشعبية في طريق ثوري تقدمي منظم ، يجرف الظلم الداخلي والخارجي في آن واحد ، ويضع حياة العرب في تيار العصر الحديث والقيم الانسانية الخالدة» (٧٧) ..
- وفي بيان آخر يقول الحزب «واذ نرى في رفض الصلح مع السلطات الصهيونية ورفض الدخول معها في اية علاقة مهما كان نوعها ، وفي تشديد المقاطعة الاقتصادية باعتبارها احدى الوسائل الفعالة في المرحلة الحاضرة من كفاح الامة العربية ضد الصهيونية ، لنرى ان هذا يعني بالطبع رفض كافة المشاريع التي ترمي الى تصفية القضية الفلسطينية ، وفي رأسها مشاريع اسكان اللاجئين» (٧٨) .
- «يعتبر الشعب العربي دعوة نوري السعيد للصلح مع اسرائيل ، وتصفية قضية فلسطين تصفية نهائية بدافع

---

٧٧ ـ من بيان للحزب في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٤ . نضال البعث الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٩ .

٧٨ ـ بيان الحزب في المجلس النيابي السوري في شباط ١٩٥٥ . المصدر السابق ، ص ٧١ .

حرصه على مصالح الاستعمار الغربي ، وقلقه على نفوذه ، اعتداء صارخا على ارادته وفي أخطر قضية عربية ، لن يتسامح في التفريط بهذه القضية الكبرى ، ويرى ان اي حل لمسألة فلسطين يجب ان يستهدف عودتها عربية حرة، ويحارب اي مكسب جزئي ينتهي بتصفية هذه القضية ، وتثبيت كيان اسرائيل ، لان قيمة اي مكسب ستنعدم امام ضياع الهدف الرئيسي الذي لا نقبل التراجع عنه وهو تحرير فلسطين .» (٧٩) ..

- «ان الشعب العربي اذ يعتبر قضية فلسطين قضيته الكبرى، يرى اليوم ان اي تساهل تبديه اي حكومة عربية في هذا الشأن (تدويل غزة وخليج العقبة) يعني التفريط بقضية عربية كبرى وسيؤدي الى دعم كيان اسرائيل واخفاق الحصار الاقتصادي المضروب عليها ، وسيؤدي ايضا الى فرض حلول اخرى وتشكيل نقاط تهديد جديدة .. لا شك ان الاستمرار على منع تدفق النفط العراقي الى البحر الابيض المتوسط حتى يتم جلاء القوات اليهودية ، وايقاف عمليات التطهير في قناة السويس ، وتشديد الحملة على الاستعمار وتهديده ، سيكون طريقا ناجحا من طرق الضغط ..» (٨٠) .
- يقوم منهاج الحزب على ان «الصهيونية حركة استعمارية غازية واسرائيل هي التجسيد السياسي لهذه الحركة ، وهما يهددان الكيان القومي العربي .. وهو يرى :

---

٧٩ ـ بيان الحزب في العراق في ١٤-١٠-١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

٨٠ ـ من بيان الحزب في العراق في ٢٦ شباط ١٩٥٧ . المصدر السابق ، ص ١٧١ .

١ ـ رفض الصلح مع اليهود بأي شكل من أشكاله ، ورفض الاعتراف باسرائيل بشكل مباشر ، او غير مباشر ومقاومة كل اتجاه نحو ذلك ..
٢ ـ الابقاء على القضية الفلسطينية حية ، ومقاومة كل محاولة لتصفيتها ، بغير حلها على اساس القضاء على اسرائيل واسترداد الوطن السليب ..
٣ ـ رفض استيطان اللاجئين بأي شكل من أشكاله ، لان في هذا محاولة استعمارية لتصفية القضية واعتبارها مجرد مشكلة لاجئين انسانية ، بينما هي مشكلة وطن وشعب وقومية ..
٤ ـ رفض مشروع جونستون وأمثاله من المشاريع التي تهدف بحقيقتها اعتراف العرب باسرائيل واستيطان اللاجئين ..
٥ ـ الاستعداد العسكري والمادي والمعنوي وتعبئة القوى القومية العربية.. ودفع حركة التحرر والاتحاد العربية الى أمام باعتبار ذلك من أهم شروط النصر .
٦ ـ استمرار تشديد الحصار الاقتصادي على اسرائيل وإحكام المقاطعة حولها ..
٧ ـ قبول المعونةالعربية كبديل للمعونةالبريطانية بالاردن.. وتبني الاتحاد بين سورية ومصر ، والعمل لدخول الاردن فيه .. والعمل لتحقيق وحدة جيوش الدول العربية المحيطة باسرائيل وحدة حقيقية . والغاء المعاهدة البريطانية ومقاومة الاحلاف الاستعمارية ..» (٨١) ..

---

٨١ ـ بيان بمناسبة انتخابات الاردن ، ايلول ١٩٥٦ . انظر كراس : «البعث .. وقضية فلسطين» الجزء الثالث ١٩٥٥ ـ ١٩٥٩ (السلسلة الحمراء) ص ٧٨ ـ ٧٩ .

وفي تصريح لامين عام الحزب نشرته جريدة «البعث» في تموز عام ١٩٥٧ ، **يربط قضية فلسطين بالنضال التحرري الوحدوي الاشتراكي وبأفق انساني تقدمي ، فيقول :** «اذا عالجنا مشكلة اسرائيل في ضوء نظرتنا العربية الانقلابية التي تربط بها صورة المجتمع العربي بصورة العالم والمجتمع الدولي والانساني المقبل الذي يسهم العرب في تحقيقه» .. نصل الى النتائج التالية : **«ان ما يشكل خطرا على الامة العربية هو كيان اسرائيل كدولة لا وجود أقلية يهودية في الوطن العربي،** وان التعجيل في النضال التحرري الوحدوي وتحقيق خطوات سريعة وجذرية في هذين المجالين ، تقطع الطريق على اطماع الاستعمار في استخدام اسرائيل وعلى أطماع الصهيونية العالمية في استخدام الاستعمار في المحافظة على اسرائيل وتوسيعها . **والتعجيل في النضال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الاقلية اليهودية ، من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب ، كما يزيل او يضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدرار عطف الشعوب** الحرة والطبقات الشعبية على اسرائيل كدولة يراد لها ان تكون ملجأ لشعب مضطهَد ولشعب راق متقدم ... وأخيرا فان اصرار العرب على اتجاههم الانساني في المجال الدولي ، وتعاونهم مع الشعوب الاخرى في سبيل توطيد السلم والتقدم الاشتراكي لجميع الشعوب وسياسة الحياد الايجابي ، كل هذا يساهم في ازالة اسباب التعصب العنصري والديني في العالم ، ويساعد على اندماج الاقلية اليهودية في البلدان الاوربية ، وبالتالي يضعف مبررات وجود اسرائيل ..» (٨٢) .

---

٨٢ ـ «البعث» العدد ٦٣ تاريخ ٢٧ـ٧ـ١٩٥٧ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط١ ، ص ٢٨٣ ، او : معركة المصير الواحد ، ط٤ ، ص ١٨٣ـ١٨٤ .

٢) دعم الحزب لنضال الاقطار العربية :

كان الحزب يغتنم فرصة وقوع بعض الاحداث والمناسبات الوطنية في اي قطر عربي ، فيبادر لدعمه وتأييده بكتابة المقالات وتوزيع البيانات او بعقد الندوات وتحريك التظاهرات ، وذلك لسببين اساسيين : **اولهما ، لايمانه المطلق بوحدة المصير والنضال ، وكممارسة فعلية لنضال الوحدة ، وثانيهما ، لما في هذا التحرك والنشاط من تأثير على توعية الجماهير ، وايقاظ مشاعرها الايجابية تجاه القضايا القومية والوحدوية** . ولئن كانت كتابة مقال في صحيفة ، خطوة مفيدة في مجال التوعية للمواطنين ، فان توزيع بيان شعبي ، يعتبر من حيث الاهمية والتأثير، خطوة متقدمة على المقال، كما ان المؤتمرات والتظاهرات الشعبية ، تعتبر بدورها ، خطوة اخرى متقدمة على الوسيلتين السابقتين . وكان الحزب يعتمد كل الوسائل الممكنة والمتاحة له ، ويتقدم بمقترحات عملية ويطالب الحكام بتطبيقها ، كيلا يبقى نشاطه في اطار التعبير عن العواطف الطيبة ، والافصاح عن المشاعر الخيرة . وفي هذا المجال لا بد من التنويه ، بأن معظم البيانات الصادرة عن الحزب حول اي حدث قومي ، في اي قطر تتضمن ربط هذا الحدث بقضايا الوطن العربي وبأحداثه البارزة في تلك المرحلة ..

وبتعبير آخر ، **ان معالجة الحزب لاية قضية قطرية ، كانت تتم بإطار قومي ، وتربط بالقضايا القومية الاخرى** ، ولكن ما سنذكره من أمثلة ونماذج ، عن دعم الحزب لنضال الاقطار العربية ، مقتصر على ذكر الفقرات المتعلقة بالقطر الذي صدر البيان من اجله ، مع ابراز وجهة نظره ومقترحاته العملية ..

– ففي آب من عام ١٩٥٤ أصدر بيانا يندد فيه بالارهاب الفرنسي ضد الشعب العربي **في مراكش** ، ويدعو المواطنين الى

تظاهرات الدعم والتأييد ، وقد صيغ البيان بأفق قومي وشدد على وحدة النضال العربي ، كما طرح مقترحات عملية وأهاب بالحكومات العربية «مقاطعة فرنسا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية» (٨٣) .

وفي بيان آخر للحزب في العراق ، دعا الشعب لنصرة النضال العربي في مراكش، تميز بمنطلقاته القومية وصدق المشاعر وعمقها .. ومما جاء فيه «ان ثورات شعبنا المتكررة وانتفاضاته العديدة ، ووثباته الجبارة في ساحات الجهاد ، في المغرب العربي ، وفي ثرى فلسطين وفي تظاهرات دمشق الثورية ضد الدكتاتورية ، وفي وثبات الشعب الجبارة ضد مؤامرات الاستعمار والرجعية في بغداد .. ان هذه الوثبات ، دليل قاطع على حيوية شعبنا وقدرته البطولية على النضال المرير ضد الاستعمار والاقطاع والرأسمالية ..» (٨٤) .

بينما عمد الحزب بالاردن الى توقيع العرائض وعقد المؤتمرات ، وتنظيم التظاهرات الشعبية ، في معظم المدن الاردنية ، وخطب فيها البعثيون موضحين ما يجري من ظلم وعسف في المغرب العربي ، وحثوا المواطنين على التبرع ، وتعرضوا للاعتقال والمحاكمة ..

وفي نشرة دورية وصف الحزب معركته هذه لنصرة مراكش بأنها «كانت عملية ناجحة استطاع الحزب ان يشرك فيها الشعب من مختلف فئاته وأن يفسح له المجال للتعبير عن وعيه وتضامنه مع عرب المغرب العربي ..» (٨٥) .

---

٨٣ ـ جريدة «البعث» العدد ٦٣٣ في ٢٣ـ٨ـ١٩٥٤ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٨٦ .

٨٤ ـ ٢٤ـ٨ـ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٣ .

٨٥ ـ نشرة ايلول ١٩٥٣ عن المكتب الثقافي بالاردن .

اما بالنسبة لدعم ثورة الجزائر. فقد كان حماس الحزب لها شديدا وعارما . ففي بيان للقيادة القومية عام ١٩٥٥ ، ورد «ان شعبنا في المغرب، وخاصة في الجزائر بحاجة الينا، بحاجة الى أن ينجده العرب في أوطانهم ومهاجرهم بالمال والرجال والسلاح ، ليستطيع مواصلة نضاله القومي التاريخي .. وليكن شعارنا : ان حرية العرب لا تتجزأ ، وان وحدة المصير ووحدة النضال العربي هما فوق كل سياسة ومساومة ، وان كل استقلال جزئي لا يقترن بالنضال الجدي من اجل الوحدة ، هو شكل جديد للاستعمار .. لنتطوع ونتبرع من اجل حرية المغرب والجزائر .. لنفرض على الحكومات ان تسير باتجاه الشعب.. لنقاطع المستعمرين وشركاتهم وبضائعهم ومدارسهم ، ولنفرض على الحكومات العربية مقاطعتهم» (٨٦) . وقال الامين العام للحزب «ان العرب ليسوا مخيرين في هذه المعركة وفي نصرتهم لاخوانهم في الجزائر ، وليس الامر أمر عطف وعون لهؤلاء الاخوة ، بل دفاع عن المصير الواحد . لذلك يجب ان يرتفع وعينا لهذه القضية الى مستوى خطورتها الحقيقية ، وأن تصبح قضية الجزائر ونجاح ثورتها في رأس قضايانا القومية ، وان نعبر عن ذلك تعبيرا عمليا بتخصيص قسم جدي من موازنات الحكومات العربية للدفاع عن هذه الثورة ، كما تخصص هذه الحكومات المال لتسليح جيوشها وتأمين الخبز لأفراد شعبها » (٨٧) ..

وفي بيان آخر للحزب يهاجم فيه الحكومة السورية لانها «لم تكتف بتخاذلها عن امداد عرب الجزائر المناضلين ، بما هم

---

٨٦ – ٦–٧–١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ١٣ .

٨٧ – ١٧–٥–١٩٥٧ . معركة المصير الواحد ، ط٤ ، ص ١٥٥ .

في أمس الحاجة اليه من زاد ومال ورجال وسلاح . وانما لانها راحت تزود العدو الباغي .. بما يحتاج اليه في معركته ضدنا ، من زاد ومؤونة (تصدير الحبوب لفرنسا) » (٨٨) ...

ثم يمضي البيان لتقديم مقترحات عملية لدعم الثورة الجزائرية ، فيؤكد ان كل ما يهدف اليه العرب هو دفع الحكومات العربية للاسهام مع عرب الجزائر في المعركة عن طريق الضغط على فرنسا في مختلف الاقطار العربية ونسف مصالحها الاقتصادية والسياسية والثقافية والنفطية في الوطن العربي (٨٩) ..

وفي بيان للحزب في العراق ينبه الى ان الجزائر العربية تتعرض لأخطر مرحلة من مراحل كفاحها .. ويهيب بالشعب في العراق العمل من اجل حق اخوانهم عرب الجزائر ... وحمل حكومة العراق ودفعها لاسناد المجاهدين الاحرار في المغرب بجميع الوسائل ومختلف الطرق سواء فيالمحافل الدولية او في ارسال الاعانات المالية والطبية .. ومقاطعة فرنسا دبلوماسيا واقتصاديا واستنكار الموقف الضعيف الذي تقفه الحكومة لفسحها المجال للشركات والمعاهد الفرنسية (٩٠) .

وفي بيان للحزب في لبنان نجد تفاؤلا كبيرا بثورة الجزائر يبرز في العبارات التالية : «ان الشعب العربي في لبنان يؤمن بأن كل مشكلة عربية هي مشكلته بالذات ، وهو لا ينظر الى معركة الجزائر كمعركة تحرير قطر عربي فحسب ، بل كنقطة

---

٨٨ ــ ١ـ٦ـ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجز الثالث ط٣ ، ص ١٦١ .
٨٩ ــ المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
٩٠ ــ ٢٧ـ٣ـ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ . انظر ايضا ص ١٨٢ ــ ١٨٤ (مقال «الاشتراكي» اواخر نيسان ١٩٥٧) .

انطلاق لتحرير ثلاثين مليون من العرب في المغرب وخطوة جدية لتفجير قوى العرب الثورية والقضاء على الاستعمار واسرائيل، واطلاق كل امكانيات أمتنا لتحقيق وحدتها القوميـــة وأداء رسالتها ..» (٩١) .

وفي بيان للقيادة القومية للحزب **مطالبة بإبقاء النضـــال العربي في المغرب وحدة متماسكة ، وبأن تقدم الحكومات العربية الدعم الجدي بالمال والسلاح وبمقاطعـــة فرنسا سياسيـــا واقتصاديا وثقافيا، ويضيف الى هذه المقترحات التي نجدها في بيانات الحزب في كل قطر ، اقتراحا بالاستعانة بدول مؤتمـــر (باندونغ) لدعم نضال المغرب في هيئة الامم المتحدة (٩٢) ...**

وبعد : فلو اردنا ان نمضي بتدوين فقرات من بيانات الحزب في دعم الاقطار العربية الاخرى ، لضاقت بها الصفحات المحددة لها ، ولاقتضت حيزا كبيرا من الكتاب ، ولذلك او من اجل ذلك، نكتفي بالقول ان الحزب في جميع فروعه ، وحيث ما وجدت منظماته ، **كان يتحرك وينشط مع كل حدث مهم يقع في اي قطر عربي، كتأميم القناة والعدوان الثلاثي على مصر ، وقيـــام الوحدة السورية المصرية ، ومقاومة حلف بغداد ودعم الحركـة الوطنية في الاردن للتحرر من السيطرة البريطانية ، ودعم ثورة عدن في الجنوب العربي والانتفاضة الشعبية في البحرين .. الخ** .. كما كان يصدر بين حين وآخر بيانات هامة وشاملـة يوضح فيها رأيه وموقفه من القضايا والتطورات العربية المهمة.. ففي بيان ألقي ووزع باسم الحزب بمناسبة الاحتفالات التـــي

---

٩١ — أوائل نيسان ١٩٥٦ . نضال البعث الجزء الثامن ط٣ ، ص ٧١ .

٩٢ — ١٧-٤-١٩٥٦ . نضـــال البعث ، الجـــزء السادس ط ٣ ، ص ٣٨ — ٣٩ . وكما ذكرنا سابقا فقد أعيد نشر هذا البيان في الاردن في ٢٢-٤-١٩٥٦ .

أقيمت بدمشق بمناسبة عيد الجلاء عن القطر السوري في نيسان لعام ١٩٥٦ ، يعالج قضية فلسطين ودور الامبريالية والصهيونية في دعم «اسرائيل» والاصرار على استغلال الثروات العربية وبخاصة البترول ، وعلى التعاون مع الرجعية لضرب الاتجاه الاشتراكي والسياسة المتحررة «وتبديد الطاقات العربية الثائرة عليه ، ومن ثم تثبيت الرجعية العربية المتآمرة معه .. ولاجبار العرب على قبول خططه واحلافه» .. ثم يؤكد على اهمية الربط بين الوحدة والتحرر ، ويهاجم محاولة شطر الوطن العربي الى شطرين ، احدهما في آسيا والثاني في افريقيا ، ويشدد على خطر الاحلاف العسكرية ، وعلى اهمية الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، مع توضيح مضمونه واهدافه . ويرى قبول الاردن للمساعدة العربية ، كبديل للمعونة البريطانية ، ودخوله في اتفاقات ثنائية مع مصر وسوريا لاحكام الدفاع ضد اسرائيل . ويرى ان على لبنان «الخروج من جموده القائم حيال قضية الدفاع العربي ضد الخطر الصهيوني ودخوله في الاتفاقات الثنائية العربية» .. ثم ينتقل الى المغرب العربي فيرى فيه «صفحة مشرقة من صفحات النضال العربي القومي ، ومثلا رائعا من أمثلة التضحية والعزم ، ليؤكد باستمرار واجب الامة العربية في تأييد هذا النضال بالمال والسلاح ، تأييدا يتناسب مع جلال القضية وخطورتها ، ومع تضحيات الشعب في المغرب العربي وجسامتها» . وفي انتقاله الى الجزيرة العربية يرى ان «نضال الشعب العربي في البحرين وعدن صرخة تحررية جديرة بالشعب العربي وحكوماته ان تتجاوب معها جديا» .. ويعلن تبنيه لنضال المشيخات والمحميات العربية . وبعد ذلك ينتقل لتأييد المنطلقات الوحدوية والتحررية الواردة في البيان الثلاثي الصادر عن مصر وسورية والسعودية ، ولكنه ينتقد ما ورد فيه حول قضية المغرب العربي ، لانه لا يمكن ان يصدر عن نظرة

عربية قومية لمشكلة هذا الجزء من الوطن العربي ، ولا يستند الى نظرة صحيحة للحل القومي لها . واخيرا يناقش البيان الثنائي الاردني السوري وينتقد .. «صمته المريب من مسألة المساعدة العربية المعروضة من دول البيان الثلاثي ، لتحل محل المعونة البريطانية للجيش والحرس الوطني في الاردن» (٩٣) .. وفي بيان اصدره الحزب في الاردن في آب عام ١٩٥٦ بمناسبة تأميم قناة السويس يشير الى نضال الشعب العربي في مصر واقطار المغرب وسورية والى التظاهرات الدامية في البحرين وعدن ثم يدعو الشعب للتعبئة والتجنيد لمواجهة احتمالات العدوان الامبريالي على مصر ، كما يحذر الحكومات العربية من التردد والتخاذل في مواجهة اي عدوان محتمل ..

وبمناسبة تصريح لنوري السعيد في تشرين الاول عام١٩٥٦ يدعو فيه لحل قضية فلسطين بالتفاوض ، يصدر الحزب بيانا في العراق يهاجم فيه اخطار هذا الطرح ودوافعه الاستعمارية، وفضح اهداف البيان الثلاثي الغربي لعام ١٩٥٠ ، حول حماية اسرائيل ومصالح الاستعمار الغربي في المنطقة العربية . كما يتناول البيان نضال مصر بعد تأميم القناة ، ونضال الجزائر والاردن وسورية والجنوب العربي ، ويشدد على اهمية الربط بين ما يجري في هذه الاقطار العربية «باعتبارها قضية واحدة ذات مستوى واحد في اهميتها ونوعيتها ..» (٩٤) .

ـ ٥ ـ
افكار وآراء حول الوحدة

استكمالا للحديث عن نضال الحزب في سبيل الوحدة رأيت

---

٩٣ ـ المصدر السابق ، ص ٣٣ ـ ٤١ .

٩٤ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٤٤ .

من المفيد أن أذكر **بعض المفاهيم والآراء النظرية والفكرية التي طرحها الحزب عن معوقات الوحدة واسسها ، ومضمونها ، وأسلوب تحقيقها** . ولا ريب في ان مفاهيمه ومنطلقاته القومية، كانت تطبع سلوكه ومواقفه العملية ومعالجته للقضايا القطرية ، حيث يعتبرها جزءا او فرعا من القضايا القومية ونموذجا لها .. وبهذا المعنى ورد في نشرة داخلية «ان تحرير سورية من الاستعمار وتحرر شعبها السياسي في صراعه من اجل الدستور والحريات العامة وقضية تحرر الفلاحين فيها ، من سيطرة الاقطاعيين وتجربة الحكم العسكري وفضح ما فيها من تزييف للحركة الانقلابية الشعبية ، كل هذه القضايا لم يثرها حزبنا بهذا التسلسل وهذا العمق لانها قضايا خاصة بسورية ، بل لاعتبارها جزءا ونموذجا من قضايا الشعب العربي كله ولاعتبار تأثيرها وتفاعلها في القضية القومية ..» (٩٥) .

والواقع ان بيانات الحزب التي كان يصدرها في كل قطر ، حافلة بالاهتمام بالقضايا القومية رغم انها صادرة لمعالجة قضية قطرية معينة ، كما ان مفاهيمه النظرية حول أسس الوحدة ومضامينها بقيت **متأثرة الى حد ملحوظ بمفاهيم المرحلة السابقة التي تطغى فيها النواحي الروحية والمثالية ..**

ففي تقرير قدم للمؤتمر القومي الثالث ، نجد تعريفا لمعنى الوحدة العربية ، بأنها (في الدرجة الاولى وقبل كل شيء وحدة الشعب العربي في الفكر والروح والاتجاه» (٩٦) .. على ان الاتجاه الذي كان يريده الحزب لها ، هو اتجاه تقدمي تحرري ،

---

٩٥ ـ موقفنا السياسي من الشيوعية ، كانون الثاني ١٩٥٦ ..

٩٦ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٦٢ . من تقرير المؤتمر القومي عام ١٩٥٩ ..

ويظهر ذلك في قوله «لا بد ان يكون للوحدة اتجاه ، وأن تتجه نحو التحرر والتقدم ، فهما طريقها وغايتها ، وهي لهما الضمانة الكبرى» (٩٧) ..

ليس هذا فحسب ، بل ان الوحدة في مفاهيم الحزب ذات محتوى وأبعاد انسانية . ففي مقال للامين العام حول قيام الوحدة بين سورية ومصر ورد «ان ثورة القومية العربية ، ثورة انسانية ، لانها ثورة قومية ، بمعناها الايجابي العميق الخلاّق ، معنى التحرر في الداخل والخارج ، والتقدم لشعبنا ولجميع الشعوب ، والسلم والتعاون المبنيين على نضج الحرية داخل كل شعب ، لا على الفرض والاستغلال والتبعية . لذلك فان ميلاد جمهوريتنا الجديدة ، يحمل معه تصميمنا على مساهمة اقوى وانجع في حمل مسؤولياتنا الدولية ، ووضع ثقل الامة العربية في خدمة قضية التحرر والسلم والحياد الايجابي» (٩٨) ...

على ان اهم ما يجدر ذكره في مجال الحديث عن مضمون الوحدة ، هو قضية الترابط بين الاهداف الثلاثة ، وأكاد اقول نظرية الترابط ، لانها تشكل على بساطتها ، ميزة اساسية لحزب البعث وسر القوة في منطلقاته النظرية ، بالاضافة الى تحديده سبيل **الوصول اليها بالاسلوب الثوري والنضال الجماهيري** (٩٩) ...

---

٩٧ ـ «البعث» العدد ١٢ في ٦ـ٧ـ١٩٥٦ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٧٩ . من بيان للحزب .

٩٨ ـ «البعث» العدد ٩٠ في ٨ـ٢ـ١٩٥٨ ـ معركة المصير الواحد ط٤ ، ص ١٩٧ .

٩٩ ـ لمزيد من الوضوح حول معنى الترابط بين الاهداف الثلاثة يمكن الرجوع الى الفصل الاول من كتاب «في الثورة العربية» للمؤلف ، ط٤ ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

ان وعي حزب البعث العربي الاشتراكي للواقع العربي ، ومعرفته للظروف الموضوعية والشروط الاقتصادية والاجتماعية للأمة العربية ، في هذه المرحلة التاريخية كان وراء طرحه للترابط العضوي بين الاهداف الثلاثة ، باعتباره افضل وأقوى واضمن لسلامة الثورة ونجاحها ، ويقيها من الانتكاسات المدمرة والانحرافات الخطيرة .. وفي هذا المعنى يقول الاستاذ عفلق «البعث العربي ادرك حقيقة الاهداف القومية عندما جمعها في هذه المبادىء وأدرك انها تشكل وحدة تامة .. فالعمل من اجل الوحدة أمر ضروري طبيعي بالنسبة للعرب لضمان مستقبلهم .. كذلك العمل في سبيل الحرية ايضا ، اذ ما قيمة الوحدة اذا لم تكن تضم شعبا حرا واعيا لحقوقه ، قادرا على ممارستها . والمبدأ الثالث ، الاشتراكية وهو ان يكون في هذه الوحدة شعب حر منتج قادر على الحياة ، وتكون لافراده فرص متكافئة فتظهر قواه وامكاناته دون عرقلة مصطنعة تفرضها طبقة على اخرى او استثمار داخلي . عندها يعطي العرب قوتهم الكبرى ، ويكون مجتمعهم قادرا على البقاء والدفاع عن نفسه» . ثم يقول : «ندرك بأن هذه الاهداف الثلاثة تتعاون دون ان تتعارض وتنسجم موحدة ، كل منها يساعد الآخر ويمهد له .. غير انها اصبحت مجزاة متناحرة على أيدي الفئات السياسية المشبوهة في اخلاصها وصلاتها ، فالذين يدعون للوحدة يحاربون الحرية والاشتراكية ، والعكس صحيح ايضا» (١٠٠) .

ومع ان الحزب كان يشدد على ان الاهداف الثلاثة تشكل كلا موحدا مترابطا ، وانها متفاعلة متكاملة ولا يجوز اهمال

---

١٠٠ – جريدة «البعث» العدد ٣٣٦ في ٢٩–١٢–١٩٤٩ . نضال البعث الجزء الثاني ط٣ ، ص ٣٧ .

احدها او تأجيله او فصله عن الهدفين الآخرين ، فقد كانت الظروف وضرورات المرحلة تفرض الاهتمام ببعضها دون بعضها الآخر . فمنذ الخمسينات وحتى عام ١٩٥٦ كان النضال العربي يتركز على سياسة الحياد وعدم الانحياز ومقاومة الاحلاف الاستعمارية المتعددة (الدفاع المشترك ، حلف بغداد ، مبدأ ايزنهاور) ومقاومة الانظمة العسكرية والعدوان الثلاثي على مصر، **فكان من الطبيعي والحالة هذه ، ان يأتي الاهتمام بالحرية في المقام الاول ، وتليها الوحدة العربية** ، كأداة فعالة ومؤثرة في ضمان الحرية .. وفي هذا المعنى ورد في حديث الامين العام عام ١٩٥٧ ما يلي : «فهذه المرحلة هي بالدرجة الاولى مرحلة تحرر قومي ، ومعنى ذلك ان الاكثرية الساحقة تستطيع ان تشارك في هذا النضال وتلتقي على اهدافه ، رغم اختلاف المصالح والاتجاهات ، اذ لم يحن الوقت بعد لتحقيق الوحدة العربية الشاملة ولتطبيق النظام الاشتراكي الكامل ..» (١٠١) .

ولكننا نجد مع ذلك في مناسبات اخرى ، تركيزا على الوحدة مع اعطائها الاولوية في القيمة والاهمية .. ويبرز هذا بشكل خاص في احاديث الامين العام وذلك لسببين اساسيين .. اولهما بدافع الانسجام مع المرحلة التأسيسية التي الح فيها على الفكرة القومية وعلى الوحدة كتجسيد عملي لها .. وثانيهما بدافع التجاوب مع ظروف معينة كانت تطرح فيها مشاريع وحدوية بين قطرين عربيين أو اكثر .. ومن الطبيعي ان يتحمس الحزب للوحدة في مثل هذه المناسبات وأن يبرز اهميتها وخطورتها باعطائها الاولوية .. فعندما بدأ الحزب بطرح شعار وحدة سورية ومصر عام ١٩٥٦ ، نجد الامين العام

---

١٠١ ـ معركة المصير الواحد ـ ط٤ ص ١٨٠ .

«أن قضية الوحدة كان لها مكان
البعث .. وان معركة الوحدة التي لا تنفصل حسب عقيدتنا ونظريتنا ونضالنا عن معركة الحرية والتحرر ، وعن معركة الاشتراكية ، ولا يجوز فصلها بأي حال من الاحوال ، ولكن يجوز كما أعتقد ان نصفها على حقيقتها فنقول : انها هي بصورة خاصة المعيار لثورية الافراد والجماعات .. ولثورية أمتنا في هذه المرحلة ..» (١٠٢) على ان الحزب رغم تركيزه على الحرية حينا ، وعلى الوحدة حينا آخر ، فقد كان يركز في بعض المناسبات على الاشتراكية ويرى «انها شيء أصيل في القومية وان هذه ان لم تكن اشتراكية فانها تفقد وجودها» (١٠٤) .

من كل ما تقدم نخلص الى النتيجة التالية :

١ ـ ان ثمة ترابطا قويا وتفاعلا جدليا بين الوحدة والحرية والاشتراكية ، يجعلان من هذه الاهداف الثلاثة ، كلا موحدا ، او ثلاثة أوجه لقضية واحدة ، الامر الذي يستلزم الانتباه لهذا الترابط والاخذ به ، كلما امكن ذلك ، باعتباره السبيل الاضمن والاجدى لبلوغ الاهداف المنشودة .

٢ ـ ان الظروف المتبدلة والمتغيرات المستمرة ، تفرض بطبيعتها،

---

١٠٢ ـ معركة المصير الواحد ـ ط٤ ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

١٠٣ ـ في سبيل البعث ، ط٢ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

١٠٤ ـ المصدر السابق .

أن نفهم هذا الترابط بعيدا عن الاطلاق والتجريد ، اي فهما مرنا بحيث يجيز التركيز على هدف من دون الآخر ، تبعا لتلك الظروف والمتغيرات ..

٣ ـ ان التحليل العلمي لموازين القوى المتصارعة ، والادراك الواعي لظروف النضال وأدواته ومستلزماته ، تفرض الاخذ بسياسة المراحل ، وبما يمكن تحقيقه من المنجزات المتعلقة بأي هدف من الاهداف ، ضمن ظروف المرحلة والشروط المحيطة بها ، لئلا تغدو المطالبة بتحقيق الهدف الكبير المتعذر في مرحلة معينة ، وكأنها هروب من المتيسر ، او نوعا من التعجيز واخفاء النيات السلبية المعارضة لما هو قابل للتحقيق

لقد كان الحزب بمنطلقاته النظرية وممارساته العملية ، حربا لا هوادة فيها ضد النزعات الاقليمية والقطرية والانعزالية والطائفية ، وكل ما يخدم منطق التجزئة ، ويتناقض مع الوحدة القومية . ولهذا لم يتساهل مع اية ظاهرة مرضية من هذه الظواهر ، بدت في مرحلة النمو والتوسع من اي عضو في اي قطر .. كما فضح حقيقة الاحزاب التي تدعي تبني الفكرة القومية والدعوة لها ، ولكنها في سلوكها وعملها ، منغمسة بالمشاكل القطرية وأسيرة لها .. ومما اشار اليه في هذا الصدد «ان هذه الاحزاب ليست قومية ولو انها ادعت ذلك ، لانها تستمد مبادئها وسياستها من ظروف محلية ضيقة ، فتبقى تدور ضمن نطاق الاقليم وتعالج سياسته ككيان مستقل ثابت حتى تطبع نفسها بالاقليمية .. انها مضطرة الى ان تصبح اقليمية لانها نشأت وترعرعت كذلك ... فحزب الاستقلال اصبح حزبا اقليميا صرفا وهذا ما توقعناه وقلناه .. فهو رفض التوقيع على دعوتنا للنص على عروبة مصر والنضال في سبيلها ، ويرفض الان المساهمة بكل عمل يخص الامة العربية جمعاء ،

حتى لفظة عربي لم يعد يقبلها بحجة المحافظة على صداقة العرب والاكراد .. والمكتب الثقافي يوجه هذه الكلمة بمناسبة ما قيل من ان احد هؤلاء القوميين العرب عاب على حركتنا في العراق تلقيها الاوامر من دمشق . ان هذا الغافل عما يقول ، يؤكد لنا عروبتنا بمعناها الصحيح واقليميته بمعناها الصحيح ..» (١٠٥)

اما في لبنان حيث تبرز الطائفية والانعزالية ، على أبشع صورها وأشكالها ، برعاية الزعامات التقليدية وتحريضها ، كوسيلة لاستمرار استغلالها السياسي والاقتصادي ، فقد راح الحزب يؤكد على المضمون العلماني التقدمي الاشتراكي للوحدة ، ويشجب منطق الساسة المتاجرين بالطائفية والانعزالية، ويفضح دوافعهم المشبوهة في تصوير الوحدة العربية بمضمون ديني يعزز سيطرة المسلمين على المسيحيين .. ومما قاله الحزب في هذا الصدد :

« على جمهور حزبنا ان يحتل باستمرار مكان القيادة المعبرة عن حقيقة العروبة ، بدلا من الفئة المستغلة لها ، وان يتميز ايماننا العربي بالبعد عن ذلك المفهوم العتيق البالي ، الراسخ في أذهان اعدائها ، وهو ان العروبة قومية العنوان دينية المحتوى» (١٠٦) . هذا والى جانب محاربة الانعزالية والطائفية ، كمعوقات في طريق الوحدة ، كان الحزب ايضا يشدد على ضرورة النضال لمحاربة المعوقات الاخرى المتمثلة بالجمود والتخلف وبالاستعمار والصهيونية ، وبأدعياء الوحدة المشبوهين ، وكل الفئات السياسية والاجتماعية المشدودة الى

---

١٠٥ ـ النشرة الدورية رقم ١٥ ، العراق أواخر حزيران ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الخامس ، ط٣ ، ص ١٨ .

١٠٦ ـ النشرة الدورية ، تشرين الثاني ١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٥٦ .

اوضاع التجزئة والعاملة على ابقائها بحكم ارتباط مصالحها بها. وبهذا الصدد ورد في نشرة داخلية «ان على الحزب ان يحارب محاولات الاستعمار والحكومات الرجعية المؤتمرة بأمره ... وان عليه ،. في نضاله من اجل التحرر والتقدم ، ان ينقذ مطلب الوحدة القومية التي كادت تضيع بين دعاتها المشبوهين وخصومها التقدميين المتسترين بالحرية والاستقلال ، ليحافظوا على مصالح التجزئة ، ويعرقلوا كل توحيد ... فالحزب يعرف ما تنطوي عليه مشروعات التوحيد المزيفة ، من أغراض رجعية ومقاصد استعمارية ، ولكنه يعرف ايضا ان مجالا كبيرا ينفسح لخطوات توحيدية جريئة وجزيلة النفع، ليس بمقدور الاستعمار ان يمنعها ويتدخل فيها . وان الحائل الوحيد دون تحقيقها هو عقلية الحكام والمصالح الشخصية والاقليمية» (١٠٧) .

ان الحزب في الوقت الذي كان ينبه فيه الى معوقات الوحدة وضرورة محاربتها ، كان يحدد الاساليب الناجعة للتغلب عليها وتجاوزها . وبهذا الصدد يقول الامين العام للحزب «كما ان الوحدة العربية فكرة جوهرية ، لها وعيها الذي يجب أن يوضح ويعمم حتى يلهب النفوس ويقوم التفكير ، فهي كذلك عمل له تنظيمه الذي يجب ان يُحكم ويتسع حتى يسيطر على الظروف ويقلب الاوضاع .. اذن فليست الوحدة عملا آليا تتم من نفسها نتيجة للظروف والتطور . فالظروف لا تخدمها والتطور قد يسير معاكسا لها نحو تبلور كاذب للتجزئة ، فهي بهذا المعنى فاعلية وخلق ومغالبة للتيار ، وسباق مع الزمن ، اي انها تفكير انقلابي وعمل نضالي .. فمنطق التجزئة لا يمنع الحركات المتماثلة في البلاد العربية من التوحد والتعاون

---

١٠٧ ـ موقفنا السياسي من الشيوعية ـ ك٢ ١٩٥٦ .

فحسب ، بل يدفعها الى التعاكس والتناقض ، وهكذا نصل الى هذه الحقيقة : **لا يحقق الشعب العربي وحدة النضال ما لم يمارس نضال الوحدة»** (١٠٨) .. وفي تقرير قدّم للمؤتمر القومي الثالث ورد ان للوحدة اساسين هامين اولهما : تكوين بناء شعبي منتظم بحركة ثورية تغير التفكير والنظرة السائدة وتحل محلها النظرة والتفكير الوحدويين وتحقق وحدة الفكر والروح والاتجاه» وثانيهما «اتباع الاسلوب الثوري الذي يتمرد على الحواجز والحدود والاعتبارات المحلية والاقليمية وكل ما يرتبط بها من مصالح» (١٠٩) ..

على ان الحزب كان يلح دوما على ان الجماهير المناضلة ، هي الاداة القادرة على تحقيق الوحدة .. وبهذا المعنى قال الامين العام للحزب «ان الوحدة لا تتحقق من فوق ، وعلى الاساس الذي قامت عليه جامعة الدول العربية ، بل من أعماق جماهير الشعب العربي، وتمتزج بصميم احتياجات هذا الشعب وبصميم نضاله التحرري الاجتماعي ..» (١١٠) . وقال في حديث آخر : «أحسن حالة لأمة متأخرة كأمتنا العربية ، لكي تتوحد ولكي تشعر بشخصيتها وبمؤهلاتها هي : حالة النضال ... وأمتنا اذن موجودة في كل مكان يحمل فيه أفرادها السلاح ..» (١١١).

وبعد ، فلعل من المفيد **ان نختتم الحديث عن الوحدة بخلاصة موجزة عن الشروط والعوامل الاساسية لنجاحها فيما**

---

١٠٨ ـ معركة المصير الواحد ، ط٤ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ (شباط ١٩٥٣) .

١٠٩ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ـ بحث : كيف نفهم وحدة الحزب (١٩٥٩) .

١١٠ ـ معركة المصير الواحد ، ص ٧٢ (١٩٥٦) .

١١١ ـ في سبيل البعث ، ص ٢٥٠ (١٩٥٦) .

يلي : (١١٢)

١ ـ ان يكون الداعون اليها والمسؤولون عن قيامها مؤمنين بعقيدتها واستراتيجيتها ، وأن تكون لديهم رؤية لأسسها ومقوماتها ..

٢ ـ ان يكون هؤلاء المسؤولون من نوعية نضالية ثورية متكافئة مع الوحدة كهدف ثوري .

٣ ـ ان يكون للوحدة عند قيامها محتوى ديمقراطي تقدمي اشتراكي ..

٤ ـ الا تكون اي خطوة وحدوية مرتبطة بأهداف سياسية تاكتيكية طارئة ، وبأغراض داخلية قطرية او بسياسة تكتلية محورية بغية المحافظة على الحكم في كل قطر .

٥ ـ الاعتماد على الجماهير وطلائعها الثورية المنظمة ، والابتعاد عند تحقيقها عن الاسلوب الفوقي ، وعن سيطرة الاجهزة البيروقراطية ، ووسائل الدعاية الغوغائية .

---

١١٢ ـ للمزيد من الوضوح حول هذه العوامل والشروط يمكن الرجوع الى كتاب «الوحدة العربية من خلال التجربة» ص ٦٤ ـ ٧٩ للمؤلف ط٤ ١٩٨٥

الفصل الثالث

النضال في سبيل الحرية

● لقد عرف عن حزب البعث العربي الاشتراكي اهتمامه الشديد بمسألة الحرية . وفي دستوره اعتبر (انبعاث الامة العربية متناسبا مع نمو حرية الفرد ومدى الانسجام بين تطوره والمصلحة القومية) . وهي في نظره ، تحرير الانسان العربي من كل ما يقيده ويمنع تقدمه وانطلاق مواهبه ، وبخاصة قيود الفقر والجهل والاستغلال وكل ضروب التسلط والعسف والخوف .. وتعني على صعيد الامة العربية تحريرها من التخلف والجمود والاستعمار ، لكي تنطلق نحو الانبعاث الشامل الجذري من جهة، ولكي تستطيع الاسهام بفاعلية ونشاط في تحرير الشعوب المضطهدة من جهة ثانية .. غير ان نظرة الحزب الى الحرية

تميزت بناحيتين : الاولى في انه ربطها بمصلحـــة الجماهير ، وبأن الدولة منبثقة عن ارادتها .. كما ركز على ان الشعب مصدر كل سلطة وقيادة (المادة ٥ من الدستور) ومارس بالفعل مبـدأ القيادة الجماعية .. أما الناحية الثانية فتميزت بربط الحرية بالاشتراكية .. وهذا يعني رفض الديمقراطية البرجوازية التي تزيف جوهر الحرية وتطعنها في الصميم .. على اننا نستطيع القول بصورة عامة ، ان المفهوم الليبرالي للحرية لدى الحزب ، كان يتقلص مع الايام ، ليحل محله وبصورة واضحة ، مفهـوم الديمقراطية الشعبية ... (١) .

هذا ومن الجدير بالذكر ، **ان الحزب في نضاله من اجـل الحرية في مرحلة النمو والتوسع ، واجه ظروفا وأوضاعـــا مستجدة لم تواجهه في المرحلة السابقة ، وكان عليه ان يتخذ مواقف محددة منها** .. وفي مقدمة هذه الاوضاع ، حـــدوث الانقلابات العسكريـــة ، والاغتيالات السياسية ووسائـــل العنف (٢) . ومحاولات الهجوم والتشنيع على الحياة الحزبيـة وتعدد الاحزاب ، وكذلك محاربة الاستعمار لسياسة الحيـــاد

---

١ – ستلقى المزيد من الوضوح على هذه المسألة في الجزء الثالث من تاريخ الحزب (تحت الطبع)

٢ ـ كان قادة الحزب الثلاثة في اثناء وجودهم لاجئين في لبنان ، قـد اقروا لاول مرة فكرة القاء قنابل صوتية غير مؤذية لازعاج النظام وارهابه . وقد كلفت في نيسان من عام ١٩٥٣ بالاشراف على هذا العمل وقيادة التنظيـــم السري . ولكن السلطة في حزيران داهمت (الوكر) في حي الشهداء بدمشق لتباطؤ فرع حماه في اشعارنا باعتقال المكلف بالاتصال بنا ، وجرت بعدها حملة اعتقالات وتعذيب واسعة للحزبيين ، وكانت تلك الفترة افضل الفترات لانضاج وتصليب عملية الدمج بين حزبي البعث والعربي الاشتراكي .

وعدم الانحياز ، وسعيه الحثيث لفرض أحلافه العسكرية على الاقطار العربية. هذا بالاضافة الى ما واجهه من قضية الاشتراك بالحكم ، لدفع الاخطار الناجمة عن هذه الظروف والاوضاع المذكورة . وسوف تتضح مواقفه منها من خلال ما سنعرضه في هذا الفصل عن :

الحركة الشعبية والانقلابات العسكرية وعن دور الانظمة الرجعية وعن المعاهدات والاحلاف العسكرية وسياسة الحياد وعدم الانحياز بالاضافة الى بعض مفاهيم الحزب عن الديمقراطية الشعبية ونماذج من مواقفه النضالية في سبيل الحرية .

- ١ -

موقف الحزب من الحركات الشعبية.

لقد انطلق الحزب في عقيدته ونضاله ، من الايمان المطلق بالشعب وبطاقاته الضخمة ، وبضرورة وجود الطليعة الثورية المنظمة القادرة على قيادته وتفجير طاقاته لتحقيق الانبعاث القومي ..

ففي المادة الخامسة من دستور الحزب ورد ان «السيادة ملك الشعب ، وانه وحده مصدر كل سلطة وقيادة ، وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير .. كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها .. لذلك يعتمد الحزب في اداء رسالته على الشعب ويسعى للاتصال به اتصالا وثيقا». وفي المبدأ الثاني الاساسي يعتبر الحزب «ان حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة ، لا يمكن لاي سلطة ان تنتقصها» . وفي مواد اخرى يحدد انتخاب السلطة التشريعية من الشعب ويؤكد على الروح الشعبية (الحكم الشعبي) . وعلى «فسح المجال في حدود الفكرة القومية لتأسيس النوادي

وتأليف الجمعيات والاحزاب ومنظمات الشباب» (٣) .

لقد كان من الطبيعي ان يستمر الحزب في توكيد دور الجماهير وطلائعها الثورية المنظمة في مرحلة الخمسينات ، حيث بدأت تظهر الانقلابات العسكرية وتكثر محاولات الحد من نشاط الحزب والحركات الشعبية وبخاصة ما كان منها باتجاه ثوري تقدمي .

ففي نشرة داخلية عام ١٩٥٢ ورد «أن النظرة السطحية ترى واقع الشعب دون ان ترى حقيقته .. وان الذين يعجزون عن رؤية الحقيقة الكامنة وراء المظاهر ويلاحظون ان شعبنا ينام نوما طويلا قبل ان يتحرك او يثور فيشكون في طاقاته الثورية ، وينزعون من انفسهم ثقتهم به .. على ان الانتفاضات الشعبية التي تحدث في جميع انحاء الوطن العربي لهي **اكبر دليل على ان في الشعب العربي من الطاقة الثورية ما يفوق تصورنا ،** الامر الذي يعزز فكرة الايمان والثقة بالشعب» (٤) .

وفي ايلول من عام ١٩٥٥ ورد في بيان للحزب «أن الطريق التقدمي ، طريق التحرر الشعبي ، الذي يستمد سلوكه من منطق الايمان المطلق بالشعب والقناعة بأن الضمانة الاولى والاخيرة ، لحرية الامة العربية وسيادتها واستقرارها ووحدتها، انما هو في تحرير جمهور الشعب العربي في كل مكان ، ووضع قضيته بيده» (٥) .

● **اما بالنسبة للحياة الحزبية** ، فنجد في صحيفة «البعث» عدة مقالات **عن دور الاحزاب العقيدية وأثرها في تطور الامة**

---

٣ ـ دستور حزب البعث ـ المادة ٤ من سياسته الاجتماعية .

٤ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي . نشرة داخلية ، دمشق ١٩٥٢ .

٥ ـ نضال البعث الجزء الثالث ط٣ ، ص ١١٧ .

تعالج **المفاهيم الخاطئة عن الاحزاب وأسبابها ، مع لمحة عن نشأتها ونوعيتها في الوطن العربي، وعن فوائد الاحزاب التقدمية ودورها في مضمار التطور** .. ومما ورد فيها «اننا نفهم الاحزاب والحزبية بأنها توحيد للجهود المبعثرة وتنظيم لها ، تثقيف للشعب وتوضيح لمشكلاته الاساسية وقضاياه الحيوية ، واهتمام بالمحاسبة والمراقبة وتصحيح الاخطاء والانحرافات في الحكم .. كما نفهمها ونرى فيها تسابقا ومباراة لتحقيق المصلحة العامة ، وضوابط للاشخاص ، تربيهم على متانة الخلق والتمسك بالمبادىء وتنمي في نفوسهم المناعة والحصانة ضد المنافع الشخصية والمغريات المادية ، وتذكي لديهم الشعور بالمسؤولية القومية ، وتدفعهم للحركة والنضال ، وهما اساس الحياة وجوهرها . والحزبية فوق هذا وذاك ، حرب على الرجعية والاقطاعية والاستعمار ، وعلى العنعنات العائلية والعصبيات العشائرية والتكتلات الاقليمية ، وهي الطريقة الناجعة للاهتداء الى احسن السبل والوسائل المؤدية لبلوغ الاهداف القومية المنشودة. والنضال الحزبي بما فيه من تضحيات وآلام ومعاناة، ينمي المواهب والفضائل والامكانات، ويرسخ الحياة الديمقراطية الشعبية القائمة على الحرية والعدالة والمساواة» (٦) .

واستنادا الى ما تقدم ، فان الموقف الطبيعي للحزب من الانظمة العسكرية والديكتاتورية والبوليسية ، ومن الاغتيالات السياسية ، هو موقف الرفض والمعارضة بصورة عامة ، بالرغم من ان قيادة الحزب ، في بعض الاحيان والظروف كانت تنظر

---

٦ ـ صحيفة «البعث» الاعداد ٦٠٤ ـ ٦٠٧ ، تموز ١٩٥٤ . هذا ويمكن الرجوع الى هذه المقالات في كتاب «بعض القضايا القومية» للمؤلف ، الطبعة الثانية ص ٦٦ ـ ٨٨ (السلسلة الحمراء) دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٥ .

الى بعض هذه الانقلابات والانظمة بعين الامل والتفاؤل .

ـ ٢ـ
موقف الحزب من العسكريين والانقلابات العسكرية:

في عام ١٩٤٤ كان الحزب يلح على تسلم الجيش في القطر السوري من سلطات الاحتلال الفرنسي ، ومن ثم تطويره وتقويته لتعزيز الدفاع عن ارض الوطن .. وطالب بعد ذلك باصدار قانون خدمة العلم وبالتجنيد الاجباري .. وبالرغم من ان الفئات الحاكمة بدمشق اعطت لنفسها عام ١٩٤٦ حق استخدام الجيش لضمان الامن الداخلي في البلاد ، ورغم انها استخدمته بصورة غير مباشرة لتزوير الانتخابات النيابية لعام ١٩٤٧ ثم عينت بعد عامين احد ضباطه وهو حسني الزعيم لقيادة قوات الامن الداخلي ، وكلفته بقمع الحركات الشعبية التي قامت ضدها .. نقول بالرغم من ذلك كله ، لم يفطن قادة الحزب الى ان الجيش يمكن ان يتجاوز المهام التي حددت له ، وهي الدفاع عن ارض الوطن وسيادته ضد اي عدوان خارجي ، ولم يفطنوا بالتالي الى امكانية تسخيره للقيام بانقلابات داخلية تستهدف تسلم السلطة واقامة صيغ وأنماط من الحكم ، منسجمة مع مفاهيم الانقلابيين وطبيعتهم ..

ولعل هذا ما يفسر لنا عدم اهتمام الحزب بكسب العسكريين الى صفوفه ، ولاسيما ان القانون كان يمنعهم من الانتماء للاحزاب السياسية . ولكن عددا غير قليل من الذين كانوا بعثيين او متشبعين بأفكار الحزب قبل انتسابهم للكلية العسكرية ، ظلوا متأثرين باتجاهات الحزب ومواقفه ، وكان هذا عاملا مساعدا على تكتلهم وتعاونهم في مرحلة الخمسينات، حيث اشتد اهتمام العسكريين بشؤون الحكم والسياسة .. وبصورة عامةنستطيع القول ان اهتمام الحزب بالقطاع العسكري

بدأ في مرحلة النمو والتوسع لأكثر من سبب منها ... انه ليس من الحكمة ولا من المصلحة القومية في شيء تجاهل العسكريين ، بعد ان كثرت انقلاباتهم العسكرية ، وفرضوا وجودهم على الحياة السياسية ، وبعد ان ظهرت منهم اخطاء وانحرافات مست الحياة الديمقراطية في الصميم ، وعطلت دور الجماهير والاحزاب والمنظمات الشعبية ، وأضعفت من قوة الجيش وتماسكه ، وعجزت بالتالي عن تحقيق الاهداف القومية والمنجزات التقدمية التي اعلنوا عن التزامهم بالعمل على تحقيقها .. ومنها ان الحزب العربي الاشتراكي كان اكثر اهتماما بالقطاع العسكري ، فنقل هذا الاهتمام الى الحزب بعد الاندماج به .. ومنها ان هيبة القانون الذي يمنع العسكريين من الاهتمام بالحياة السياسية والحزبية ، قد تبددت بعد الانقلابات وانغماس ضباط الجيش بالسياسة وشؤون الحكم ، ولاسيما عندما راح بعضهم يتقوى بالتقرب من هذه الفئة السياسية او تلك ، وعندما سعت هذه الفئات بالمقابل ، الى ان تتقوى ببعض الكتل العسكرية وتعمل على تشجيعها . هذا وبالرغم من ان الجيوش العربية في ظل الحكومات الرجعية كانت تستخدم احيانا ، لقمع الحركات الشعبية ، فان الحزب لم ينظر اليها نظرة سلبية ، بل كان واثقا من ان الجيش ، بجنوده ومعظم ضباطه ، لن يكون عند تطور الاحداث الا بجانب الشعب والحركة الوطنية .. وبهذا المعنى ورد في «الاشتراكي» لعام ١٩٥٧ ما يلي : «مهما بذل في سبيل اضعاف الجيش وابعاد العناصر الوطنية عن صفوفه ، واشاعة التحلل والفساد ، وإضعاف الروح القومية بين أفراده، والابقاء عليه ضعيف العدة قليل العدد ، بعيدا عن الاسهام في معركة التحرر القومية ، ومهما بذل في سبيل السيطرة عليه وتسخيره في غير الطريقة التي يريدها له الشعب ، بتشجيع العناصر الانتهازية وتقديمها على العناصر المخلصة الكفوءة ،

وتسليم السلطات بيدها ليسهل على الحاكمين تنفيذ رغباتهم عن طريق هذه العناصر التي لا هم لها الا التقدم بطرق غير سليمة ولا صحيحة . فمهما بذل من ذلك سيظل جيشنا درعا للشعب وستظل ثقتنا بعناصره الوطنية المخلصة التي تشكل اغلبيته الساحقة ، قوية وسوف لن يجد العملاء طريقهم سهلة للسيطرة على الجيش وتسخيره .. فلن يكون جيشنا – جيش أمة العرب – أداة في يد الاستعمار ..» (٧) .

● كان الانقلاب العسكري الاول الذي وقع في القطر السوري في الثلاثين من آذار عام١٩٤٩ بقيادة حسني الزعيم.. ومع انه كان مفاجئا للحزب ولم يكن يعلم شيئا عن دوافعه وقادته ، فقد رحب به مع الجماهير في الايام الاولى من قيامه، واستبشر به خيرا واعرب عن تأييده له ، لانه أطاح بالفئة الحاكمة المعادية للحزب ولاهداف الجماهير وارادتها ، وتوقع ان يكون نقطة تحول لمرحلة جديدة ، تتخطى اوضاع الفساد والتردي ، واعتقد بأنه قد يلجأ الى القوى الوطنية المعارضة للعهد السابق، ويضطر بالتالي للسير باتجاهها وتوجيهها ..

ففي مذكرة قدمها عميد الحزب الى القائد العام للجيش بعد بضعة ايام من قيام الانقلاب يقول فيها «ان الجيش الذي يتألف من ابناء الشعب لم يكن سوى الاداة الامينة المباركة التي نفذت رغبة قومية وارادة عامة طالما اعلنها الشعب .. والشعب العربي في سورية وفي جميع أقطار العروبة ، لا يقنع من الانقلاب بأن يكون نهاية عهد اسود فحسب ، بل يريد ان يجد فيه نقطة انطلاق نحو الحياة الحرة المنتجة القوية .. ولن يكون ذلك الا اذا اعتبر الشعب هو العنصر الاساسي الثابت في الحادث العظيم الذي تم . وان من حقه بل من أوجب مقتضيات المصلحة

---

٧ – نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ص ١٩٨ .

القومية، ان يتبنى هذا الانقلاب ، يحميه ويقويه ويوجهه الوجهة الصالحة» (٨) ..

ثم انهى المذكرة بالمطالبة بتشكيل حكومة مؤقتة موثوقة ، وبتطهير الجهاز الحكومي ومحاكمة المسؤولين عن الفساد ، وبضمان الحريات العامة واجراء انتخابات نيابية واعادة الحياة الدستورية الى البلاد .

وبعد يومين قدم مذكرة اخرى يعرب فيها عن تأييده للعهد الجديد ويوضح أخطار اتفاقية التابلابين التي أحبطها نضال الحزب والشعب ، ويطالب بإرجاء التصديق عليها الى ان يجتمع المجلس النيابي المقبل .. وفي الخطاب الذي القاه عميد الحزب في تظاهرة البعث العربي بدمشق في السابع من نيسان بمناسبة الانقلاب نجد عبارات صريحة من التأييد والتفاؤل ، الى جانب عبارات التحفظ وتوضيح المعنى الذي يفهمه الحزب من الانقلاب حيث يقول «ليس ما حدث في سورية انقلابا ، هو في الواقع خطوة نحو الانقلاب .. اننا نستبشر بهذا الحادث ونعلق عليه الآمال .. فالانقلاب الذي يطمح اليه الشعب العربي هو انقلاب شامل .. والذي يحقق للشعب العربي في جميع أقطاره الاشتراكية العربية والوحدة العربية ..

اذا كان الانقلاب في سورية سيكون على هذا المنوال ، فاننا مستعدون والشعب كله مستعد لان يبذل في سبيله الدماء» (٩) ..

لقد رفض الحزب مرتين الاشتراك بالوزارة لعدم توفر الضمانات لقيام حكم دستوري حر .. **وسرعان ما جرت الرياح**

---

٨ ــ نضال البعث الجزء الاول ط٣ ، ص ٢٧٠ .

٩ ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣ .

بما لا تشتهي السفن حيث اتجه رئيس الانقلاب نحو اقامة حكم فردي عسكري وشكّل حكومة من الموظفين ولجنة لوضع الدستور ، وعطل الصحافة ووقع اتفاقية النقد مع فرنسا واتفاقية التابلاين مع الشركة الامريكية واتفاقية جديدة مع شركة نفط العراق ، فحقق في شهر واحد ما عجزت عن تحقيقه الفئة الحاكمة الرجعية طوال سنوات عديدة . وهكذا انقلب عليها ولكنه حقق اهدافها ومخططاتها . وعندئذ بدأت معارضة الحزب للعهد الجديد فقدم عميده الى قائد الانقلاب مذكرة بتاريخ ٢٤ ايار ١٩٤٩ ، انتقد فيها اعتماد العهد الجديد على اشخاص كانوا من العهد الماضي ، وندد بتجاهله الحزب والقوى التقدمية عند تشكيل الحكومة الجديدة ، وبإلغاء امتيازات الصحف واقراره اتفاقيتي النقد والتابلاين ، وتكليف لجنة من الموظفين لوضع دستور جديد ، ومنع الموظفين من الاشتغال بالسياسة والانتماء للاحزاب بشكل لا مثيل له في البلاد الديمقراطية ولا في اي قطر من الاقطار العربية ، وان فيه تجاوزا لابسط حقوق المواطن ومساسا بعقيدته القومية وكرامته الانسانية . وتمضي المذكرة الى القول :

«ان الانقلاب لا يقدر له البقاء الا اذا اعتبر دوما انه ثمرة هذه الارادة الشعبية وتلبية لها .. فالجيش هو جيش البلاد ، ولم تكن قوته بسلاحه ، ولكن بتجاوبه مع أماني الشعب وحاجاته» (١٠) ..

وعلى اثر هذه المذكرة اعتقل عميد الحزب وعدد من الاعضاء وبدأت الملاحقة والاضطهاد للبعثيين بالتصاعد كلما صدر بيان جديد من الحزب يهاجم فيه العهد ، ويفضح مواقفه وانحرافاته. وكان الحزب قد سعى لتشكيل جبهة سياسية تمنع قائد الجيش

---

١٠ ـ نضال البعث الجزء الاول ط٣ ، ص ٢٨٠ .

من الشطط والاستئثار .. فلم يثمر سعيه لانقسام رجال السياسة ، فبقي الحزب وحده في الميدان يوجه المذكرات ويصدر البيانات التي تفضح النظام وتهاجمه بجرأة لم تظهر من اية قوة سياسية معارضة،ويظهر ذلك في قوله «ان الاساليب التي اتبعت في فرض هيبة الحكم قد تجاوزت كل حد معقول ، واصبحت نوعا من الحكم الارهابي الذي لم تشهد له البلاد مثيلا حتى في اسوأ العهود الماضية .. اذ حلت الاحزاب واعتقل الافراد والجماعات دون اي مسوغ قانوني .. وقيدت حرية الصحافة والنشر واعتدي على حرمات المساكن .. وفرض قسم على الموظفين ليس له مثيل في العالم» (١١) ..

بعد ان خرج قادة الحزب وأعضاؤه من السجون انصرفوا الى تنظيم المقاومة السرية بالشكل المتلائم مع حكم ديكتاتوري عسكري (١٢) وعلى اساس من المراجعة لطبيعة النظام الجديد ولما يجب ان تكون عليه وسائل الحزب في المستقبل .. بالاضافة الى حدوث شيء من البلبلة والقلق في صفوف الحزبيين ، بسبب من الصدمة العنيفة الناجمة عن الاعتقالات وما تركته من نتائج وذيول ، لم تكن متوقعة .. وعلى اي حال فان حسني الزعيم لم يعش اكثر من اربعة اشهر ونصف .. ذلك لان اللواء سامي الحناوي استغل اخطاءه وانحرافاته ، وأفاد من تذمر الشعب منه وكبت الحريات العامة ، فانقض عليه بانقلاب جديد . وقد تبين فيما بعد ، ان اللواء الحناوي كان متأثرا بسياسة حزب الشعب والقوى السياسية المؤيدة لمشروع الاتحاد

---

١١ ـ من بيان بتاريخ ٩ـ٦ـ١٩٤٩ ، نضال البعث ، الجزء الاول ط٣ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

١٢ ـ نشرة نيسان ١٩٥٩ بمناسبة ذكرى تأسيس الحزب .

بين سورية والعراق ، **ولكنه لم يشأ تسلم الحكم مباشرة كما فعل سلفه ، بل تركه لقادة الاحزاب الذين انتهوا لتشكيل حكومة ائتلافية اشترك فيها الحزب بشخص عميده الاستاذ ميشيل عفلق كوزير للمعارف (التربية والتعليم) ، فكان هذا اول اشتراك للحزب في الحكم ، أملا في ضمان حرية الانتخابات النيابية الجديدة** ، وترسيخ الحياة الديمقراطية في البلاد .. وعندما لم يتحقق هذا بوقوع التزوير او التأثير على الناخبين ضد مرشحي الحزب بدمشق ، قدم استقالته من الوزارة في تشرين الثاني عام ١٩٤٩ بعد ان قضى فيها ما يقرب من ثلاثة اشهر .

وفي ٢٠ كانون الاول من العام نفسه ، اي بعد حوالي اربعة اشهر ، قام اديب الشيشكلي بانقلاب ضد الحناوي ، وسماه حركة تصحيحية تجنبا لما يتركه اسم الانقلاب من اشمئزاز وتأفف في نفوس المواطنين ، لكثرة تكراره وافلاسه ، ثم أحكم قبضته على الجيش وراح يمارس الضغط والتدخل في شؤون الدولة والحكم الى ان ضاق ذرعا بازدواجية السلطة ، فقام بانقلابه الثاني في الثاني من كانون الاول عام ١٩٥١ واعتقل اعضاء الحكومة وحل المجلس النيابي ، وألغى الحياة الدستورية ثم سلم السلطات التنفيذية والتشريعية مع مهمات رئيس الدولة ورئيس الوزراء الى وزير الدفاع ، ويساعده الامناء العامون بينما بقي الشيشكلي بعيدا عن الاضواء ، ويحكم من وراء ستار حتى نيسان من عام ١٩٥٣ ، حيث تسلم السلطة مباشرة .

لقد كان الحزب الى نهاية عام ١٩٥١ ، يهاجم حزب الشعب صاحب الاكثرية البرلمانية على تجميده الحياة النيابية وتزييفها، وامتناعه عن اصدار القوانين والتشريعات التقدمية لصالح العمال والفلاحين .. وكان يعتبر «نقطة البدء في تحرير البلاد» هي تحرير الشعب الذي يستبد به ويستغله الاقطاعيون والرأسماليون ذوو السلطة والنفوذ من ممثليهم في المجلس

النيابي والوزارة والادارة ..» (١٣) .

وكان بعض قادة الحزب على صلة مع الشيشكلي وعدد من قادة الجيش ويمارسون عليهم نوعا من الضغط والتوجيه بغية دفعهم لتبني سياسة تقدمية تمهد السبيل لنظام شعبي تقدمي متحرر ، ولهذا فان الحزب لم يعمد لتسليط الاضواء على خطر الديكتاتورية والانظمة العسكرية الا بعد ان قام الشيشكلي بانقلابه الثاني .. وبعدئذ اخذ الحزب ينبه الى «ان مساوىء الديمقراطية لا تطعن بمبدأ الديمقراطية» والى خطأ المنطق الذي تقول به «العناصر التي تحكم بسطحية ونزق على النظام الديمقراطي بالفساد .. مع ان قيام حكم ديكتاتوري في ظروف كظروف بلادنا لا يكون ممكنا الا بمهادنة الاعداء الخارجيين على حساب سلامة الوطن ومصلحة الشعب» (١٤) .

ومع بداية عام ١٩٥٢ ظهر خلاف الحزب العلني مع نظام الشيشكلي ، وراح يهاجمه في صحيفة «البعث» عندما «منع الموظفين من الانتساب للاحزاب وفرض القسم عليهم .. (١٥) .. وعندما منع الشعب والطلاب من التعبير عن رأيهم في المناسبات القومية» واخذ يؤكد «ان خطر الديكتاتورية لا يقل عن خطر الديمقراطية المزيفة» فقال **«اذا كان الحكم الديمقراطي المشوه قد خلف في البلاد الفساد واللامبالاة ، فان اي حكم قائم على الكبت والضغط سيخلف في الشعب روح التخاذل والاستسلام وفي**

---

١٣ ـ نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٩٥ .

١٤ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

١٥ ـ رفض بضعة موظفين بعثيين اداء قسم الامتناع عن العمل الحزبي وكنت واحدا منهم .. فسرحوا من وظائفهم ولكن الحزب أفاد من تفرغهم للعمل والنشاط ..

كلا النوعين من الحكم نصر للاستعمار» (١٦) .. وبعد ذلك اخذ الصراع مع النظام يشتد كلما كثرت انحرافاته وتدابيره القمعية الارهابية ، ويتصاعد مع امعانه في التسلط وكبت الحريات العامة . واستطاع الحزب ان يعمل ويستمر في المجابهة بشكل لم يكن يتوقعه الشيشكلي ، وعلى نحو أثار اعجاب الجماهير ودفعها للالتفاف حول الحزب . ومما يذكر في هذا المجال ان الحزب القومي السوري تعاون مع النظام ، بينما هادنه الشيوعيون في البداية ثم تعاونوا معه في النهاية ، في حين ان القوى السياسية الاخرى ولاسيما التقليدية منها ، الممثلة بحزبي الشعب والوطني ، لاذت بالصمت والهدوء ورضخت للامر الواقع ولم تبد اية مجابهة تذكر ، مما جعل عبء المقاومة يقع على عاتق حزب البعث ، وأعضائه الذين برهنوا عن صمود رائع وشجاعة نادرة تمثلت بتحديهم المستمر لشتى أشكال البطش والارهاب ، وباستمرارهم في توزيع النشرات المعادية وتحريك التظاهرات وتحريض المواطنين على المقاومة . ومما ورد في احد بياناته «ان البلاد تعاني اقسى انواع الحكم الديكتاتوري ، وأشد صور الايذاء والاضطهاد ، حتى هددت كرامة المواطنين وفقدت الحرية وعطلت الاقلام ، واستعبدت الضمائر .. وسجن كرام القادة واعتقل الشباب المثقف المخلص ، وزورت الانتخابات اسوأ تزوير .. ومنذ اربع سنوات تتآمر حكومة المغتصبين مع الراسماليين والاقطاعيين وتشد ازرهم ..» (١٧) .

وفي كتاب مفتوح وجهه الحزب الى الشيشكلي في تموز عام ١٩٥٣ جاء فيه «عبثا يحاول حكمكم العسكري ان يعيش ، اذ لا مكان في ارضنا العربية لحكم اجنبي استبدادي طائش . ان

---

١٦ ــ نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٢٠٦ .

١٧ ــ المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

الشباب الحر الذي آذيتموه ، والفلاحين الذين اضطهدتموهم والعمال وصغار التجار وكل من يحب وطنه يصرخ بكم اليوم ، ان اذهبوا ، لقد اطاح هذا الشعب بمغتصبين كثيرين وفيه من هم على استعداد لان يموتوا من اجل الحرية» (١٨) .

وعلى الرغم من ان الشيشكلي اجرى في تشرين من عام ١٩٥٣ انتخابات عامة اوصلته الى رئاسة الجمهورية ، واقام تنظيما سياسيا وحيدا باسم (حركة التحرير العربي) واطمأن لتخاذل الاحزاب التقليدية ورضوخها ، فقد صعّد الحزب مقاومته في هذا العام مبتدئا بتظاهرات طلابية في تشرين الثاني بمناسبة ذكرى سلخ لواء الاسكندرونة وتقسيم فلسطين ، بددت أجواء الارهاب المفروضة ، حتى اذا ما أقيمت بعد ذلك تمثيلية في الكلية الامريكية بحلب تغمز بالعرب ، وجد فيها البعثيون مناسبة للتحرك فكانت الشرارة التي اججت التظاهرات في كل المدن السورية وادت الى تأزيم الوضع واعتقال قادة البعث والقوى السياسية الاخرى ، ثم تبعه قيام ثورة شعبية في محافظة السويداء بقيادة سلطان الاطرش وكان للحزب فيه دور بارز وملحوظ كما كان اعتقال بعض قادته بالمحافظة سببا رئيسيا في نشوبها .. (١٩) وقد سقط فيها مئات القتلى والجرحى . وفي الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٥٤ ، بدات احدى

---

١٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

١٩ ـ اعتقل كل من منصور الاطرش وشبلي العيسمي في ١٩ و٢٠-١٢-١٩٥٣ ، على اثر توزيع نشرات حزبية معادية للنظام وكانا من قيادة الجبهة الوطنية الشعبية في السويداء ، وفي السابع والعشرين منه اعتقل قادة الحزب وكبار السياسيين في سائر القطر وبعد يومين حاولت السلطة اعتقال سلطان الاطرش فقاومها وبدأت الثورة ..

قطعات الجيش في شمال البلاد باعلان التمرد بقيادة مصطفى حمدون ، ثم تبعتها قطعات اخرى حملت الشيشكلي على الهروب الى لبنان في اليوم الثاني ، كما تحركت تظاهرات طلابية في دمشق بقيادة الحزب ، طوقت البرلمان ودخل عدد من المتظاهرين اليه ، وأجبر رئيس المجلس النيابي على اعلان استقالته وحل المجلس ، ولم يتمكن قادة النظام العسكري من السيطرة على الوضع فأسقط بيدهم بعد هروب رئيسهم ، واستفحال التظاهرات الشعبية ، فكفوا عن محاولات استخدام القوة والعنف . ومما يذكر هنا انهم كانوا يفكرون بنقل المعتقلين السياسيين الى احدى الثكنات العسكرية التي يسيطرون عليها لكي يساوموا عليهم او يقتلوهم عندما لا تستجاب مطاليبهم ، ولكن مدير سجن المزة بدمشق انضم الى (المتمردين) فأطلق سراح المعتقلين . **هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان الحزب في العراق والاردن ولبنان وحيث وجد ، نشط دعائيا وشعبيا في دعم نضال الحزب في القطر السوري وأسهم في فضح النظام الديكتاتوري الذي قاده الشيشكلي** . غير ان الاستعمار «اخذ من جديد يركز ضغطه على الجيش والجهاز السياسي معا ، فبدأ يحيك المؤامرات العسكرية لتشويه الحياة الديمقراطية واقامة ما يسميه الحكم القوي . وحينما جرت الانتخابات في سورية ، وانتهت بفوز الاتجاهات الشعبية ، بدأ يعد العدة من جديد لنسف الوضع الديمقراطي بتهيئة اسباب انقلاب جديد ..» (٢٠) .

على ان العسكريين لم يتحمسوا لتسلم السلطة مباشرة لان

---

٢٠ ـ بيان ٢٤ ايلول ١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٠٨ .

المحصلة النهائية للعهود الانقلابية طوال السنوات الاربع الماضية كانت بصورة عامة سلبية من النواحي السياسية والاقتصادية والنفسية . **فالحنين الى الحياة الديمقراطية ازداد بين المواطنين بعد ان ذاقوا مرارة الكبت والارهاب ، وتبين ان المستفيد من العهود الانقلابية فئة قليلة من الضباط المغامرين** لم تنجح كما هو مطلوب في تسيير شؤون البلاد وتطويرها سياسيا واقتصاديا، فضلا عما ظهر بينها من صراعات وانقسامات في سبيل الوصول الى مراكز القوة والاستحواذ على السلطة ، مما أضعف من قوة الجيش وهيبته،واشاع جوا من الاشمئزاز في النفوس ولد بدوره مناخا غير مشجع للضباط من اجل تسلم السلطة مباشرة . ومما يذكر في هذه المناسبة ان الضباط الملتزمين بأهداف البعث وبما كانت تؤكده نشراته على الجانب الشعبي الديمقراطي في الحكم ورفض الانظمة العسكرية ، قد اضطلعوا بدور ملحوظ في عزوف العسكريين عن استلام الحكم رغم بقاء نفوذهم وتدخلهم في شؤون الدولة السياسية بصورة غير مباشرة .. اما عودة الانظمة العسكرية في مرحلة الستينات الى سورية وعدة اقطار عربية ، فترجع بالدرجة الاولى الى استمرار الفساد والتردي في أنظمة الحكم البرجوازية الرجعية من جهة ، والى نجاح عبد الناصر من جهة ثانية في بعض المجالات كالاصلاح الزراعي وتأميم القناة واقامة الوحدة ورفض الاحلاف وغيرها من المواقف التي رفعت من شعبيته بين المواطنين العرب ، ودفعتهم الى قبول نظامه الفردي والتغاضي عن محاذيره وسلبياته .

قبل انهاء الكلام عن الانقلابات العسكرية لا بد ان نبين **وجهة نظر الحزب المبدئية فيها من خلال النصوص التالية :**

«لقد انكشفت للشعب خدعة الانقلاب واغتصاب رجاله الحكم الشعبي وخيانتهم لاهدافه . ان كل تفكير لا يستند الى هذا المبدأ وهو ان الثورة الشعبية لا تتم من دون الشعب هو

انحراف خطير» (٢١) ..

وفي بيان للحزب ورد «ان ما تهدف اليه الدول الاستعمارية من وراء الحكومات العسكرية الديكتاتورية والرجعية التي تقيمها وتحميها مفوضياتها وشركاتها وشبكات تجسسها ، ان تطبق على البلاد العربية ، ما تعده من مشاريع استعمارية اقتصادية وعسكرية» (٢٢) .

وفي مقال بالعربي الجديد بعنوان (هل من مؤامرة انقلاب عسكري في العراق) ورد «ان الانقلابات العسكرية في وطننا العربي تسيرها ايادي المستعمرين وهي ترمي من ورائها فرض الديكتاتوريات العسكرية وبالتالي إحكام الضغط والارهاب والتنكيل على العناصر المناضلة ..» (٢٣) .

وفي نشرة حزبية في لبنان ورد «ان الحكم العسكري معاكس لنهضة العرب القائمة على تثبيت أسس الحكم الشعبي الصحيح ..» (٢٤) .

هكذا يتبين لنا ان الحزب كان ضد الانقلابات العسكرية لانها تقيد الحريات العامة ، وتمنع تطور الحركات الشعبية ونموها ، وتتنافى مع مبدأ الثقة بالجماهير والاعتماد عليها ، باعتبارها غاية النضال ووسيلته بآن واحد . كما ان الحزب في مناسبات متعددة اشار الى **ان قادة الانقلابات العسكرية والمغامرين الذين لا تربطهم اهداف وعقيدة واضحة سرعان ما ينحرفون وينكمش**

---

٢١ ـ نشرة داخلية ، دمشق ١٩٥٢ . ابحاث في التنظيم الحزبي ، ص ١١ .

٢٢ ـ ايار ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٢١٥ .

٢٣ ـ تشرين الثاني ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الخامس ، ط٣ ، ص ٣٢ .

٢٤ ـ ايار ١٩٥٢ . نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٢٨ .

الشعب عنهم ، فيشعرون بالعزلة والضعف ، مما يحملهم بالتالي على التفتيش عن الدعم والتأييد ، وعما يضمن بقاءهم في الحكم ، فلا يجدون ذلك الا بالمزيد من الارهاب والعسف في الداخل ، وبالارتماء في أحضان دول خارجية طامعة بالاستغلال ومد النفوذ . ومن هنا نلاحظ بعض هذه الانظمة العسكرية يعكس بسلوكه ومواقفه الصراع الدولي .

- ٣ -

موقف الحزب من الاغتيالات السياسية:

نشير هنا الى موقف الحزب من هذه المسألة لما لها من علاقة وثيقة بقضية الديمقراطية والايمان بالشعب كفاية ووسيلة ، ويتلخص في انه موقف الرفض والاستنكار انسجاما مع جوهر مبادئه وعقيدته وادراكا منه لما يترتب على الاغتيال السياسي من نتائج وآثار سلبية خطيرة على الصعيدين السياسي والشعبي ..

فعندما اغتال القوميون السوريون العقيد عدنان المالكي في نيسان من عام١٩٥٥ ، لم يشجب الحزب هذا الحادث ويستنكره فحسب، بل اتخذ منه بدعم واستجابة من مختلف القوى الوطنية والشعبية ، سبيلا لفضح السلوك الارهابي اللاشعبي الذي سلكه الحزب القومي السوري، ومناسبة لاضعافه وتصفية وجوده السياسي ، وكان هذا الحادث بالفعل اكبر ضربة لحقت به على الصعيد الشعبي وافقدته القدرة على الحركة والنشاط في القطر السوري .

اما محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في تشرين الاول من عام ١٩٥٩ والتي خطط لها عدد محدود من اعضاء قيادة قطر العراق فقد شجبها الحزب بقوله «ان معتقلات العهود الارهابية في سورية والاردن وسجون نوري السعيد لم تكن لتزيد شباب الحزب وشاباته الا ايمانا بقضيتهم وبانتصارها عن طريق النضال

الشعبي ، وعدم اعتماد الحزب على الاغتيال السياسي وشجبه له خلال تاريخه النضالي الصعب كله ، ليس منطلقا فقط من احترامه للشخص الانساني بل ايضا من ايمانه بالشعب وبامكاناته وقدرته على تحقيق اهدافه ، وايمانه بأن الاغتيال السياسي بغض النظر عن ملابساته وقابليته على حل الازمات السياسية يتضمن ضعفا في الايمان بقدرة الشعب على تحطيم اعدائه وتحقيق اهدافه .. ان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي تنفي تنظيم الحزب لمحاولة الاغتيال،وتعتبر ان تمادي قاسم في اغتيال قادة الشعب والجيش والشباب العقائدي في العراق عن طريق السحل في الشوارع دون اتهام او محاكمة ، وعن طريق احكام الاعدام في محكمة المهداوي الصورية ، هو الذي دفع قسما من الشباب الوطني للدفاع عن النفس بهذا الاسلوب الذي فرضته الاوضاع الشاذة ...» (٢٥) .

هذا وعلى الرغم من اشتداد موجة البطش والاضطهاد لاعضاء الحزب بعد فشل محاولة الاغتيال ، الا انها بجراتها وبما أعقبها من صمود البعثيين في التحقيق والمحاكمات اثارت اعجاب المواطنين واحترامهم ، واعطت الدليل على وجود فئات نضالية جديدة لم تكن معهودة من قبل ، تنفذ الاوامر الحزبية بإيمان وحزم وتقدم على أخطر ما يمكن ان يقدم عليه انسان في مجال التضحية والتعرض الى الخطر .

ومهما يكن من امر ، فيمكننا القول بصورة عامة ان تصعيد البطش والارهاب بالحركة الوطنية هو الذي يدفع بعض فئاتها الى التفكير بالاغتيال السياسي واللجوء اليه ، انطلاقا من الاعتقاد بأنه لا يقضي على الارهاب الا الارهاب . ومن هنا فان الشعب

---

٢٥ ـ نضال البعث ، الجزء السادس ، ط٣ ، ص ٦٣ .

مثلا يتفهم دوافع الفدائيين ومبرراتهم التاريخية والمنطقية في اغتيال بعض السياسيين الذين يقودون حملة العداء والتنكيل ضدهم .

ـ ٤ ـ

موقف الحزب من الانظمة الرجعية

انطلق الحزب من اعتبار الانظمة والقوى الرجعية المسيطرة على مقدرات البلاد عقبة كبيرة في طريق التحرر التام والتقدم ، لانها تعمل لمصالحها الطبقية وبوحي من اهدافها الاقليمية الضيقة من جهة ، ولانها تهادن الامبريالية او تخضع لها من جهة ثانية ، ولذا يجب ان تنحى عن القيادة والحكم بنضال شعبي يوصل الجماهير الواعية المناضلة ممثلة بطلائعها الثورية المنظمة الى مراكز السلطة والقيادة .. وسنذكر فيما يلي فقرات وردت في نشرات الحزب عن سياسة الفئات الحاكمة الرجعية والدور السلبي الذي كانت تلعبه في حياة الامة : **لقد كان بعضها من حيث سياسته ونتائج سلوكه ، يسيء الى نضال الامة ومسيرتها الثورية كما كان يسيء اليهما الاستعمار والصهيونية .** وقد «اكتشف الشعب الصلة الوثيقة بين وجود الاستعمار وبين تحكم هذه الطبقة الحاكمة المستغلة ، التي تحارب الوحدة العربية وتحول دون ارتفاع مستوى الشعب واستغلال امكانيات الوطن بالشكل الذي يتكافأ فيه مع الاخطار الخارجية» .

وعن اساليبها في التظاهر بالحرص على الوحدة ، مع محاولة عرقلتها او استبعادها ، يصف الحزب موقف حزب الشعب من قضية الاتحاد بين سورية ومصر بقوله :

«لا يمكننا ان نفسر موقف المتظاهرين باقرار مشروع الاتحاد ورفض النص عليه في البيان الوزاري ، الا انهم يعرفون ان حكومة الثورة في مصر ، لن تدخل مباحثات جدية لتحقيق

مشروع الاتحاد ، ما لم يكن هنالك اجماع عليه وحماس له من مختلف الاحزاب والهيئات السياسية في سورية» (٢٦) ..

وعن موقف هذه الفئات من الوحدة والقومية العربية المتحررة نطالع ما يلي : «لقد ظل الحكام والزعماء زمنا طويلا يستغلون الدعوة الى الوحدة العربية عندما كانوا يعلمون انها لفظة للتخدير وحلم بعيد المنال ، وكانت الجامعة العربية اداتهم في التخدير والتعطيل والابقاء على مصالحهم المتمشية مع التجزئة ، ولكن لم تكد تظهر بوادر الوحدة الحقيقية ، وتتهيأ شروطها لمصر وسورية والاردن ، حتى آثر مستغلو التجزئة الارتماء في أحضان الاستعمار والوقوف ضعفاء امام اسرائيل ، وهم اليوم يطالبون بعودة الجامعة العربية ليجعلوها من جديد سدا في وجه الوحدة والحركة الشعبية الجارفة التي تحملها.. فحكام لبنان الطائفيون ، والمتاجرون بالدين في سورية والاردن، والملوك المجوعون لشعبهم والمحتكرون لثروات الوطن يلتقون ويوحدون جبهتهم مع الاستعمار ومن ورائه اسرائيل ليقضوا على اتجاه القومية العربية المتحررة ...» (٢٧) .

● والفئة الحاكمة الرجعية في الوطن العربي تشكو من التظاهرات المعادية لها وترى فيها ما يعكر مسيرة الاستقرار والتقدم ، ولذلك او من اجل ذلك ، قامت بمحاولات متعددة لمنع الطلبة من الاشتغال بالسياسة والهجوم على كثرة الاضرابات التي يقومون بها ، وتحميل ضعف مستوى الثقافة والتعليم الى هذه الاضرابات ، **حتى اذا لم يفلح هذا التثقيف المعادي لدور الطلبة المتجاوب مع دور الحزب ، عمد بعض الحكام لاستصدار**

---

٢٦ ـ حزيران ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٧٣ .

٢٧ ـ معركة المصير الواحد ص ١٤٩ . (ايار ١٩٥٧) .

القوانين المانعة لهم من الاهتمام بالقضايا القومية .. ولكن الحزب وقف من هذه المسألة موقف الفاضح لاغراض الحكام وأهدافهم مع تقديم المقترحات المناسبة لرفع مستوى الثقافة والتعليم في المدارس .. (٢٨) .

● وكان بعض الحكام ـ كما في سورية ـ يرى ان رفض الاحلاف والمساعدات الاجنبية يضع البلاد في عزلة قاتلة ، ولكنهم عندما فشلوا في ربط القطر السوري بعجلة الاحلاف العسكرية ، راحوا يدعون بأن الخلاف بين مصر والعراق على الزعامة العربية ، وبالتالي فان على سورية ان تقف من هذا الخلاف موقف الحياد وعدم الانحياز لتسهيل مهمة حكام العراق في الارتباط بحلف بغداد والمضي بسياستهم التبعية للغرب ..

● ومن الاساليب التي ركز عليها الحكام الرجعيون (ان الحركة العربية التحررية حركة شيوعية) وانها تابعة للشرق كتبعيتهم هم للغرب ..

وبهذا الصدد يقول الحزب «ان سورية اصبحت بنظرهم شيوعية لان هناك نائبا شيوعيا واحدا في المجلس النيابي السوري ... وأما فرنسا التي يشكل الشيوعيون ثلث سكانها وانكلترا التي يقوم فيها حزب شيوعي معترف به ، وله نفوذه في نقابات العمال فليستا قطعا شيوعيتين ..» (٢٩) .

● ومما كان يهدف اليه بعض هؤلاء الحكام اجراء تسوية بين العرب واليهود على اساس الاعتراف بالكيان الصهيوني ومصالحته كأمر واقع ، وبدافع الاعتقاد بأنه لا قدرة للعرب على مجابهة التحالف الامبريالي الصهيوني ضد الامة العربية ...

---

٢٨ ـ راجع بعض القضايا القومية للمؤلف ، ص ١٠١ ـ ١٢٥ .
٢٩ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٩١ .

وكان بعضهم كنوري السعيد يجهر بذلك ويصرح به ، بينما كان بعضهم الآخر يسعى اليه خفية ، ومن وراء الستار لخوفه من نقمة الجماهير وغضبتها ..

ولهذا فقد عمد الحزب الى فضح هذه السياسة ومقاومتها . ففي بيان له في العراق ورد ما يلي «ان الشعب العربي يعتبر دعوة نوري السعيد للصلح مع اسرائيل وتصفية قضية فلسطين تصفية نهائية بدافع حرصه على مصالح الاستعمار الغربي وقلقه على نفوذه اعتداء صارخا على ارادته وفي أخطر قضية عربية ..» (٣٠) .

● وبصورة عامة **فان السياسة التي سار عليها الحكام الرجعيون تميزت بالتبعية لدول الغرب الامبريالية والخضوع الى ضغوطها ومخططاتها ، وذلك لعدم اطمئنانهم الى الشعب ولضعف ثقتهم به من جهة ، ولشعورهم بالضعف والعجز تجاه الدول الاستعمارية ، ورغبتهم بكسب ودها والحصول على دعمها من جهة ثانية** ، فحكام الاردن على سبيل المثال كانوا يرددون بأن الاردن تحميه المعاهدة البريطانية . «**ومن هنا لا نجد هؤلاء** وأمثالهم عاجزين عن مقاومة الضغوط الامبريالية فحسب ، بل خاضعين لها متجاوبين مع مشاريعها» .. فعندما طرحت امريكا مشروع ايزنهاور لإملاء الفراغ المزعوم في المنطقة العربية بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر ، انقلب الملك حسين في نيسان عام ١٩٥٧ على السياسة العربية المتحررة ثم دعمته السعودية وجاهر حكام لبنان بميلهم للمشروع .. ثم انهم لم يحركوا ساكنا ضد فرنسا التي كانت تستخدم ابشع وسائل العنف والتدمير في الجزائر ، ولا يقدمون الدعم المطلوب للثورة

---

٣٠ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٤٤ .

الجزائرية ، بل ان بعض الحكومات الرجعية في لبنان «تقدم اعانة الى كوريا الجنوبية بينما المغرب المناضل لا يلقى حتى التأييد المعنوي ، بل يطعن من الخلف بمحاولة المساومة والتآمر على نضاله وثورته» (٣١) . ويحاربون كما في العراق ، «اي مظهر من مظاهر التأييد الشعبي لقضية (تأميم قناة السويس) التي تهم العرب جميعا فتعمل ـ حكومة نوري السعيد ـ على احباط الاضراب الشعبي الذي نجح رغم ارهابها وتهديدها واعتقالاتها» (٣٢) .

كما ان «اذاعة هذه الحكومة تصب اهتمامها على قضية المجر وتطوراتها اكثر من اهتمامها بأخبار معارك المجد في بور سعيد» (٣٣) ..

اما بالنسبة للنظام الرجعي في السعودية فقد ورد في نشرة للحزب «**ان الملك سعود يشكل بالنسبة للامريكيين ضمانة كبرى لانه لا يستطيع ان يقاوم الضغط المتزايد عليه من الحركة العربية التحررية الا بمعاونة امريكا لقاء استخدامها مطار الظهران ،** وهو من جهة ثانية لم يكن قد فضح نهائيا كنوري السعيد وسمير الرفاعي .. وقد نفذ الشطر الاول من المؤامرة عندما اشترك الجيش والمال السعوديان في قلب الحكومة الوطنية في الاردن .. وبدأ يمول المغامرين لقلب نظام الحكم في مصر .. ومارس الضغط على المعارضين اللبنانيين لحملهم على تغيير اتجاهاتهم وتأييد سياسة الرئيس شمعون العربية والخارجية.. وقد جاء كشف المؤامرة الاخيرة بدمشق (لاغتيال عبد الناصر) ابرازا رسميا لعدائه للحركة العربية .. ان كل فصل بين

---

٣١ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٧١ .

٣٢ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٤٣ .

٣٣ ـ المصدر السابق ص ١٤٩ .

الاستعمار وبين الرجعية هو دليل الجهل او الخيانة» (٣٤) ..

● ان الانظمة الرجعية التي حافظت على مظاهر الانتخابات النيابية والحياة الدستورية ، لم تتورع عن ممارسة البطش والارهاب والتنكيل بالقوى المعارضة من الفئات التقدمية، ولجأت الى الاساليب البوليسية والقمعية ضدها ، كما استخدمت ما لديها من اجهزة الدولة لفرض سيطرتها وسياستها الموالية للغرب ، وسخرت البرلمانات المنسجمة معها لاستصدار القوانين والتشريعات المؤيدة لاهدافها ومصالحها .. ففي النشرة السياسية للحزب بالعراق في مطلع ١٩٥٥ ورد ما يلي :

«وهذا ما نلاحظه اليوم في الاردن بمجيء وزارة ابي الهدى وتزويرها الشنيع للانتخابات النيابية الاخيرة .. ثم فرضها حكم الطغيان السافر وتعطيلها جميع الحريات الديمقراطية .. وهو ما نلاحظه اليوم في العراق بمجيء وزارة السعيد وتعطيلها كل جوانب الحياة الديمقراطية وحكم البلاد حكما بوليسيا لم يسبق للعراق ان تعرض لمثله طوال فترة تاريخه الحديث ، ومبالغتها بالاستهتار بحقوق الشعب وحرياته ، ذلك الاستهتار الذي تمثل بهذه المجموعة الشاذة من المراسيم والقوانين الغريبة كمرسوم الصحافة ومرسوم الجمعيات ومرسوم اسقاط الجنسية ومرسوم الخدمة الاجبارية» (٣٥) ..

هذا وكانت الحكومات الرجعية تمتنع عن الترخيص الرسمي للاحزاب الثورية بذرائع واعذار متعددة ، حتى اذا ما اضطرت الى ذلك بفعل الضغوط ، وبعض الظروف المؤاتية لهذه الاحزاب،

---

٣٤ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ . من نشرة للحزب في لبنان ، آذار ١٩٥٨ .

٣٥ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٧٢ .

عمدت بين فترة وأخرى الى حلها وتجميد نشاطها وتعطيل صحفها واصدار المراسيم التعسفية والارهابية ضدها وانزال الجيش لقمع تظاهراتها وذلك عندما لا تجدي اساليبها التقليدية في تخدير الشعب واسكاته عن طريق الوعود والاصلاحات الجزئية ، وتبديل الحكومات امتصاصاً للنقمة الشعبية .

وقد ورد في «الاشتراكي» جريدة الحزب الداخلية «ان الفئة الحاكمة المجرمة في العراق ، بمحاكمتها الصورية للمناضلين الاحرار ، وزجها الآلاف من المواطنين في السجون والمعتقلات ، وفصلها اساتذة المعاهد العالية وطلابها واغلاقها المتكرر للمدارس والكليات واعتداءاتها الوحشية على دور العلم ، وتوجيهها الرصاص ببنادقها ورشاشاتها نحو صدور الشعب المناضل ، وقمعها لمظاهراته الوطنية بكل عنف وقسوة .. ان كل ذلك لن يرهب هذا الشعب ولن يثنيه عن عزمه الاكيد لازالة هذا الحكم الارهابي» (٣٦) ..

هذه نماذج من سياسة الحكام الرجعيين ومواقفهم من الحركة الشعبية والقوى التقدمية ، وهي كما تبين لنا النصوص المذكورة ، من السوء والخطر على مستقبل الحركة الثورية العربية بحيث دعت الحزب الى مقاومتها ، والنضال لازاحة اصحابها من مراكز السلطة والحكم .

- ٥ -

مقاومة الاحلاف والتشديد على الحياد وعدم الانحياز

في مرحلة الخمسينات كثرت مشاريع الاحلاف العسكرية

---

٣٦ ــ «الاشتراكي» العدد ٨ (شباط ١٩٥٧) . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

المطروحة على الحكومات العربية لربطها بعجلة السياسة الغربية ، وكان من الطبيعي تبعا لذلك ، ان تزداد مقاومة الحزب لهذه المشاريع وأن يزداد تمسكه بسياسة الحياد وعدم الانحياز التي بدأ يطرحها منذ عام ١٩٤٧ «والتي تنطوي بطبيعتها على نضال مستمر ضد الاستعمار» ..

وكان الحزب يؤكد انه لا مصلحة للعرب في الانحياز الى احد المعسكرين الشيوعي والرأسمالي المتنافسين على بسط السيطرة والنفوذ .. غير انه لم يكن في يوم من الايام ليساوي بين هذين المعسكرين ، بل انه مع اصراره على سياسته هذه ، كان يؤكد على ضرورة النضال ضد المعسكر الرأسمالي الامبريالي الذي يصر على بقاء نفوذه واستغلاله للوطن العربي. وبوجيز القول: **ان الحزب فهم سياسة الحياد وعدم الانحياز على انها الاستقلالية ورفض التبعية مع الاصرار على التحرر ومقاومة الاستعمار بأشكاله المتعددة** . وكان يرى انه كلما كثرت الدول المتبنية لسياسة الحياد وعدم الانحياز بالمضمون الذي يدعم حرية الشعوب واستقلالها وتعايشها ، خفت حدة التوتر والحرب الباردة بين المعسكرين وتضاءلت احتمالات قيام حرب عالمية طاحنة ، وبذلك يمكن ان يستتب السلام العالمي وأن تنمو فرص التعاون بين الدول على اساس المساواة والتكافؤ .

ومن يرجع الى بعض ما نشره الحزب حول الحياد وعدم الانحياز ، يجد **فيه محاولة لربطه بعقيدة الحزب وباتجاه ثالث يعلو على عقيدتي المعسكرين ويتجاوزهما** .. ففي نشرة باسم القيادة القومية حول موقفنا السياسي من الشيوعية نطالع ما يلي : «الحياد الايجابي يقصد منه من الناحية المبدئية عدم الاقرار بمشروعية الانقسام على اساس الحلين الرأسمالي والشيوعي ، وضرورة تجاوزهما الى ما هو اعلى وأكثر حرية وايجابية .. وفسح المجال لتعايش الشعوب ضمن مختلف

الانظمة الملائمة لحاجات وميزات كل منها .. وسياسة الحياد، التي قال بها حزبنا بعد الحرب الاخيرة تتصل بموقفنا العقائدي الذي عبرنا عنه منذ تأسيس الحزب ، والذي يؤمن باتجاه ثالث فوق الاتجاهين البارزين في هذا العصر ، ينظر الى علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة الشعوب بعضها ببعض نظرة تختلف عن الديمقراطية الشكلية للمجتمعات الراسمالية وعن التنظيم الشيوعي المصطنع ، وتجد تعبيرها الحي في النظام الاشتراكي القومي المقدّس لكرامة الانسان وحريته» (٣٧) ..

وفي نهاية عام ١٩٥٧ ، نلاحظ الربط بين تمسك العرب بالحياد الايجابي وبين حرصهم على حريتهم ووحدتهم ورسالتهم القومية ، ففي جريدة «البعث» ورد «ان النضال الشعبي لمصر وسورية اتاح لهما ان تتحررا ، وأتاح لهما التحرر ان تسلكا سياسة الحياد وها هو الحياد اليوم يدعم تحررهم ويقرب خطواتهم نحو الوحدة الكبرى المنشودة التي يحقق اتحاد مصر وسورية حجر الزاوية فيها ..» (٣٨) .

● والحزب ايمانا منه بسياسة الحياد وعدم الانحياز كان من الطبيعي ان يقاوم جميع الاحلاف والمعاهدات التي تكبل الحكومات العربية بقيود سياسية واقتصادية وتبقيها في فلك السياسة الغربية ، ولهذا ركز دعايته ونضاله لالغاء المعاهدات التي ابرمتها بريطانيا مع حكومات العراق ومصر والاردن واقطار الخليج والجزيرة ، والتي ابرمتها فرنسا مع سورية ولبنان واقطار المغرب العربي ، وكذلك رفض وقاوم كل المشاريع العسكرية والدفاعية التي طرحتها الدول الغربية ابتداء من

---

٣٧ – موقفنا السياسي من الشيوعية ، ص ١٤ . (عام ١٩٥٦) .

٣٨ – «البعث» العدد ٨٣ في ١٣–١٢–١٩٥٧ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٨١ .

مشروع الدفاع المشترك في أوائل الخمسينات ومرورا بحلف بغداد ومشروعدالاس وانتهاء بمبدأ ايزنهاور عام١٩٥٧، وذلك لعلمه **وقناعته بانه لا مصلحة للعرب في الارتباط بالاحلاف المطروحة مهما تكن اشكالها وأسماؤها ، لانها بمثابة بديل عن المعاهدات القديمة ، او شكل جديد متطور من أشكالها** ، وانها تستهدف استغلال الدول الامبريالية لثروات الوطن العربي وطاقاته وموقعه الاستراتيجي مع ممارسة الضغط على العرب للاعتراف باسرائيل والتعامل معها وجعلهم طرفا في النزاع بين الشرق والغرب . وكان الحزب يرى ان «الاحلاف بالنسبة لنا لا يمكن ان تعني تكافؤا ، وانما تعني سيطرة الاستعمار علينا ، كما لا تجمعنا به اي اهداف مشتركة ، بل ان الامر على العكس اذ ان اهدافنا ومصالحنا تنطوي بطبيعتها على تناقض تام مع وجود الاستعمار واهدافه ومصالحه ، فتفرض المقاومة الدائمة والنضال المستمر ضده بوجوده ومصالحه وأهدافه» (٣٩) ..

كما يرى الحزب «ان الاستعمار الغى الكثير من معاهداته في بلادنا العربية ليستعيض عنها بالاحلاف التي تمكنه من ابقاء قيوده واستثماره ، وتسخير امكانات وطننا لمصالحه وحده ولمنفعة اسرائيل» (٤٠) .

فبالنسبة لحلف الدفاع المشترك اقام الحزب في عام ١٩٥١ التظاهرات وأرسل البرقيات الى الحكومات العربية لمنعها من الانزلاق بهذا الحلف ، كما اهاب بالشعب العربي في بياناته ان يعمل بشتى الوسائل : «لدعم الوثبة التحررية في مصر والبلاد العربية، ولرفض كل نوع من انواع التحالف كالدفاع المشترك وغيره ، ولاتباع سياسة الحياد والاستقلال ازاء المعسكرين

---

٣٩ ــ بيان شباط ١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٦٦ .
٤٠ ــ بيان اول ايار ١٩٥٥ . المصدر السابق ، ص ٧٣ ــ ٧٤ .

الغربي والشرقي» (٤١) .

وفي بيان للحزب في العراق عام ١٩٥٢ ورد «ان الشعب العربي أجمع على رفض المشاريع الاستعمارية وفي مقدمتها مشاريع الدفاع المشترك في اي شكل من أشكاله» . على ان حلف بغداد الذي تبنته حكومة نوري السعيد ، وأخذ يمارس نشاطه ومؤامراته ضد القوى العربية المتحررة بشكل واضح ومركز ، قد واجه مقاومة شديدة من هذه القوى بقيادة الحزب ، تقديرا منها بأنه اصبح يشكل خطرا اكيدا على مسيرتها التقدمية ، حيث عقدت اتفاقية بين بريطانيا والعراق ، هي في الواقع اخطر جزء من حلف بغداد ، وقد وصفها رئيس الحكومة البريطانية «بأنها أحكم من المعاهدة السابقة .. وان اهم ما فيها نصها على التعاون الوثيق المتواصل بين قوات الطرفين المسلحة .. وان الحلف سيؤمن مصالح بريطانيا على وجه أصلح وأفضل من المعاهدة ..» (٤٢) . وفي بيان آخر ورد «ان الوقائع دلت على تآمره مع الاستعمار ضد القومية العربية اثناء العدوان على مصر ، من استعمال القواعد البريطانية الموجودة في العراق لضرب مصر . كذلك كشفت المؤامرة الاخيرة على سورية عن الدور الكبير الذي لعبته حكومة نوري السعيد والاوساط الاستعمارية الاخرى في تهديد البلاد العربية وحماية مصالح الاستعمار ونفوذه في الشرق الاوسط . ان اغراض حلف بغداد تتجه اليوم نحو ضرب السياسة التحررية المحايدة في سورية والاردن .. كما يستهدف الحلف عزل مصر عن الركب العربي التحرري وإضعاف

---

٤١ ـ بيان الحزب في دمشق في ١٨ـ١٠ـ١٩٥١ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٨٠ .

٤٢ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٠٨ .

دورها فيه ..» (٤٣) .

ومما يذكر هنا ان القوى العربية والحركة الشعبية المعارضة لنوري السعيد في العراق لم تستطع الغاء هذا الحلف والحيلولة دون توقيعه والمضي فيه لاسباب متعددة اهمها :

ضعف نضالية الاحزاب التقليدية ، واكتفاؤها بالمذكرات الاحتجاجية .. وسلبية الحزب الشيوعي وتردده في العمل الجبهوي المشترك ، ثم حل نوري السعيد للبرلمان ، ولم يمض على انتخابه شهر واحد ، مع اشاعة جو من الضغط والارهاب الشديد .. وأخيرا حداثة التنظيم الشعبي الذي يقوده الحزب..

ومن المفيد ان نشير هنا الى فقرات من النشرة السياسية في القطر العراقي ، توضح دور الحزب وموقفه ، ومما جاء فيها «اننا طوال زيارة مندريس وفي جميع اتصالاتنا بالمنظمات الاخرى لم نجد من استعدادها الا التأوه والحسرات والاسف لما انحدر اليه الوضع السياسي في العراق .. **واذا لم تتعاون معنا المنظمات والاحزاب الاخرى في احداث رد الفعل هذا ، تحملناه وجماهير الشعب وحدنا بنطاق ضيق وبتضحيات محدودة وهو ما حدث بالفعل** .. ان ما حدث هو اننا بدانا الدعوة الى الاضراب في الكليات وكنا نأمل ان تندفع معنا كافة المنظمات» ، ولكن الاصلاحية منها ، اعلنت صراحة عن ضعفها ، بينما قاوم الشيوعيون الاضراب .. مما عرض عددا من اعضاء الحزب

---

٤٣ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٦٧ . بيان بتاريخ ٢٦ـ٢ـ١٩٥٧ . للاطلاع على مزيد من توضيحات الحزب لاهداف حلف بغداد وأخطاره راجع النشرة السياسية في نضال البعث الجزء الخامس ط٣ ص ٨١ ــ ٩٢ وكذلك بيان الرد على البيان الوزاري لحكومة سعيد الغزي في القطر السوري بتاريخ ٢٤ـ٩ـ١٩٥٥ في الجزء الثالث ط٣ من نضال البعث ، صفحة ١٠٠ ــ ١٠٨ .

وانصاره الى الاعتقال والمطاردة والفصل من المدارس والكليات والسوق للخدمة العسكرية (٤٤) . وتشير النشرة الى انه لم يكن بمقدور الحزب ان يتحمل مزيدا من التضحيات وحده . كما تشير الى اعتقالات الحزبيين وتضحياتهم ضد حلف بغداد في كل من سورية والاردن ولبنان . وتوجيه القيادة القطرية احر التحيات الى جميع مناضلي الحزب في الوطن العربي ..

اما عن مشروع دالاس فقد ورد في نشرات الحزب «ان الاستعمار كان يقدم مشاريعه تارة باسم الدفاع المشترك ، وأخرى باسم المساعدات العسكرية ، وباسم مشاريع اقتصادية كمشروع جونستون واخيرا باسم التعاون المشترك في حلف العراق وتركيا .. وكان حزبنا يقول بكل صراحة ان هذه المشاريع جميعها تنبع من معين واحد ، الغاية منها احتلال بلاد العرب وفرض الصلح عليهم مع اسرائيل .. وجاء مشروع دالاس يطرح بشكل وقح امام العرب مباشرة قضية الصلح مع اسرائيل» (٤٥) ..

اما بالنسبة لمبدأ ايزنهاور فقد ورد ما يلي : «ان الغاية من مبدأ ايزنهاور ملء الفراغ الذي نشأ (وفق مزاعم امريكا ..) بزوال نفوذ فرنسا وبريطانيا من الشرق الاوسط . ان التحدث عن الفراغ هو بحد ذاته ضربة موجهة للشعوب التي تقطن هذه المنطقة ، وقد تضمن مبدأ ايزنهاور فيما تضمن تدخلا في شؤوننا لانه اراد ان يربط سياسة البلاد التي تقلقه ، بالسياسة الامريكية وجعل المساعدات الممنوحة بموجبه مقيدة بشرط

---

٤٤ ـ شباط١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الخامس، ط٣ ، ص ٨٣ـ٨٥ .

٤٥ ـ بيان للحزب في ٢٤ـ٩ـ١٩٥٥ القطر السوري . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١١٥ .

اساسي هو مكافحة الشيوعية الدولية : وما وجد هذا الشرط الا لتبرير التدخل» (٤٦) ..

● هكذا يتبين ان الحزب كان يدرك ان لا مصلحة للعرب بمعاداة الاتحاد السوفيتي ، لأن الغرب هو عدوهم الاول الذي يسعى لفرض ارادته وسيطرته عليهم ، بينما لم يكن للسوفيت اي نفوذ او سيطرة في المنطقة العربية ، ولكنهم بدأوا في منتصف الخمسينات بتدعيم بعض الاقطار العربية بالسلاح واظهار الاستعداد لبناء مشاريع اقتصادية فيها ، مما خفف من غطرسة الغرب وتحكمه بشؤون الوطن العربي . هذا وبالرغم من ان الحزب «**دعا الى الاستقلالية عن سياسة الاتحاد السوفيتي فانه لم يضعها في يوم من الايام في صف واحد مع سياسة الدول الاستعمارية** بل وجد فيها دوما معدلا كبيرا لطغيان الدول الرأسمالية ، ووجد في الاتحاد السوفيتي عاملا مهما في تشجيع قوى التحرر في العالم» (٤٧) ..

كما ان الحزب كان يفرق بين رفضه للشيوعية وحرصه على صداقة الاتحاد السوفيتي . ففي جريدة «البعث» ورد « ان التعامل مع السوفيات ومع دول الكتلة الشرقية شيء ، والشيوعية شيء آخر ... ولكن الدعاية الاستعمارية تريد ان تخلط بين الامرين .. لقد قيل بعد صفقة السلاح ان سورية ستصبح شيوعية بعد ستة اشهر ومصر بعد سنتين .. ومرت الاشهر الستة وأشهر بعدها ، فلا سورية انقلبت الى شيوعية ولا ازداد نفوذ الشيوعية فيها بل تقلص ... ان البغي والظلم والاستهتار بالشعب وفرض السياسة غير القومية عليه هي التي

---

٤٦ ـ جريدة «البعث» العدد ٦٧ في ٢٣ـ٨ـ١٩٥٧ . المصدر السابق ص ٢٦٦ .

٤٧ ـ موقفنا السياسي من الشيوعية ، بداية ١٩٥٦ .

تفتح الطريق للشيوعية .. ولذلك كانت في العراق اقوى منها في مصر مثلا ..» (٤٨) . وعندما فشل حلف بغداد ، ومشاريع الاحلاف الاخرى التي طرحها الغرب لجر الاقطار العربية اليه ، وسادت بين الجماهير سياسة الحياد الايجابي والنضال من اجل التحرر والوحدة ، واتسع المد الثوري في الوطن العربي ، وخاصة بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة وثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨ ، عندئذ اسقط بيد الغرب وخشي من انضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة وتفجير الطاقات الثورية للجماهير العربية ، فتنهار الانظمة الرجعية الموالية له في الاردن ولبنان والسعودية وغيرها .. ولهذا اقدمت امريكا على انزال قواتها في لبنان بينما انزلت بريطانيا قواتها في الاردن ، وبهذا الصدد ورد في بيان للحزب «ان ثورة العراق قضت على خرافة المعسكرين العربيين .. وأدرك الاستعمار الغربي انه لن يستطيع بعد اليوم الاعتماد على عملائه للمحافظة على مصالحه البترولية والاستراتيجية .. فأسرع بارسال جيوشه وهي سلاحه الاخير، محاولا انقاذ سمعته وما يمكن من مصالحه» (٤٩) . غير ان امريكا وبريطانيا سحبتا قواتهما من لبنان والاردن بعد ان لمستا ما في بقائهما من عدوان صارخ واستفزاز كبير لمشاعر الجماهير العربية ، وبعد ان اطمأنتا الى عدم انضمام العراق الى المتحدة، والى امكانية استمرار الانظمة الرجعية الموالية لها .. ثم ان دول الغرب الاستعمارية لم تيأس بعد فشل مشاريع الاحلاف التي ارادت فرضها على العرب ، بل استمرت في ممارسة الضغوط

---

٤٨ ــ «البعث» العدد ٢٢ في ٢٨ ايلول ١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٩٦ .

٤٩ ــ ٣٠ تموز ١٩٥٨ . نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ١٢٧ .

عليهم وحبك المؤامرات ضدهم . وكانت تأخذ احيانا شكل العدوان السافر كما حدث في العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر ، وكما حدث العدوان البريطاني على عمان ، او كما حدث في الجزائر ، وفي تارة اخرى كان العدوان يأخذ شكل التآمر الخفي مع العملاء والخونة ، تدفع بهم الى مراكز السلطة والحكم ، كما حدث في محاولة التآمر الفاشلة على سورية ، وكما حدث في الانقلاب الرجعي الذي قام به الملك حسين في الاردن ..

ـ ٦ ـ
ـ مفاهيم ومواقف تتصل بالحرية:

● ظهرت في مرحلة الخمسينات بعض الابحاث الجديدة فيما يتصل بمفهوم الحرية ، وهي ترتبط بالظروف المستجدة ، حيث كتبت نشرات حزبية حول معنى الحرية والديمقراطية والقيادة الجماعية ، وضرورة الاحزاب العقيدية ودورها ، وأهمية النقد والنقد الذاتي في العمل الحزبي .. على انه لا بد من التنويه بأن الحزب كان يشدد على اهمية الحكم الشعبي في الفترات التي كان يسود فيها حكم عسكري او فردي ويضطر للدخول في صراع معه ، وكان احيانا يتمسك بالحياة الدستورية في ظل انظمة رجعية بورجوازية من اجل المحافظة على ما فيها من حق العمل الحزبي والشعبي ، ولقطع الطريق على بعض المغامرين العسكريين وتطلعاتهم في تسلم السلطة . كما كان في احيان اخرى يطالب بالديمقراطية الموجهة عندما يضيق ذرعا بالعراقيل ووسائل التعطيل التي تعمد اليها الرجعية الحاكمة عند ممارستها للديمقراطية الليبرالية وتحايلها المستمر على الدستور والقوانين المرعية . وقد أكد الحزب ان الحرية ليست موادا في الدستور ونصوصا في القوانين ، وليست مجرد

موضوع للخطابة والكتابة ولكنها عمل قبل كل شيء او كما قال الامين العام للحزب «انها لن تدخل حياتنا ما لم نرخص الحياة في سبيلها .. ولن نفرض على الحاكمين احترامها ونشعر الشعب بقيمتها وقدسيتها اذا لم يكن ايماننا بها جهادا ودفاعنا عنها استشهادا» (٥٠) .

وفي تقرير قدم لمجلس الحزب في القطر السوري عام ١٩٥٧ ورد عن الحرية وديمقراطية العمل الحزبي «ان الحرية ليست مجرد هدف نسعى الى تحقيقه ، بل هي الشرط الاساس في تكوين اجهزة الحزب وفي كل عمل حزبي .. وليس الوعي القومي الا نوعا من التحرر الداخلي الذي يبعد عن افكارنا كل عصبية وجمود .. والذي اختار الارتباط بالحزب بملء حريته هو الذي يدرك هذه الحرية كمسؤولية » (٥١) .

وعن الحزبية السليمة ورد في بيان للحزب عام ١٩٥٥ «انه لا يقوم بدونها اي استقرار سياسي ولا نقدر بدونها ان نجعل من الحكم الديمقراطي طريقا لتطوير الشعب نحو زيادة قواه وامكانياته ، ونحو تحقيق وحدته القومية،ونحو تبديد الاخطار التي تحيق به ..» (٥٢) .

على ان بعض النشرات الحزبية في لبنان تطرقت الى معنى حل الاحزاب في سورية عند قيام الوحدة ، ودافعت عما عرف بالديمقراطية الموجهة قائلة ، ان الظروف القاسية والحرص على

---

٥٠ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٣٤ ، (تشرين الثاني ١٩٥٣) .

٥١ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٤٦ (نشرة داخلية في ٢٩ـ٨ـ١٩٥٧). انظر ايضا نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨ .

٥٢ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٠٣ .

سلامة البلاد قد أملتها ، وان الامة ستحتاج الى هذه الديمقراطية «للقضاء على اعدائها من الداخل والخارج .. وهي موجهة ضد اعداء الشعب من اجل سلامته وصيانة مصلحته وحقوقه»(٥٣)..

ومهما يكن من أمر فاننا نستطيع القول بصورة عامة **ان الحزب استمر في الخمسينات على توكيد الشعارات والمبادىء التي سبق له ان طرحها فيما يتصل بالحرية والمحافظة على الحياة الديمقراطية وتعميقها ، ولكنه في الوقت نفسه واجه في هذا المجال بعض المواقف والقضايا العملية او التي افرزتها ظروف المرحلة ، وكان عليه ان يتخذ حيالها رأيا معينا** وأن يحدد منها موقفا واضحا . ومن ذلك مثلا قضية اشتراكه في الانتخابات النيابية بعد ظهور نقد متزايد على انغماس الحزب فيها ، وقضية اشتراكه في الحكم مع بعض الفئات اليمينية ، لاسباب مرتبطة بالحرية . **ويمكن ان نجملها فيما يلي :**

● **فبالنسبة الى خوض المعارك الانتخابية في ظل العهود الرجعية نجد مبررات كثيرة** ، منها دفع المجلس النيابي «لاستصدار التشريعات اللازمة لحماية حقوق العمال وانعاش حياة الفلاحين وصغار التجار والموظفين وأبناء الطبقة **الكادحة ..» (٥٤) .**

على ان الحزب كان يوصي نوابه في المجلس بأن «تطبع المواقف البرلمانية بطابع النظرة القومية والاتجاه النضالي اللذين ينبثقان من مبدئية الحزب وأسلوبه في العمل» (٥٥) ..

---

٥٣ ــ النشرة الداخلية ، شباط ١٩٥٨ . نضال البعث ، الجزء الثامن ص ١٠١ .

٥٤ ــ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٣ .

٥٥ ــ توصيات مجلس الحزب كانون الثاني ١٩٥٥ . المصدر السابق ص ٢٣ .

ولكن الحزب اهتم بالحياة البرلمانية في كل من سورية والاردن حيث اصبحت له قوة شعبية ملحوظة ، ونمت تطلعات بعض قياديه للانتخابات . ففي نشرة عن قيادة فرع الاردن عام ١٩٥٣ **ورد عن البرلمانية** «ان الحياة الديمقراطية على مساوئها كما هي عليه في بعض أجزاء الوطن العربي كالاردن والعراق ولبنان ، وكما كانت عليه في سورية ومصر ، حقل اخصب للعمل البعثي من اي نظام آخر ، وان القوى الاستعمارية تحاول توجيه الشعب نحو الكفران بأسلوب الحكم الديمقراطي وتوجيهه نحو عبادة الديكتاتورية او ما يسمى بالمستبد العادل ... ان وعينا على فشل وتفاهة النواب لا يجوز ان نخلص منه لمهاجمة الحياة النيابية ، ووعينا على النقائص في الدستور لا يجوز ان نخلص منه الى مهاجمة الحياة الدستورية .. **ومن شعاراتنا لا حرية ولا اشتراكية ولا وحدة الا بالديمقراطية الشعبية النيابية ..»** (٥٦) .

اما الحزب في العراق فقد قرر الاشتراك في انتخابات عام ١٩٥٤ «لفضح الفئات الحاكمة واظهار متناقضات الواقع الفاسد امام الجماهير واثارة الوعي بين ابناء الشعب وتنبيههم عن طريق الحملات الانتخابية الى المطالب الآنية في ضرورة تشديد النضال لطرد الاستعمار والدفاع عن الحريات الديمقراطية ورفض المحالفات والمساعدات العسكرية الاستعمارية .. ولأن الانتخابات حق للشعب يجب مزاولته» (٥٧) .. على ان الحزب عندما تأكد من تصميم السلطة على تزوير الانتخابات واسقاط مرشحيه دعا لمقاطعتها .. كما انه في الانتخابات النيابية التي

---

٥٦ ـ من تقرير قيادة فرع الاردن الى مؤتمر الفرع عام ١٩٥٣ .

٥٧ ـ ايار ١٩٥٤ . نضال البعث ، الجز الخامس ط٣ ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .

جرت في ايار من عام ١٩٥٨ ..حث على عرقلتها وأقدم على بعض المواقف السلبية لحمل الآخرين على مقاطعتها ..

● **اما بالنسبة لموقفه من الاشتراك بالحكم ومبرراته فيمكن استخلاصها** من الفقرات التالية: «ان السير الطبيعي للحزب أن لا يتحمل مسؤولية الحكم قبل ان يحوز بالطريق الديمقراطي على اكثرية برلمانية ، وهذا لا يمنع الحزب ان يستمر بعمله الجاهد لتحقيق شعاراته التي كان يعمل على تحقيقها في المجالس النيابية .. ويسعى لتحقيق حكم ديمقراطي صحيح.. وتنفيذ المشاريع الانشائية ، وصيانة استقلال البلاد وسيادتها، ومحاربة المشاريع الاستعمارية» (٥٨) ..

وفي نشرة دورية عام ١٩٥٥ ورد ان «الحزب في سورية بلغ من القوة الشعبية حدا يمكنه من المساهمة الفعالة في توجيه السياسة ، فلم يجد مناصا من تحمل مسؤولية الاشتراك بالحكم لدعم سياسة مقاومة الاحلاف ومباشرة اصلاحات داخلية ضرورية لتحرير جماهير الشعب ، وخطوات عملية لتوحيد الاقطار العربية توحيدا تاريخيا ، والتزام سياسة الحياد الايجابي ..» (٥٩) .

والواقع ان الفئات الرجعية في سورية كانت تريد وتعمل من اجل التفرد بالحكم وتوجيه السياسة الخارجية والداخلية وفق منطقها ومصالحها المتجاوبة مع مخططات الاستعمار الرامية لجر الاقطار العربية الى فلكه السياسي . ولهذا فقد كانت رغبة الحزب في تلافي ذلك من مبررات اشتراكه في الحكم ، اي لاسباب وضرورات قومية ، وبهذا المعنى ورد في احد بيانه

---

٥٨ ـ تشرين الاول ١٩٥٤ . نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص١٧ .

٥٩ ـ حزيران ١٩٥٥ . المصدر السابق، ص ٨٠ .

عام ١٩٥٥ «**ان حزبنا لم يقبل الاشتراك في الحكم الا بدافع مقاومة الاحلاف ودرء أخطارها عن البلاد ، وبدافع محاولة تحقيق خطوة جدية ايجابية نحو الوحدة العربية**» (٦٠) .

ولكنه عندما يتأكد من انحراف الحكم وعدم قدرة الحزب على تصحيح الانحراف وتحقيق المطالب المرحلية التي اشترك من اجلها ، ينسحب من مسؤولية المشاركة الجزئية في الحكم ويتابع نضاله الشعبي ضد الفئات المسيطرة فيه ، كما حدث في انسحاب ممثل الحزب من الحكومة في العراق بعد انحرافها عن ثورة ١٤ تموز ، وكما حدث في استقالة وزراء الحزب في دولة الوحدة في اواخر عام ١٩٥٩ ، بقصد الاعلان «عن استحالة تصحيح اوضاع الحكم بالبقاء فيه .. وعدم المشاركة في تحمل مسؤولية الانحراف وعدم تغطيته بسمعة الحزب القومية الحسنة في الوقت الذي لا يحمل البعثيون في الحكم اية مسؤولية حقيقية ..» (٦١) .

هكذا يتبين لنا ان مشاركة الحزب في الانتخابات النيابية والحكم في مرحلة الخمسينات كانت اولا وقبل كل شيء، بدافع الرغبة في توفير الحياة الديمقراطية وحمايتها وتعميقها لمصلحة الحركة الشعبية .. وبدافع الاعتقاد بامكانية تحقيق الاهداف القومية على وجه افضل من الاستنكاف عن المشاركة والعزوف عنها ..

---

٦٠ ـ المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

٦١ ـ نضال البعث ، الجزء السادس ط٣ ، ص ٩٠ .

- ٧ -
قضايا ومطاليب مرحلية متصلة بالحرية:

تتلخص القضايا والمطاليب المتصلة بنضال الحزب في سبيل الحرية بما يلي :

أ ـ رفض المعاهدات والاحلاف العسكرية والتأكيد على سياسة الحياد وعدم الانحياز كتعبير عن السياسة العربية المتحررة والاستقلالية الرافضة لاية تبعية ..

ب ـ رفض الانظمة العسكرية والفردية لانها تعطل الحياة الديمقراطية وتمنع الجماهير وطلائعها الثورية من ان تأخذ دورها الطبيعي في النشاط والمشاركة في عملية البناء والتقدم ..

ج ـ مقاومة الانظمة الرجعية والعمل على اسقاطها في سبيل الوصول الى حياة ديمقراطية شعبية افضل لمسيرة الثورة العربية وتقدمها في طريق الوحدة والتحرر والاشتراكية .

د ـ طرح شعار الجبهة الشعبية التقدمية على مستوى الوطن العربي ، وفي كل قطر ، لتحقيق المزيد من الديمقراطية وتطويرها بما يخدم اهداف الحركة الشعبية ..

هـ ـ في الفترات التي تشتد فيها مؤامرات الاستعمار وضغوطه لفرض مشاريع الاحلاف التي يطرحها،كان الحزب يركز على اعتبار المرحلة مرحلة تحرر قومي قبل ان تكون مرحلة تحرر اجتماعي وصراع طبقي ..

غير ان الحزب في بعض الاقطار كان يركز على بعض القضايا والمطاليب المرحلية الخاصة بالقطر ، والمرتبطة في الوقت نفسه بالقضايا القومية . كما ان ثمة بعض المطاليب والاهداف المحلية والآنية كانت تشغل جانبا من نشاطه واهتماماته .. ومن الامثلة على ذلك ما ورد في بعض البيانات والنشرات الحزبية .. **ففي الاردن** نلاحظ في عام ١٩٥٤ ، توجيه حملة ضد القوانين

الاستثنائية ، ومن اجل تحقيق الحريات الشخصية والعامة ..
وبعد عامين يستغل حادث الاعتداء الصهيوني على قبية في الضفة الغربية واهمال الرد عليه ، فيطالب بتطهير الجيش الاردني من قادته الانكليز وتحريره من المعونة المالية البريطانية ويقيم الندوات ويحرك التظاهرات من اجل ذلك ، كما اثار موضوع قانون تشكيل الاحزاب وقانون الانتخاب الجديد ، ومسألة تعديل الدستور لتوفير المزيد من الديمقراطية (٦٢) .

وفي بيان للحزب حول تحرير الجيش ومكائد الاستعمار في ايار عام ١٩٥٦ ، ورد ما يلي :

«ان حزبنا الذي يرفع شعار تحرير الجيش قيادة وتمويلا من النفوذ الاجنبي منذ سنوات .. ويرى الحركة التي ابعدت كلوب وضباطه الانجليز من الجيش حركة مخلصة أصيلة ... وان حزبنا الذي يستمر في قيادة نضال الشعب لتتلو هذه الخطوة،الخطوات الطبيعية الاخرى ، وفي مقدمتها قبول المعونة العربية كبديل للمعونة البريطانية للجيش والحرس الوطني .. ثم ليستكمل الاردن اسباب تحرره ، وليأخذ مكانه بين الشقيقات المتحررات ... ان حزبنا ليعلن مقاومته العنيدة لكل محاولة استعمارية مجرمة ترمي الى الدس بين صفوف الجيش .. واثارة النعرات الطائفية والاقليمية والمحلية» (٦٣) ..

اما بالنسبة الى العراق فنلاحظ اهم الشعارات المرحلية تركز على الغاء المعاهدة البريطانية لعام ١٩٣٠ واسقاط حكومة نوري السعيد واحباط حلف بغداد الاستعماري وحل المجلس النيابي المزيف لعام ١٩٥٦ واطلاق الحريات الديمقراطية ،

---

٦٢ ـ النشرة الدورية ـ شباط ١٩٥٤ .

٦٣ ـ بيان للحزب في الاردن في ٥ـ٥ـ١٩٥٦ .

وتشكيل جبهة وطنية لتحقيق المطاليب المذكورة .. »(٦٤) .

وفي نشرة داخلية عن ضرورة الجبهة الوطنية يحدد الحزب هدفها في «تنظيم القوى الشعبية الزاخرة بالامكانات وتقوية نضالها من اجل التحرر من حلف بغداد ومواكبة النضال العربي في التحرر والوحدة العربية ، ومن اجل اسقاط نوري السعيد وانهاء الوضع الارهابي القائم واطلاق الحريات العامة» (٦٥) ..

وفي بيان آخر وزع في آب من عام **١٩٥٧** ورد ان الحزب يجدد مطالبته ونضاله من اجل «اطلاق الحريات الديمقراطية وتصفية الوضع الارهابي بإفساح المجال امام الحياة الحزبية والنقابية ان تأخذ مجراها الطبيعي ، دونما ضغط او تدخل او ارهاب ، وحل المجلس النيابي واجراء انتخابات حرة بعيدة عن التزوير والتزييف والتدخل ، واعادة الطلاب والمدرسين والموظفين الى مدارسهم وأعمالهم ووظائفهم ، وغلق مراكز التدريب في راوندوز والشعيبة التي نشأت للانتقام من الطلاب ... هذه الامور الخطيرة تعتبر اليوم مطلبا شعبيا آنيا .. » (٦٦) .

أما في القطر السوري فقد كان في مطلع الخمسينات يطالب باجراء انتخابات بلدية بعد سن قانون ديمقراطي يجعلها تمثل الشعب ثم اجراء انتخابات نيابية حرة نزيهة،وبتأميم جميع

---

٦٤ — مثلا بيانات ٢٧–١ و٢٤–٢ و٢٩–٧–١٩٥٦ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٠٣ و١٠٥ و١١٥ .

٦٥ — ايلول ١٩٥٦ . المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

٦٦ — المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

الشركات الاجنبية .. «(٦٧)» .

وفي بيان للحزب عام ١٩٥١ بذكرى وعد بلفور وردت خلاصة لشعارات المرحلة في «دعم نضال مصر في سبيل تحريرها من الاستعمار البريطاني ورفض مشروع الدفاع المشترك والوقوف على الحياد بين المعسكرين ، واقامة حكم شعبي يحقق وحدة العرب ويقضي على الاستعمار وربيبته اسرائيل ..» (٦٨).

على ان الحزب كان يهاجم الحكام الرجعيين الذين يعبثون بالديمقراطية ويشوهونها ويتخذون من الحياة النيابية الدستورية وسيلة للاستغلال والابقاء على الفساد والجمود ، وكان يشدد على حماية الحياة الدستورية وتعزيزها عندما كان يسيطر على الحكم مغامرون عسكريون كالشيشكلي ويجعل مطاليبه المرحلية في «ازاحة صاحب الانقلاب واقصاء الجيش عن السياسة .. واقامة حكم نيابي شعبي سليم ومحاربة كل محاولة لعقد الصلح مع اسرائيل ومقاومة كل ارتباط مع الاستعمار الفربي ..»(٦٩).

وكان يرى ان «ازدياد القوة الشعبية النضالية رهن باقامة حكم دستوري في الداخل يجري في ظله الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي الذي يفتح امكانات الامة ويضاعف انتاجها..» (٧٠).

كما كان يعتبر المرحلة ، مرحلة تحرر قومي لجميع أجزاء الوطن العربي ويدعو لاقامة جبهة عربية شعبية لتحقيق الهدف الرئيسي في تلك المرحلة وهو التحرر من الاستعمار بعد تأمين

---

٦٧ ـ من مقررات مجلس الحزب عام ١٩٥٠ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٢٣ .

٦٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

٦٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

٧٠ ـ نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٢٩٨ .

الضمانات الاساسية الكامنة في الدفاع عن الحرية السياسية والاوضاع الدستورية .. وفي العمل للوحدة العربية في جميع المجالات الممكنة وفي تحقيق الاصلاحات الاجتماعية الضرورية لرفع مستوى الشعب (٧١) ..

- ٨ -

نماذج من اضطهاد البعثيين

بقي لنا فيما يتعلق بنضال الحرية ان نذكر لمحة عن المتاعب ، وضروب الاضطهاد التي تعرض لها الحزبيون في مرحلة الخمسينات ، وبخاصة في ظل الانظمة العسكرية والفردية ، كما كان الامر في عهد الشيشكلي في القطر السوري ، او في ظل الانظمة الرجعية البوليسية كما كان في عهد نوري السعيد بالقطر العراقي ، او في الفترة التي كان فيها النظام الاردني ضد السياسة العربية المتحررة ولاسيما بعد انقلابه الرجعي عام ١٩٥٧ ..

والحق ان الكثيرين من الحزبيين تعرضوا الى الملاحقة والاعتقال والتشريد والطرد من المدارس اذا كانوا طلابا، والتسريح اذا كانوا موظفين . هذا فضلا عن ان عددا غير قليل منهم عومل بكثير من القسوة والوحشية ومورست ضده اشكال متعددة من التعذيب الجسدي والنفسي لم تكن معهودة من قبل .. وعلى الرغم من ان الاضطهاد قد قلص من قدرة الحزب على التحرك الشعبي ، وخفض من نسبة الاعضاء القادرين على الصمود ومتابعة النشاط ، فانه شكل تحديا لهم وحافزا دفعهم نحو المزيد من الصمود والمجابهة ، وتعميق التجربة النضالية واستنباط وسائل جديدة في سبيل الاستمرار والمثابرة على العمل والنضال لتحقيق الاهداف المرسومة ... ذلك لان الاضطهاد للقوى الثورية العقيدية ، يزيدها عنادا وصمودا ، ويغدو كالوقود الذي يضرم النار ويلهبها .

---

٧١ – معركة المصير الواحد ، ط٤ ، ص ١٧٥ – ١٧٦ (ايار ١٩٥٧) .

ففي القطر السوري كان اول اعتقال للبعثيين قد بدأ في عام ١٩٤٥ ، ولكنه اتسع نطاقه واشتـدت وسائل التنكيل بهـم والاضطهاد لهم في مرحلة الخمسينات ، مع ظهور الانقلابـات العسكرية وبخاصة في عهد الشيشكلي حيث شملت القياديين والاعضاء العاديين الذين اعتقلوا وحوكم بعضهم محاكمة صورية، بينما لم يقدم آخرون لأية محاكمة ، وعذبوا وضربوا ووضعوا في سجون منفردة ومنع اي اتصال بهم من ذويهم ، مما اضطر الحزب الى مواجهة هذا الارهاب باعتماد أسلـوب جديد .. يقضي باستخدام الاوكار للعمل السري واعادة بناء التنظيم على اساس الخلايا الصغيرة والارتباط الفردي ، وتكليف مجموعات صغيرة بأعمال سلبية ضد النظام ، والقاء مفرقعات صوتية توحي بوجود المعارضة القوية وعدم الاستقرار . ولعل ايراد بعـض النصوص من تراث الحزب تلقي ضوءا على أجواء الارهاب التي كان يعيشها الحزبيون في مقارعة الانظمة الديكتاتورية والرجعية البوليسية ..

ففي بيان بالقطر السوري ورد قوله : لقد سلطت علـى «طلاب المدارس وطالباتها قوى الشرطة بالاسلحة الرشاشـة تجرح وتضرب وتعذب المواطنين من الطلاب والاساتذة والعمال والمحامين حتى أثار جميع المواطنين فأضربت المدينـة (حلب) قاطبة عدة ايام» (٧٢) .. وفي بيان آخر ورد «ان الاعتقـالات الواسعة ، والارهاب في كل مكان ، وتجريد جيش الشعب على القرى والمدن ليفتك بالنساء والاطفال وليدمر البيوت علـى اصحابها ..» (٧٣) .

اما في العراق حيث بلغ التنظيم مستوى الفرع في عـام

---

٧٢ ــ كانون الاول ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص٢٣٠ .

٧٣ ــ شباط ١٩٥٤ . المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

١٩٥٢ فقد اصبح قادرا بل ماهرا بتحريك التظاهرات الطلابية وقيادتها ، وبرز ذلك بوضوح في هذا العام .. على ان موجة الملاحقة والاعتقالات والاضطهاد اخذت بالتوسع والاشتداد مع تصعيد الحزب لمعارضته حلف بغداد منذ عام ١٩٥٤ وبلغت ذروتها في عام ١٩٥٩ ، بعد انحراف ثورة ١٤ تموز في عهد عبد الكريم قاسم واستخدام ابشع وسائل الارهاب والعنف ضد القوى القومية والوحدوية ، وفي مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي ، والتي لم تقف عند حدود النفي والاعتقال والتسريح من الوظيفة بل تعدتها الى السحل والقتل والتمثيل وممارسة ابشع انواع العذاب والتنكيل ..

لقد ورد في «الاشتراكي» ان المعتقلين في ايار كانوا «بالآلاف نساء ورجالا وشيوخا وشبابا وحتى الاطفال وفتية المدارس الابتدائية لم يسلموا من قبضة السعيد .. (الذي) لا يجهل ان في راوندوز مائة وخمسين طالبا من طلبة الثانويات ودور المعلمين لا يتجاوز عمر اكبرهم الثامنة عشرة ، مبعدين منذ حوادث مظاهرات تشرين . وفي اللحظة التي كان يتحدث فيها السعيد الى الصحفيين ووكالات الانباء كان هناك عدد كبير من البعثيين والوطنيين الآخرين في مواقف بغداد القي القبض عليهم منذ شهر بدون تهم او سند ..» (٧٤) .

وفي «الاشتراكي» ، ورد ايضا ان نوري السعيد « حل المجلس وعطل الصحافة الوطنية وزاول ابشع اساليب القمع والارهاب لملاحقة الاحرار وزجهم في السجون والمعتقلات ومطاردة المدرسين والموظفين والطلاب ، بعرقلة اسباب العيش في وجه الوطنيين وملاحقتهم حتى في ابسط ظروفهم المعيشية الخاصة ، وموراد رزقهم اليومي وفي اصدار المراسيم التعسفية

---

٧٤ — ايار ١٩٥٧ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١٨٩ .

المنافية لأبسط قواعد العدل والانسانية كمرسوم اسقاط الجنسية ، وفي أعمال الافساد والاذلال والاهانة التي تزاولها دوائر الشرطة» (٧٥) .

واخيرا وليس آخرا فان نضال الحزب في الاقطار العربية الاخرى ، وان لم يتعرضوا لمثل المصاعب والضغوط التي تعرض لها في كل من سورية والعراق في الخمسينات، فانه كما في الاردن ولبنان وبعض الاقطار الاخرى قد واجه في بعض السنوات كثيرا من مضايقات السلطة وملاحقتها وتعرض اعضاؤه ايضا الى الاعتقال والتشريد والتسريح وغير ذلك من الوسائل التي يتعرض لها المناضلون ..

---

٧٥ ـ آب ١٩٥٧ . المصدر السابق ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

الفصل الرابع

النضال في سبيل الاشتراكية

- ١ -
مطاليب ومكاسب على طريق الاشتراكية

في الكتاب الاول من تاريخ البعث العربي الاشتراكي لمرحلة الاربعينات ، ذكرنا ان الكتابات والاحاديث في السنوات الاولى من نشأة الحزب، كانت تركز على توضيح مفهوم القومية والوحدة وخصائص الامة العربية ، واستقلاليتها ، وعلى الحكم الشعبي الديمقراطي وضرورة المحافظة على الحريات الفردية والعامة ، وصيانة الدستور ومقاومة عوامل الفساد والتلاعب . كما كانت

تؤكد على الاخلاقية والاسلوب النضالي والانقلابي ، ولم تتطرق الى الناحية الاشتراكية الا في عام ١٩٤٤ في كراس بعنوان «القومية العربية وموقفها من الشيوعية» . غير ان البيانات الحزبية في تلك المرحلة المبكرة من نشاطه ، كانت تندد بالاوضاع الاقتصادية الفاسدة في البلاد ، وتهاجم الاستغلال والظلم اللذين تمارسهما الفئة الحاكمة الممثلة للطبقة الاقطاعية والبرجوازية ، كما كانت تدافع عن الفئات الشعبية الكادحة ، وتتبنى قضاياها المطلبية مع ربطها بالقضايا القومية والاجتماعية العامة ، وذلك كله في اطار قدرات الحزب المتاحة وامكاناته البسيطة . وكان للاحتكاك مع الشيوعيين والتصادم المتصاعد معهم تأثير في اصدار بعض النشرات التي توضح الفرق بين الاشتراكية التي يدعو اليها الحزب ، والاشتراكية التي يدعو اليها الشيوعيون .

على اننا نستطيع القول **ان الاهتمام بالجانب الاشتراكي على المستويين النظري والنضالي بدأ يتصاعد منذ منتصف الاربعينات، ويأخذ صيغته الواضحة بعد المؤتمر التأسيسي ، في حين انه في مرحلة الخمسينات ، اصبح من القوة والتأثير بحيث أسهم بشكل فعال في تحقيق خطوات عملية تتصل بهدف الاشتراكية وانجاز بعض المكاسب الملموسة للطبقة الكادحة من عمال وفلاحين، وصغار الكسبة والموظفين .**

ولعل من المفيد ان نعالج نضال الحزب في سبيل الاشتراكية في هذه المرحلة وفق الخطة التالية :

اولاً : فضح استغلال وفساد الطبقتين الاقطاعية والرأسمالية والمطالبة بإزالتهما ، ومهاجمة الشركات الاحتكارية الوطنية والاجنبية ، والمطالبة بتأميمها ، مع الاشارة الى ما حققه الحزب في هذا الشأن ..

ثم ابراز المطاليب المرحلية التي طرحها من اجل الكادحين

وما حققه بالتعاون معهم من مكاسب ومنجزات ..

ثانيا : استعراض بعض القضايا والمفاهيم المتصلة بالاشتراكية، ويشمل هذا مفهوم البعث للاشتراكية ، ولبعض التعابير كالشعبية والجماهيرية، وللصراع الطبقي والقومي، وللاممية والانسانية ، ثم موقع الاشتراكية من الوحدة ، وبعض نواحي التطور والتغيير .

ثالثا : الموقف من الماركسية والاحزاب الشيوعية والمبررات التي دفعت بالحزب لاتخاذ مواقف سلبية وحدّية منها حينا ، ومواقف ودية وايجابية حينا آخر .

٤ ـ مقاومة الاقطاع والراسمالية :

عندما طرح مشروع دستور جديد للقطر السوري في بداية الخمسينات ، وتعرضت احدى مواده الى ضرورة سن تشريع يحقق استثمار الارض ، «استثمارا صالحا» .، ويقيم علائق اجتماعية عادلة بين المواطنين ، ويقوم على مبدأين هما وجوب استثمار الارض وتحديد ملكيتها من دون أثر رجعي ، عندها نظم الحزب حملة تهاجم الاقطاعيين وتفضح حزب الشعب الحاكم الذي يراعي مصالح هذه الطبقة ويؤكد على اهمية تحديد الملكية بأثر رجعي،ومما قاله «ان سورية كشأن جميع البلاد العربية ، كانت ولا تزال تشكو من الاقطاع والرأسمالية ، وترى فيهما المعرقل الاكبر لتأمين معيشة لائقة للمواطنين ... اننا نطالب ان يكون لتحديد الملكية مفعول رجعي لان البلاد تئن من نير الاقطاعية الراهنة لا المنتظرة ، ولانه لا سبيل لاقامة حكم دستوري يتمتع فيه المواطن بحريته وكرامته وحقوقه الا عندما تصبح ثروة الوطن ملكا لجميع ابناء الوطن لا للاقلية الجشعة

فيه » (١) .

وفي مقال آخر يتعرض الى طغيان الرأسمالية وجشعها وتضخم الملكية الصناعية ، واستغلالها البشع للعمال ، فيقول :

«عندما نحاول وضع دستور يحمي كرامة المواطنين علينا ان نتلافى كل استثمار جشع فنعمد الى الامور التالية :

١ ــ تعتبر وسائل الانتاج الكبيرة ملكا للشعب وتديرها الدولة .

٢ ــ تلغى الشركات والامتيازات الاجنبية وغيرها من رؤوس الاموال التي تستغل جهود المواطنين .

٣ ــ تحديد الملكية الصناعية الصغيرة بما يتناسب مع المستوى الاقتصادي الذي يتمتع به بقية المواطنين .

٤ ــ يشترك العمال في ادارة المعمل ويمنحون عدا اجورهم التي تحددها الدولة نصيبا من ارباح المعمل .

تلك هي مبادىء اساسية في معالجة ناحية خطرة من نواحي حياتنا الاقتصادية» (٢) .

ومما يذكر ان هذه المبادىء الاساسية وردت في دستور الحزب وأصبح من الممكن المطالبة بوضعها في الدستور الجديد للقطر السوري ، حتى اذا لم يتحقق ذلك بالفعل ، فان طرحها والالحاح عليها بهذه المناسبة يجعلان الجماهير اكثر تفهما لها واستعدادا للنضال من اجلها في المستقبل . وفي بيان بعنوان «البعث العربي في سبيل العمال والفلاحين» ، هاجم الحكومة «لفشلها في معالجة البطالة والغلاء واحتكار التجار وتسهيل

---

١ ــ جريدة «البعث» العدد ٤٢٤ تاريخ ١٨ــ٤ــ١٩٥٠ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٦٢ .

٢ ــ جريدة «البعث» العدد ٤٢٦ تاريخ ٢٠ــ٤ــ١٩٥٠ . المصدر السابق، ص ٦٣ .

دخول البضائع الاجنبية ، وعدم حمايتها للصناعة الوطنية ، وخضوعها لضغط الراسماليين الذين يعمدون لتخفيض الاجور، ويحتالون على القانون ويفرضون على العمال شروطا قاسية»(٣).

ومن خلال معالجته لأزمة الخبز في آب عام ١٩٥٤ **هاجم السياسة الرأسمالية المتبعة وسيطرة الشركات الاحتكارية واستغلالها البشع** فقال «ان سياسة الخبز الاجرامية المتبعة ليست الا جزءا من السياسة الاقتصادية الراسمالية المجرمة التي يقوم بها رجال المال والاعمال وشركاتهم الاحتكارية في المطاحن ومعامل الغزل والنسيج الكبرى . لقد اصبحت هذه الشركات دولة ضمن الدولة ، توجه سياستها وتسيطر على دوائر الدولة، وتوجه كبار الموظفين ..» (٤) .

ب ـ تأميم بعض الشركات الاحتكارية :

في ايلول من عام ١٩٥٠ بدأ الحزب يفضح تلاعب شركة الريجي ، واستغلالها البشع للفلاحين ، وبخاصة في محافظة اللاذقية ، وهي شركة تحتكر رخص زراعة وبيع التبغ ، ثم طرح شعار تأميم هذه الشركة الاجنبية «وطالب الحكومة بأن لا تجدد لها حق امتيازها وأن تلغيه وتجعلها ملكا للدولة» مؤكدا ان التأميم لن يعود بأي ضرر على العمال والموظفين بل سيمنح هؤلاء ضمانة اقوى لمستقبلهم ، وللعمال حقوقا لا تتلاعب بها الاهواء ،

---

٣ ـ جريدة «البعث» العدد ٤٦٣ تاريخ ٢٥ـ٨ـ١٩٥٠ . المصدر السابق، ص ٩٠ ـ ٩١ .

٤ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

وللباعة رخصا عادلة (٥) .

وبعد تصعيد الحزب للحملة ضد هذه الشركة بالبيانات وتحريك التظاهرات التي **أدت الى صدامات دموية مع الشرطة اضطرت الحكومة لتاميمها في العام التالي كما اضطرت لتاميم شركتي الجر والتنوير والمياه في دمشق** . وفي بيان صادر عن مجلس الحزب في نهاية العام طالب بتأميم جميع الشركات الاجنبية الى جانب مطالبته بكثير من القضايا التي تخص الكادحين والطبقات الشعبية . كما طالب بأن تتقاضى الحكومة السورية **زيادة عن عائدات شركات النفط ، وتحقق ذلك في عام ١٩٥٥ فارتفعت** العائدات الى ثلاثة أضعاف . ولكن هذه الفئة الحاكمة في القطر السوري ، وهي الممثلة يومذاك للطبقة البرجوازية ، رفضت كل الاقتراحات التي قدمت للبرلمان لمصادرة الرأسمال الاجنبي بدون تعويض .

على ان الحزب لم يهمل المطالبة بتأميم الشركات الاحتكارية في بعض الاقطار العربية التي بدأ ينمو فيها كالعراق ، حيث أصدر الحزبيون على قلة عددهم ، وضعف وزنهم السياسي ، بيانا في شباط من عام ١٩٥٢ تضمن الى جانب التنديد بالاحلاف العسكرية والتوكيد على سياسة الحياد وعدم الانحياز، المطالبة بتأميم النفط في العراق ، ومما ورد فيه «في هذه الظروف التي رأينا فيها نجاح جماهير شعبنا في سورية ـ من عمال وفلاحين وطلبة ـ بتحقيق تأميم بعض الشركات الاستغلالية ، كشركة الريجي ، شركة التبغ الاحتكارية ، وشركة الجر والتنوير ، وشركة الماء ، والتي رأينا فيها نجاح حركة تأميم النفط في ايران ... في مثل هذه الظروف وبعد تصميم شعبنا على ذلك كله ، نرى حكومة نوري السعيد تستهين بحقوق

---

٥ ـ بيان ٢٦ـ١١ـ١٩٥٠ . المصدر السابق ، ص ١١٣ ـ ١١٤

شعبنا باقدامها على عقد اتفاقيات نفطية جديدة وتعمد لابرامها بسرعة مدهشة على مجالسها النيابية .. واننا اذ نحمل الحكومة مسؤوليتها تجاه شعبنا في عملها هذا ، واذ نرفض بشدة اتفاقيات النفط الجديدة والقديمة معا ، لانها ضد اهداف شعبنا في التحرير السياسي والاقتصادي ، ولأن هدفه هو التأميم والتأميم دائما ، فاننا ندعو جماهير شعبنا الى تأييد هذا البيان » (٦) .

ومما يذكر ان الحزب في القطر السوري قد قدم **في منتصف الخمسينات دراسة علمية شاملة حول قضية النفط في سورية،وبخاصة حول واقع شركة نفط العراق واستغلالها** تبين «ان الحكومة يجب ان تتقاضى منها ١٧٧ مليون ليرة سورية بينما لا يتعدى ما تتقاضاه مليون ونصف ليرة» (٧) . كما أكد على ضرورة انشاء مصفاة للبترول في القطر السوري تسهم في تقديم القدرة الحرارية اللازمة لتوفير الطاقة الميكانيكية والكهربائية للصناعات المختلفة (٨) ، ولأن ما يستهلكه اي بلد من منتجات تصفية النفط اضحى مقياسا امينا ودليلا حيا لتقدمه العمراني والاقتصادي . ثم **طالب الحزب بتأميم نقل المحروقات** وانشاء مؤسسة تتولى نقلها بدلا من ان يبقى ذلك بأيدي شركات احتكارية .

ج ـ مطاليب ومكاسب للكادحين :

كان اهتمام الحزب بالقضايا الاقتصادية يزداد مع الزمن ،

---

٦ ـ جريدة «الجبهة الشعبية» البغدادية العدد ١٧٠ في ١٧-٢-١٩٥٢ .
٧ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٨٥ .
٨ ـ المصدر السابق ، ص ٩٣ .

ولاسيما عندما لا تستغرق جهده ووقته ، أحداث سياسية طارئة وهامة . ففي مقررات مجلس الحزب الذي انعقد بدورته العادية في أواخر عام ١٩٥٠ وحضره ممثلون منتخبون من جميع الفروع ، طالب بسن قوانين لوضع حد للملكية وتطبيق نظام الضرائب التصاعدية ، وتحقيق الضمان الاجتماعي ، والبدء بصورة جدية في مكافحة الأمية .. وتنظيم حقوق الفلاحين ، وتوزيع اراضي الدولة عليهم ، وانشاء التعاونيات في قراهم .. وإنصاف العمال بتطبيق قانون العمل وتعديله لمصلحتهم .. كما طالب بمكافحة الاحتكار ومعاقبة المحتكرين بقسوة (٩) .

وفي شباط من العام التالي ، عقد الحزب مؤتمرا عاما لمكاتب العمل في جميع فروعه لدراسة اوضاع العمال والفلاحين، وتقرير الخطة اللازمة لانقاذ الطبقة العاملة المنتجة وحمايتها .. ورأى المؤتمرون «ان لا سبيل لانقاذ العمال والفلاحين الكادحين من الاخطار الا بتحقيق نظام اشتراكي صريح» (١٠) ثم طالبوا بتعديل قانون العمل بما يضمن مصالح العمال وايجاد الضمان الاجتماعي للتأمين ضد الشيخوخة والعجز وطوارىء العمل وسن تشريع خاص بالفلاحين والعمال الزراعيين . وراحت جريدة «البعث» توضح التعديلات المقترح اجراؤها بحيث تشمل التنظيم النقابي ومكاسب جديدة للعمال كترفيعهم سنويا ومنحهم اجازات اسبوعية وسنوية مأجورة .. والاسراع بتوزيع أملاك الدولة (وهي واسعة جدا) على الفلاحين ، ومنع تسخيرهم او طردهم ، وتأمين مياه الشرب والسكن الصحي والكهرباء لهم والتعليم لابنائهم . وفي بعض البيانات يوضح المبدأ الاشتراكي

---

٩ ـ نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

١٠ ـ المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

الذي يعتمده الحزب بالنسبة لملكية الارض فيحث الدولة على مصادرة الارض التي لا يفلحها اصحابها بأنفسهم **لان «الارض ملك لمن يعمل فيها»** (١١) .

ومن الجدير بالذكر ان الحزب كان يقف باستمرار الى جانب الطبقة الكادحة ويبادر لتبني الدفاع عن حاجاتها ويتصدى لاهمال الفئة الحاكمة وسوء تصرفها في معالجة بعض القضايا والازمات الاقتصادية والاجتماعية .

ومن ذلك على سبيل المثال، اهتمامه بأزمة الماء والغذاء في محافظتي حوران وجبل العرب ، وأزمة تسريح عمال النسيج اليدوي في حمص ومئات العمال من معامل الغزل والنسيج في حلب ، حيث رأى فيها الحزب «مظهرا من مظاهر تحكم الرأسمالية المجرمة والاستعمار البغيض» وكذلك ازمة الخبز التي وضح أبعادها وحمل الفئة الحاكمة الاقطاعية مسؤوليتها ، كما حدد الوسائل الناجعة في معالجتها (١٢) . على ان الحزب بعد انتصاره في معركة الدفاع عن الحرية ، ضد النظام الديكتاتوري في القطر السوري، عاد لمتابعة الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالاشتراكية ، فأخذ يطرح شعارات مرحلية محددة ، ويناضل مع الطبقة الكادحة لتحقيقها، وفي مقدمتها تعديل قانون العمل (١٣) بشكل يستوحي من

---

١١ ـ جريدة «البعث» العدد ٥٠٩ في ١٨ـ٨ـ١٩٥١ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٧١ .

١٢ ـ لمزيد من المعلومات حول هذه المواضيع ، راجع «البعث .. ونضال الطبقة العاملة» الجزء الاول ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ والجزء الثاني ١٩٥١ ـ ١٩٥٦ (السلسلة الحمراء) دار الطليعة ـ بيروت ١٩٧٤ و١٩٧٥ .

١٣ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٤٠ ـ ٤٥ .

(الاشتراكية العربية) وتراعى فيه المبادىء التالية :

تعيين حد ادنى للاجور ، ومنع التسريح الا عن طريق محاكم خاصة ، اعطاء عطل اسبوعية وشهرية مأجورة . حماية النضال الطبقي واعطاء حرية الانضمام الى النقابات . الغاء المواد التي تحظر على العمال والنقابيين حرية العمل السياسي واعطاء العامل حق التعويض مع الاستقالة .

وقدم الحزب الى المجلس النيابي مشروع قانون ينظم اوضاع العمال والفلاحين ويتضمن النقاط المذكورة . ثم خاطبهم بقوله «فلنتكاتف اذن جميعا» لاقرار هذا القانون ومعه قانون توزيع اراضي الدولة على صغار الفلاحين» كما حثهم على النضال لانشاء وزارة لشؤون العمال ، ولاصدار قانون للضمان الاجتماعي ، والحماية ضد الطوارىء والعجز والشيخوخة ، ومحاربة الاحلاف التي ستجعل بلادنا مستعمرة للدول الغربية ولبضائعها ، وتقضي على استقلالنا وصناعاتنا. فتزيد ببطالتنا وآلامنا (١٤) .

اما بالنسبة الى الفلاحين فقد تقدم الحزب ايضا بمشروع قانون لحمايتهم،وينص على «عدم تهجير الفلاحين او نزع يدهم عن الاراضي .. ويجب على المالك تأمين سكن للفلاح وعائلته .. ويحق للفلاحين في كل محافظة او قضاء تشكيل نقابة لهم ترعى مصالحهم وتعنى بشؤونهم» (١٥) .

واستمر الحزب في نضاله على الصعيدين الشعبي والبرلماني لتحقيق اكبر قدر ممكن من المكاسب للطبقة الكادحة . ففي مشروع الميثاق الذي قدمه الى المجلس النيابي لتأخذ به الفئات

---

١٤ ـ المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ في حزيران ١٩٥٥

١٥ ـ المصدر السابق ، ص ٣٥ ـ ٣٦ في كانون الثاني ١٩٥٥

المؤتلفة في الحكم ، أكد على مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة والعدالة في التعيين والتسريح والنقل والترفيع ، وعلى تحرير الجهاز الاداري من التدخل السياسي والعائق الروتيني ، ومنع استيراد المواد الكمالية الاستهلاكية ، واتباع سياسة اقتصادية موجهة لتنشيط استثمار الرأسمال القومي وتشغيل اليد العاملة، ورفع مستواها والمقايضة بمنتوجاتنا لانشاء المصانع تحقيقا للاستقلال السياسي والاقتصادي ، وفرض ضرائب تصاعدية حسب دخل الافراد ، ومكافحة الاثراء غير المشروع ، وتحقيق العدالة الاجتماعية للعمال والفلاحين ، وسن التشريعات التي تمنع الفصل التعسفي في المعامل ، وتهجير الفلاحين من الاراضي التي يفلحونها . وتوزيع اراضي «أملاك الدولة على الفلاحين غير المالكين مع ايجاد التعاونيات لهم» (١٦) .

وعلى صعيد السياسة الاقتصادية **طالب الحزب في منتصف الخمسينات بالاقتصاد الموجه** ، طالما اننا لم نبلغ مرحلة الاشتراكية ، لانه في تلك المرحلة «لا يمكن ان يكون وطنيا الا اذا كان موجها ، إي الا اذا تدخلت الدولة الممثلة للامة كصاحبة مشاريع من جهة ، وكشريكة في المشاريع الفردية المساهمة من جهة اخرى ، وكممولة وكافلة ، للمشاريع الفردية من جهة ثالثة » (١٧) .

كما طالب الحزب بالتصنيع وبفرض ضرائب تصاعدية ورأى «في التصنيع وسيلة من وسائل التحرر والمحافظة على الحرية امام الاستعمار الذي يبدو من خططه ، انه يريد ابقاء الوطن العربي بصورة عامة ، منطقة انتاج زراعي ومواد أولية» (١٨) .

---

١٦ ـ المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

١٧ ـ المصدر السابق ، ص ٢٨ .

١٨ ـ المصدر السابق ، ص ٣٠ .

ولئن استطاع الحزب في القطر السوري ان يحقق عدة مكاسب للطبقة الكادحة وأن يجبر الحكومات على تنفيذ بعض الخطوات الاقتصادية في اتجاه تقدمي، كقانون منع تهجير الفلاحين وتحديد الملكية الزراعية وتوزيع اراضي أملاك الدولة على الفلاحين وتحقيق الضمان الاجتماعي وتعديل قانون العمل لمصلحة العمال وانشاء مصفاة البترول في حمص وانجاز مشروع الغاب بتجفيفه واستصلاحه وتوزيعه على الفلاحين . وكذلك تاميم شركات الريجي والمياه والكهرباء نقول ، لئن استطاع الحزب أن يحقق هذه المكاسب والخطوات العملية على طريق الاشتراكية في القطر السوري بسبب من تنامي قوته السياسية والشعبية ، فقد ظل في الاقطار الاخرى كالعراق والاردن ، ولبنان يناضل في حدود التوعية والتثقيف الجماهيري على الواقع الاقتصادي المتردي وعلى الظلم الفادح الذي يلحق بالكادحين ، ويغتنم شتى المناسبات لتوزيع النشرات وتحريك التظاهرات الداعمة لهم ، كما حدث في نهاية عام ١٩٥٣ حيث نظم الحزب تظاهرة كبيرة ناجحة لدعم اضراب عمال شركة نفط البصرة عندما عمدت الفئة الحاكمة لقمعه بالقوة والبطش .

وفي نشرة للحزب عام ١٩٥٧ ورد ان «رب العمل يمارس جميع الاساليب الدنيئة التي تكفل له زيادة استغلال جهود العمال وسرقتهم دون رقيب ، فبيده وحده تحديد أجورهم وساعات عملهم ومعاقبتهم وتسريحهم .. ويجد من الفئة الحاكمة كل التأييد » (١٩) .

وفي الاردن يهاجم الحزب قرار حل اتحاد نقابات العمال الذي أسهم بنشاط في النضال ضد الاحلاف الغربية ، وفي

---

١٩ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٠١ .

الدفاع عن حقوق العمال وتحقيق بعض المكاسب لهم .

وفي لبنان اثار الحزب القضايا التي تهم حياة المواطنين «كتأمين الماء والكهرباء والمدارس والتطبيب المجاني ، والغاء البطالة ، وتأمين حقوق العمال ..» وقال «ان جنوب لبنان يشكو من عسف شركة استعمارية تجني خيرات الجهود التي يبذلها ابناؤه ، عندما يتعهدون التبغ طيلة العام غرسا وزيا وجنيا لتنتهي ثمرته الى حفنة من المستثمرين والمستعمرين»[٢٠].

هكذا يمكننا القول ان نضال الحزب في سبيل الاشتراكية قد ازداد وتصاعد في مرحلة الخمسينات عما كان عليه في المرحلة السابقة ، وكان له مردود واضح في القطر السوري حيث حقق بعض المكاسب والمنجزات في هذا السبيل ، بسبب من تنامي قوته السياسية والشعبية . واذا كان بعضها صغيرا وجزئيا الا انه بالتراكم ومع مرور الزمن ، شكل خطوات جيدة وهامة في طريق الوصول الى الهدف الاشتراكي المنشود .

- ٢ -
قضايا ومفاهيم حول الاشتراكية

أ ـ مفهوم البعث للاشتراكية :

يعتبر الحزب الاشتراكية وفق دستور عام ١٩٤٧ منبعثة من صميم القومية العربية ، ونظاما يسمح للشعب العربي بتحقيق امكاناته وتفتح عبقريته على أكمل وجه ، ويضمن للامة

---

٢٠ ـ تشرين الاول ١٩٥٥ . نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٥٣ .

نموا مطردا في انتاجها المعنوي والمادي وتآخيا وثيقا بين افرادها (٢١) ، ويعتبر الثروة في الوطن العربي ملكا للامة ، ويمنع في ظلها استثمار جهد الآخرين ، لأن المواطنين متساوون جميعا بالقيمة الانسانية . كما يحدد الملكية الزراعية والصناعية بما يتناسب مع المستوى الاقتصادي لبقية المواطنين ، ويسمح بملكية العقارات شريطة عدم ايجارها واستثمارها على حساب الآخرين ، ويدعو لاشراف الدولة مباشرة على التجارتين الداخلية والخارجية ، ووضع برنامج شامل للتصنيع والتنمية وفق احدث التجارب والنظريات الاقتصادية .

وتضمن الدولة العمل لكل مواطن ، ومعيشة العاجزين عن العمل ، كما يؤكد على النضال في صف الطبقات الكادحة المضطهدة ، حتى يزول التفاوت والتمايز بينها ، ويستعيد المواطنون جميعا قيمتهم الانسانية كاملة .. ولا تبقى في المجتمع ميزة لمواطن على آخر سوى كفاءة الفكر ومهارة اليد (٢٢). وقد كان الحزب في نضاله ومواقفه العملية يشدد على ازالة الاقطاعية والراسمالية والبيروقراطية ، وعلى ازالة الفروق الطبقية وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص وتحرير المواطن من البطالة والفقر والجهل والمرض ، وأن تكون الجماهير الشعبية الكادحة قاعدة النظام الاشتراكي ودعامته الاساسية وأن تكون كذلك اداته وغايته . علما انه لا بد من الاشارة هنا الى ان ثمة مادة تنص على «ان التملك والارث حقان طبيعيان ومصونان بحدود المصلحة القومية» (٢٣) . كما ان ثمة **مواد اخرى تعالج قضايا**

---

٢١ ـ المادة ٤ من المبادىء العامة في الدستور .

٢٢ ـ راجع مواد الدستور المتعلقة بسياسة الحزب الاقتصادية والاجتماعية . **في الجزء الاول ـ قسم الملاحق**

٢٣ ـ المادة ٩ من سياسة الحزب الاقتصادية .

اقتصادية مرحلية وليست مبدئية عامة فضلا عن ظهور الحاجة الى مزيد من التوضيح والتحديد لبعض المفاهيم والمبادىء المتعلقة بالاشتراكية . وجدير بالتنويه في الوقت نفسه ، بان الحزب كان في نضاله ومواقفه يتجاوز بعض ما ورد في دستوره عام ١٩٤٧ ، وقد لاحظ ذلك المؤتمر القومي السادس فأكده في منطلقاته النظرية اذ قال «بالرغم من ان مفاهيم الحزب الاشتراكية ـ في المرحلة الاولى لم تكن واضحة ومحددة ، الا ان منطلقه الثوري في النضال قد جنبه الغرق في نزعة اشتراكية اصلاحية .. ولهذا كان يتخطى دوما في نضاله العملي اليومي كثيرا من المفاهيم الاشتراكية التي حددها في مبادئه العامة» (٢٤) .

والحق ان الحزب فيمنطلقاته النظرية الاساسية للاشتراكية وفي مجمل مواقفه العملية والنضالية قد برهن عن تفهمه الحي المتطور لواقع المجتمع العربي ، وعن حرصه على الاستقلالية والخصوصية العربية ، الى جانب الانفتاح على التجارب الاشتراكة الاخرى ، مع الابتعاد عن أسلوب النقل والتقليد الذي كانت تدعو اليه الاحزاب الشيوعية ، عندما كانت تشدد على ان لا اشتراكية الا الاشتراكية العلمية(وتعني الماركسية) ، وعندما كانت تؤكد على تجربة معينة ترى فيها الانموذج الذي يجب ان يحتذى . ومهما يكن من امر فان بدت الخلافات بين الحركات الاشتراكية في العالم حول الاهداف الاساسية للاشتراكية قليلة ضيقة ، فانها تبدو على اوسع ما تكون عند التطبيق والممارسة والدخول في التفاصيل ، وذلك لارتباطها المباشر بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخاصة بكل

---

٢٤ ـ المنطلقات النظرية ص ٧٤ .

شعب . ومن هنا فان الحزب عندما طرح شعار **الاشتراكية العربية، فقد عنى بالدرجة الاولى الطريق العربي الى الاشتراكية ومراعاة الخصوصية العربية .**

ب ـ مفهوم الشعب والجماهير :

الكتابات الفكرية عن الاشتراكية في مرحلة النمو والتوسع وبخاصة تلك التي كتبها الامين العام لحزب البعث، تكاد تكون في خطوطها العامة امتدادا للمرحلة التأسيسية السابقة (٢٥) من حيث التوكيد على اختلافها عن الماركسية وابراز خصوصيتها وصلتها الصميمية بالقومية والانسانية ، واضفاء الجانب الروحي والمثالي عليها . ولكن رغبة التميز عن الشيوعيين والفئات الاخرى لدى بعض الحزبيين ، بلغت حدا دفعهم الى تقديم اقتزاحات باستخدام بعض الكلمات الجديدة مثل كلمة الشغيلة بدلا من الطبقة العاملة (٢٦) وكلمة الكفاح بدلا من كلمتي النضال والجهاد ، بل ان الحزب في السنوات الاولى، كان يستخدم في المخاطبة كلمة اخ بدلا من كلمة رفيق ، غير ان استخدام هذه الالفاظ لم يصبح سائدا بسبب من انها قضايا

---

٢٥ ـ على الرغم من ان المؤتمر القومي الثاني عام ١٩٥٤ قرر انشاء لجنة للاشراف على التوجيه الثقافي والانتاج الفكري لاغنائه وضبطه ، فان عملها لم يظهر الى حيز الوجود ، كما ان قيادة الحزب انصرفت لمواجهة الاوضاع السياسية في القطر السوري واستغرقت هذه الاوضاع جل جهودها .

٢٦ ـ عن الدكتور عبد الرحمن منيف ثم ندوة مع البعثيين القدامى في العراق بتاريخ ١٤ـ٤ـ١٩٧٥ .

شكلية وليست جوهرية .

اما بالنسبة لكلمات الجماهير الكادحة والطبقات الشعبية ، فقد كان الحزب يستخدمها اكثر من استخدامه كلمة الطبقة العاملة .

ففي كراس بعنوان «الشعبية في البعث العربي» نجد ان «كلمة الشعب تشمل معظم ابناء الامة العربية من فلاحين وعمال وصغار التجار والمهنيين وصغار الموظفين ، ولا يعتبر منفصلا عن الشعب الا الفئات المستغلة المستفيدة من الاوضاع الفاسدة كالاقطاعيين والرأسماليين من اصحاب المصانع وكبار التجار وأصحاب العقارات الكبيرة والفئة الحاكمة» (٢٧) .

وفي بيان للحزب عام ١٩٥٤ يرد تعريف الطبقات الكادحة بأنها «العمال والفلاحين والموظفين وصغار المنتجين من صناع وتجار ومزارعين» (٢٨) ، على اننا نلاحظ احيانا انه يعطي لكلمة الشعب معنى شاملا « العمال والفلاحين والكسبة والحرفيين» (٢٩) . وفي احيان اخرى تأخذ معنى الجماهير اذ ورد «ان هناك هوة عميقة تفصل بين الجماهير المظلومة البائسة التي هي الشعب ، وبين الاقطاعيين والرأسماليين الذين هم الفئة الحاكمة» (٣٠) . وفي بعض النشرات يشمل معنى الجماهير

---

٢٧ ـ الطبعة الاولى عام ١٩٥٤ . وقد كتبت بعض أجزاء هذا الكراس عام ١٩٥٢ .

٢٨ ـ نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٢٩٣ .

٢٩ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس .

٣٠ ـ جريدة «البعث» العدد ٤٢٢ عام ١٩٥٠ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٦٠ .

«العمال والفلاحين والطلاب» (٣١) في حين يتسع معناها في نشرة اخرى ليشمل ايضا «جميع المضطهَدين والمتطلعين الى الحرية» (٣٢) وكذلك المهنيين وأصحاب الحرف الصغيرة . غير اننا نجد في نشرة حزبية في لبنان ما يختلف قليلا عن التعاريف السابقة حيث ورد فيها «ان الطلاب والمثقفين مهما تضخم عددهم لا يمكنهم ابدا ان يؤلفوا قوة ثورية فعالة الا اذا ساندتهم قوات هامة من الجماهير الشعبية، اي من الفلاحين والعمال والاوساط الشعبية الاخرى» (٣٣) .

مما تقدم يمكننا القول ان هذه المرحلة **اتسمت بصورة عامة بعدم التحديد الواضح والنهائي لبعض المفاهيم المتعلقة بالجماهير الشعبية والطبقة العاملة والكادحة ، مع زيادة الاهتمام بالاشتراكية كتابة وتثقيفا، وتبسيط مفاهيمها للطبقات الشعبية، ومضاعفة الاهتمام بالعمال والفلاحين** من دون التمييز بينهم ، مع ابراز دورهم وأهمية نضالهم ، عند الاجتماع بهم ، وفي المناسبات التي تخصهم ، كعيد العامل او اضراب عمالي او قضية فلاحية ، واتسمت كذلك بالتعرض لبعض القضايا التفصيلية في مجال التطبيق الاشتراكي والتي ستأخذ حيزا كبيرا وجديا بعد تسلم الحزب للسلطة وانعقاد المؤتمر القومي السادس .

---

٣١ ــ من بيان للحزب في العراق ١٩٥٣ . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٤٢ .

٣٢ ــ من نشرة داخلية للقطر العراقي عام ١٩٥٦ . المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٣٣ ــ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٩٣ لعام ١٩٥٨ .

ج ــ الموقف من الصراع الطبقي والقومي :

ان الحديث عن مفهوم الحزب للجماهير الشعبية الكادحة ، يقودنا الى توضيح نظرته الى الطبقية والصراع الطبقي . فمع الاعتراف المبدئي بوجود هذا الصراع ، نلاحظ وبخاصة فيما كتبه الامين العام للحزب ، محاولة اعطائه مفهوما جديدا يختلف عن المفهوم المعروف في الماركسية ، وذلك بانتزاع طابع الحقد والكراهية منه ، ويظهر هذا في قوله «ان اعتماد حركة البعث على نضال الجماهير العربية المظلومة ، لا يصدر عن نظرية تؤمن بالطبقات ، بل يعني ايماننا بأن هذه الجماهير تمثل نتيجة لمعاناتها الظلم والاضطهاد ، حقيقة الامة الصافية ، كما ان فيها تكمن معظم قوى الامة وكفاءاتها . فاشتراكيتنا بهذا المعنى وسيلة لبعث قوميتنا وامتنا . واتجاهنا القومي يقي اشتراكيتنا شرور السلبية وكل ما يورثه الظلم للنفس من نقمة هدامة ومادية شرهة ليبقيها في جو الايجابية والعطاء وحمل الرسالة» (٣٤) . غير انه في مقال آخر يؤكد وجود الصراع ويحاول اعطاءه تعريفا مختلفا عما تذكره الماركسية ، وذلك بربطه بالصراع القومي في سبيل الوحدة والتحرر من جهة ، وبعدم حصره بالطبقة العاملة وبإطار العامل المادي من جهة ثانية . ويتضح هذا من العبارات التالية : «ليس في فكرة الحزب طبقية بالمعنى الذي تفهمه الماركسية ، ولكن فيه طبقية ، اي اننا نعترف بها وان كنا لا نقبل المفهوم الماركسي لها .. وهناك صراع بين الطبقات لا يجوز تجاهله .. وليس فقط الراسماليون والاقطاعيون هم اعداء الشعب العربي ، بل ايضا هم السياسيون الذين يتمسكون بالتجزئة لانها تفيدهم شخصيا . وليس هؤلاء فحسب ، بل

---

٣٤ ــ عام ١٩٥٥ . في سبيل البعث ص ٥٩ .

اولئك الذين يسايرون الاستعمار .. والذين يعادون الفكر والعلم والتطور والتفتح والتسامح ، والذين يقاومون او يحولون دون تحرر أمتنا .. فنحن اذن لا نستطيع ان نقول اننا قسمنا أمتنا الى طبقات او طبقتين على الشكل الماركسي . ان رجل دين مثلا يبذر بذور التعصب وهو فقير يسيء الى الشعب ، بقدر ما يسيء الراسمالي المستغِل للعمال والاقطاعي للفلاحين .. فالصراع الذي اقمناه في داخل أمتنا ليس موسوما بالحقد وانما هو موسوم بالحق والخير» (٣٥) . ولو رجعنا الى البيان الصادر عن مجلس الحزب عام ١٩٥١ لوجدناه يضع المسألة في اطار طبقي وعلمي وواقعي عندما ربط بين الاستعمار والاستغلال . ويتضح ذلك من النص التالي «الحكم الشعبي الصحيح قائم على العمل ، يعتبر العامل والفلاح دعامته وتتجه جهوده الى تحريرهما ، ورفع مستواهما ، وخلق مجتمع منتج متحرر من الاستثمار الطبقي والاستغلال الاقتصادي الاجنبي .. ويعتبر الشعب بجماهيره اداة هذا التحرر ودعامته» (٣٦) .

اما في المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس للحزب فقد ورد «ان القضية الاشتراكية اعتبرت في بعض كتابات تلك المرحلة التي اتسمت بطابع العداء ازاء انحرافات الحركة الشيوعية المحلية ، وبطابع الانفعال ، فرعا من القضية القومية ، مما طمس في أذهان البعض حقيقة الصراع الطبقي كمحتوى حقيقي ومنطلق نضالي اساسي للقومية العربية» .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه بهذه المناسبة **ان الحزب كان يضطر لتغليب الصراع القومي على الصراع الطبقي عندما تشتد المؤامرات الامبريالية على الوطن العربي.** ففي عام ١٩٥٧ اشتدت

---

٣٥ ـ عام ١٩٥٦ . المصدر السابق ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ .

٣٦ ـ عام ١٩٥١ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٦٨ .

التهديدات الامبريالية ضد القطر السوري ، وجـرت محاولات جدية لقلب نظام الحكم الائتلافي التقدمي فيه ، وتعطيل مسيرته باتجاه الوحدة مع مصر ، وعندها كتب الامين العـام مقالا جـاء فيه «ان احدا لم يقل ان هذه المرحلة التحررية هـي مرحلة دك العروش وتأميم الصناعات واستيلاء العمال والفلاحين علـى المصانع والاراضي ، بل ان جميع المواطنين العرب على اختلاف طبقاتهم وثرواتهم يكسبون اليوم كسبا كبيرا اذا هم تضامنـوا وساهموا في النضال والتضحية لكي ينقذوا الوطن العربي مـن الاستعمار .. كما ان التضامن القومي لا يجوز ان يعني اطلاق يـد كبار الراسماليين والاقطاعيين في امتصاص دمـاء الشعب» (٣٧) .

ليس هذا حسب ، بل ان الحزب في بعض المناسبات التي كانت تفرض عليه ان يركز على النضال الطبقي ، كمناسبة الاول من أيار حيث يحتفل العمال بهذا اليوم ، كان يلح على اهميـة النضال القومي وأزجحيته ودمج النضال الطبقي فيه ، ففي بيان للحزب في لبنان يؤكد ان قضية العمال هي قضية الشعب بأسره ويدعوهم الى وحدة النضال من اجـل الوحدة والتحـرر والاشتراكية لانهم يدركون «ان مشكلتهم ليست مشكلة طبقية قائمة بذاتها .. وانما هي مشكلة شعب بكامله يعاني الظلـم والكبت ، ويعاني من الاستعمار والتجزئة والاستغلال والفقـر والمذلة» (٣٨) .

وفي بيان سابق للحزب في سورية ورد «ان العامل يريد أن يكون لنضاله طابع عام يتجلى في كونه ليس فقط نضال فرد ،

---

٣٧ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط١ ، ص ٢٧٢ .

٣٨ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٧٢ .

بل نضال طبقة ، وليس نضال طبقة فقط بل نضال أمة» (٣٩) .
على انه لا بد من التنويه هنا بأن الحزب في الحالات الطبيعية والعادية ، كان يركز احيانا على دور العمال والفلاحين ، وأهمية نضالهم الطبقي ، ويحثهم على التنظيم في نقابات تدافع عن مصالحهم ويطالبهم بتعميق وعيهم النقابي والنضالي ، ويظهر ذلك من مخاطبته لهم بقوله «ان امانيكم وحقوقكم المشروعة ، لا يمكن ان تهبط عليكم من السماء او تأتيكم هبة او منحة اذا لم تتحدوا وتناضلوا من اجل تحقيقها» (٤٠) .
وفي بيان آخر يؤكد «ان السبيل الى النصر هو التضامن العمالي في نقابات تنظم نضالهم المهني والسياسي ضد اصحاب رؤوس الاموال» (٤١) .
وبمناسبة اللقاء بهم والتحدث اليهم عن دورهم في تحقيق الوحدة والاشتراكية ، نلاحظ تمييز هذا الدور وابرازه في العبارة التالية «اذا كان في وطننا العربي فئة مهيأة لان تتحرر قبل غيرها من هذه المصالح (الخاصة) والرواسب (التجزئة) وان تجسد في تفكيرها ونضالها وحدة القضية العربية ، فانها تكون فئة العمال العرب بصورة خاصة ، وجماهير الشعب العربي الكادحة بوجه أعم» (٤٢) . وبوجيز القول :

ان الحزب أقر وجود الصراع الطبقي ولكن بمضمون معين

---

٣٩ ـ جريدة «البعث» العدد ٥٠٤ في ٣٠ حزيران ١٩٥١ . البعث ونضال الطبقة العاملة ، الجزء الاول ، ص ٩ .

٤٠ ـ بيان بمناسبة الاول من ايار عام ١٩٥١ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٥٤ .

٤١ ـ «البعث» العدد ٤٤٢ تاريخ ١٤ ايار ١٩٥٠ . البعث ونضال الطبقة العاملة ، الجزء الاول ، ص ٣٤ .

٤٢ ـ في سبيل البعث ، ص ٢١٨ .

ومفهوم خاص ، وكان في بعض الظروف والحالات يغلب جانب الصراع القومي حينا ، ويهتم بالنضال الاجتماعي وبابراز دور الطبقة العاملة حينا آخر .

د ـ الاممية والانسانية في نظر الحزب :

بعد ان تحدثنا عن تمسك الحزب بالفكرة القومية ، وعن حرصه على ايجاد مفهوم خاص للنضال الاجتماعي ، متصل بالنضال القومي وبعيد عن الحقد الطبقي ، ونظرا الى ان الحزب يعارض الاممية التي دعت اليها الماركسية ، فلا بد من ان يخطر على بال المتأثرين بها السؤال التالي :

هل يوحي هذا كله بأن الحزب مشدود الى نوع من العصبية القومية وغير مؤهل للانفتاح على شعوب العالم والامم الاخرى ؟

صحيح أن حزب البعث لا يأخذ بالامية البروليتارية ، كما وردت في البيان الشيوعي والتي تتلخص في شعار «ليس للعمال وطن ، يا عمال العالم اتحدوا» وذلك لسبب بسيط ينطلق من اعتباره القومية حقيقة خالدة وليست مرحلة طارئة او عابرة . غير انه كان ولا يزال يؤكد ويشدد على ان مفهومه للقومية لا يتناقض مع الانسانية بل يرتبط بها ويتفاعل معها ، ويتغذى منها ويغذيها . وقد ورد في المبدأ الثالث من مبادىء الحزب الاساسية الواردة في دستوره «ان رسالة الامة العربية ترمي الى تجديد القيم الانسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الامم» ولهذا فان الحزب يعتبر الاستعمار وكل ما يمت اليه عملا اجراميا ، يكافحه العرب بجميع الوسائل الممكنة ، ويسعون ضمن امكاناتهم المادية والمعنوية الى مساعدة جميع الشعوب المناضلة في سبيل حريتها ، كما يعتبر الحزب ان الانسانية مجموع متضامن في مصلحته ، مشترك في قيمه وحضارته . فالعرب يتغذون من الحضارة العالمية ويغذونها ،

ويمدون يد الاخاء الى الامم الاخرى ويتعاونون معها على ايجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام والسمو في الخلق والروح»(٤٣) . هذا ولقد عمل الحزب على توضيح مفهومه للانسانية وتعميقه واعطائه ابعادا جديدة من خلال التوعية والتثقيف والممارسة النضالية . وبهذا الصدد يقول الامين العام للحزب «ان معركة العرب هي معركة الحضارة والقيم الانسانية والمستقبل» (٤٤) .

ويقول في مكان آخر «نريد أمة حرة كريمة تؤمن بالانسانية والقيم العليا ، لها رسالة خيرة ، فلا يمكن ان نتجاهل هذه القيم اليوم ونرجىء تطبيقها الى حين تحقيق اهدافنا بعد عشرات السنين . واذا كانت هذه القيم لم تتجسد في نفوسنا واعمالنا منذ بدأنا النضال ووعينا هذه القيم ، فاننا لن نحققها في يوم من الايام بالمستقبل» (٤٥) . واذا اعتبرنا ان الانسانية هي السلوك الذي يدفع الانسان لاحترام اخيه الانسان والمحافظة على كرامته وحقوقه والشعور بآلامه والعمل على مواساته ، والتخفيف من همومه ، بغض النظر عن انتماءاته القومية والدينية والعرقية والجغرافية وغيرها ، واذا كانت ايضا سلوكا يعبر عن الايمان الصادق بضرورة التعاون بين الشعوب والامم لما فيه خيرها وتقدمها وفق مبادىء العدل والمساواة والتكافؤ والاحترام المتبادل لمصالحها المشتركة ، **فان حزب البعث في مبادئه**

---

٤٣ ــ للاطلاع على المواد الواردة في دستور الحزب وذات الصلة بالاهداف الانسانية راجع المبدأ الثالث من المبادىء الاساسية والمادتين ٣ ، ١٣ من المبادىء العامة والمادة ٢ من سياسة الحزب الداخلية والمادتين ١ ، ٤ من سياسته الخارجية والمادتين ٤ و٥ من سياسته الاجتماعية بمزيد من الاطلاع على الجانب الانساني من تراث الحزب انظر ص ٣١ ــ ٣٩ من كتابنا رسالة الامة العربية ط ٢ ١٩٨٠ المؤسسة العربية ــ بيروت

٤٤ ــ في سبيل البعث ، ص ٣٢٧ (عام ١٩٥٦) .

٤٥ ــ معركة المصير الواحد ، ص ٤١ (شباط ١٩٥٦) .

وسلوكه يعتبر بحق في مقدمة الحركات القومية والاشتراكية التي تدعم القيم الانسانية وتنميها في الاتجاه الذي يزيل اي تعصب او انغلاق قومي ، ويخفف من حدة الصراع الطبقي والقومي ويدعو الى مزيد من التضامن والتعاون بين مختلف الشعوب والامم ، هذا بالاضافة الى ان استناد عقيدته الى الاشتراكية والديمقراطية وتوكيدها على الناحية الاخلاقية في النضال والتعامل بين الافراد ومع الشعب ، تعزز لديه القيم الانسانية المذكورة .

هـ ـ موقع الاشتراكية من الوحدة :

مع تصاعد اهمية الاشتراكية في كتابات الحزب ونضاله ، ومع ان الامين العام قال في عام ١٩٥٣ عن اهداف الوحدة والحرية والاشتراكية «انها اهداف متساوية في الاهمية لا يجوز فصل او تأجيل بعضها عن البعض الآخر» (٤٦) فقد ظلت في معظم كتاباته ادنى مرتبة من الوحدة وبخاصة في الفترات التي كانت تطرح فيها مشاريع وحدوية في النصف الثاني من مرحلة النمو والتوسع . ليس هذا حسب بل ان اهتمام الحزب بالديمقراطية كان يطغى في بعض الاحيان ، عندما كان يشتد صراعه مع الانظمة العسكرية والديكتاتورية ، كما حدث في النصف الاول من المرحلة المذكورة . ولقد لاحظ المؤتمر القومي الرابع هذه الظواهر بروح النقد الذاتي فقال «ان كتابات الحزب تركزت بشكل حصري على الوحدة ، اما الاشتراكية واما الديمقراطية فقد ظلتا تلعبان دورا ثانويا في تفكير الحزبيين .. وهذه الكتابات تترك الانطباع بأن الوحدة العربية اهم من

---

٤٦ ـ معركة المصير الواحد ص ١٨ .

الاشتراكية وأهم من الديمقراطية» (٤٧) . علما انه لا بد من التنويه بأن النضال الحزبي في المرحلة التي يعالجها التقرير «كانت تفترض التركيز على الناحية القومية في الوقت الذي كان اعداء الوحدة يشككون حتى في واقعيتها» كما ان بعض الظروف المواتية لاقامة خطوة وحدوية كانت تدفع بقيادة الحزب لوضع ثقلها النضالي والتثقيفي لتحقيق هذه الخطوة ، الامر الذي يؤدي الى ضعف الاهتمام بالاشتراكية والديمقراطية . وهكذا يمكننا القول ان الحزب كان بصورة عامة يشدد على الترابط والتفاعل الجدلي بين الاهداف الثلاثة وفق نظرته الاساسية والطبيعية اليها . وكان يبرز ذلك عندما لا تكون ثمة خطوة وحدوية مطروحة او معركة ملحة وحادة من اجل الدفاع عن الحرية ، وكذلك بعد وقوع الانفصال وظهور العوامل السلبية في انتكاسة الوحدة من جراء افتقارها للمضمون الاشتراكي الديمقراطي . ولئن لم نكن بحاجة الى توضيح معنى الترابط وأهميته ومبرراته ، حيث سبقت الاشارة اليها في الفصل الثاني ، فلا بد من توضيح وجهة نظر الحزب في الاطار الذي يجب ان تتحقق فيه الاشتراكية . وفي هذا الصدد يقول الامين العام **«لا تتحقق اشتراكيتنا تحقيقا تاما الا في الدولة العربية الواحدة»** (٤٨) .

ويقول في مقال آخر «ان اشتراكيتنا تحتاج الى نضال الشعب العربي بكامله لتتحقق وتحتاج الى الوطن العربي بكامله

---

٤٧ – من تقرير أقره المؤتمر الرابع في ١٩٦٠ حول المرحلة التي سبقت ورافقت قيام الوحدة بين مصر وسورية والممتدة ما بين ١٩٥٦ – ١٩٦٠ . نضال البعث ، الجزء الرابع ، ط٣ ، ص ١٠٨ .

٤٨ – في سبيل البعث ص ٢١٢ (عام ١٩٥٠) .

كمجال للتطبيق . فلم نؤمن في يوم من الايام بامكان تحقيق اشتراكية صحيحة في قطر واحد ، وان كنا نعمل دوما للتمهيد لهذه الاشتراكية بتحقيق اصلاحات في كل قطر» (٤٩) .

والحق ان تحقيق الاشتراكية على نطاق الوطن العربي الكبير يضمن للعرب قدرات اعظم وأضخم ، على مجابهة الضغوط والاحتكارات العالمية والمنافسات الاقتصادية للدول الكبرى، وعلى ضمان التحرر السياسي والاقتصادي ، والسير بحزم وثبات في طريق التطور والازدهار . ثم ان التنمية الواسعة ورفع المستوى المعاشي لابناء الشعب الى الحد الذي يجعلهم يشعرون بنعمة الاشتراكية وأهميتها ، يتطلبان قيام صناعات ثقيلة ، وتكنولوجيا متطورة وأيدي عاملة وفيرة ، وكفاءات علمية وفنية كثيرة ، مع وفرة رؤوس الاموال والمواد الاولية وتنوعها ، بالاضافة الى السوق الواسعة للاستهلاك ، وهذا كله يتعذر تحقيقه في اي قطر عربي بمفرده ، في حين يتيسر تحقيقه على مستوى الوطن العربي . **ومما تقدم نخلص الى النتيجة التالية وهي :**

ان اية خطوة اشتراكية في نطاق قطري تبقى قاصرة مبتورة وتفقد قيمتها اذا لم تتم بمنطلقات وأجواء قومية ، وإذا اصبحت بديلا عن الوحدة او تبريرا لاستبعادها ، كما ان الاشتراكية من دون الديمقراطية تغدو نوعا من الممارسة الفاشية والبيروقراطية وبذلك تفقد حماسة الجماهير ودعمها فيقل نفعها ومردودها .

و ـ تطور وتقصير :

صدرت في الخمسينات بعض النشرات الحزبية التي

---

٤٩ ـ المصدر السابق ص ٣٤٧ (عام ١٩٥٧) .

توسعت في توضيح مبادىء الحزب في الجانب الاشتراكي ، كالنشرة الصادرة في سورية عام ١٩٥٤ لشرح المواد الاقتصادية في دستور الحزب بعنوان «الاشتراكية العربية ـ الجانب الاقتصادي» وكانت معتمدة في التثقيف الحزبي في العراق ولبنان ايضا (٥٠) . وفي بداية الستينات صدرت نشرة مماثلة عن المكتب الثقافي في لبنان بعنوان «اشتراكية البعث ومنهاجه الاقتصادي» وتشير الى مستوى متطور ومتقدم عن سابقتها في توضيح المواد المذكورة من حيث عرضها بأسلوب علمي مبسط وأكثر دقة وعمقا من النشرة السابقة (٥١) .

مع ذلك ومع تنامي قوة الحزب السياسية والشعبية وتطوره في الجانب التنظيمي ، فقد ظل بوجه عام يشعر «بأن اتجاهه الاشتراكي بحاجة الى التركيز والتوسع لايضاح موقفه من كثير من القضايا الاقتصادية الفنية» (٥٢) .

كما اشار المؤتمر القومي الثالث ايضا بروح النقد الذاتي الى

---

٥٠ ــ بعد المؤتمر القومي الثالث ازدادت انتقادات الحزبيين لهذه النشرة ، وأصدر المكتب الثقافي في العراق نشرة داخلية تفند محتوياتها . ومما جاء فيها : «في النشرة تناقض ظاهر ، فمن ناحية نجد حلولا اشتراكية جذرية ، ونواح اخرى لا تتعدى الاصلاحات ضمن الاطار الراسمالي» . وقد سحبت تلك النشرة من التداول الحزبي . ولكن القيادة القومية لم تقر ، كما لم تعارض رسميا ، النشرة الجديدة التي اصدرها المكتب الثقافي في لبنان في تموز ١٩٦٠ .

٥١ ــ راجع «اشتراكية البعث ومنهاجه الاقتصادي» للدكتور بشير الداعوق ، (أعيد طبعها في السلسلة الحمراء ، دار الطليعة ــ ١٩٧٤) .

٥٢ ــ نشرة عن القيادة القومية في مطلع عام ١٩٦٠ حول اعمال المؤتمر القومي الثالث ــ نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ٦٣ .

عدم التحديد الدقيق لوسائل ومراحل تطبيق النظام الاشتراكي فقال «لم يحدد الحزب بدقة موقفه من القضايا العملية التي تنشأ عنه كالموقف من الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، ودور الافراد والمؤسسات الشعبية والدولة في التنظيم الاجتماعي والتنمية الاقتصادية »(٥٣) .

وهكذا ظل الحزب في مرحلة النمو والتوسع يعاني كثيرا من ضعف التنظيم ونقص التخطيط في العمل السياسي والشعبي.

ولعل افتقار القيادات الحزبية للعمل وفق استراتيجية واضحة وخطط مرحلية مدروسة، أوقعها في اجتهادات ومواقف مرتبطة بمستلزمات المرحلة وظروفها ، وأبقاها مشدودة لضغوط الاحداث ولاهثة وراءها احيانا ، وعاجزة بالتالي عن ضمان الموازنة المطلوبة بين المواقف المبدئية والاستراتيجية والتاكتيكية، وعن لجم الاندفاعات نحو هدف واحد من اهداف الحزب كالوحدة (دون ابراز اهمية محتواها ــ الاشتراكي الديمقراطي ــ بنفس النسبة) . **ولا ريب في انه كان لهذه النواقص والثغرات دور كبير في ان الحزب لم يحقق كل الذي كان بمقدوره تحقيقه من المكتسبات** . وبتعبير آخر لو كان بتنظيمه وتخطيطه وقياداته في مستوى اهدافه وطموحاته لوفر على نفسه كثيرا من النكسات والجهد الضائع ، ولقطع شوطا أبعد في سبيل اهدافه .

ـ ٣ ـ

الموقف من الماركسية والاحزاب الشيوعية

ان الحديث عن مفهوم البعث للاشتراكية ونضاله من

---

٥٣ ــ المصدر السابق ، ص ٦٤ ــ ٦٥ .

اجلها ، يسوقنا الى التطرق لموقفه من الماركسية والاحـــزاب الشيوعية التي لم تكن ترى في الدعوات والتجارب الاشتراكية الاخرى ، ما هو جدير بالاهتمام والاحترام ، ذلك لانها كانت في اغلب الاحيان تتهم اصحابها بالاصلاحيـة الدائرة في فلـــك الامبريالية او بالطوباوية والافتقار الى الاصالة والعلمية والثورية وما شابه ذلك .

ان موقف الحزب من الماركسية والاحزاب الشيوعية العربية في مرحلة الخمسينات ، استمر في اتجاه سلبي بصورة عامـة ولكنه اصبح اقل سلبية وعنفا مما كان عليه في الماضي ، فضلا عن قيام نوع من العمل الجبهوي المشترك معها في بعض الفترات والاقطار ، وقد سبقت الاشارة الى ذلـــك . غير ان محاولات الحزب في التميز عن الماركسية اي في اظهار الخـلاف معها ، والاستقلالية عنها بل محاولة تجاوزها ، قد استمرت بأسلوب بعيد عن الانفعال وردود الفعل التي كانت بارزة في مرحلـــة الاربعينات .

ففي عام ١٩٥٠ يقول الامين العام للحزب :

«ان اشتراكيتنا مطبوعة بفلسفتنا النابعة من حاجات المجتمع العربي وشروطه التاريخية واوضاعه الخاصة.. كما انها لا تقر الشيوعية على نظريتها المادية» (٥٤) . ويقول في مقال آخـــر «نرفض الشيوعية لاننا نجد فيها شيئا سلبيا يحاول محـــو شخصية الامة العربية» (٥٥) .

وفي عام ١٩٥٦ نجد نقدا معتدلا لها في قوله «لقد نظرنـا الى الشيوعية كشيء خطير وجدي وجدير بأن يعتبر . وبالرغم

---

٥٤ ـ في سبيل البعث ص ٢١٠ .

٥٥ ـ نفس المصدر ، ص ١٠٠ (عام ١٩٥٥) .

من كل النواحي الايجابية الخطيرة التي اتت بها فلسفة ماركس فقد اعتبرناها ناقصة لانها لم تعبر عن كامل الحقيقة .. وتقوم على نفي وانكار كل معتقد يتجاوز الطبيعة والمادة والاشياء المحسوسة كما هو معروف»(٥٦). وعلى اي حال فان الامين العام، **في معظم كتاباته وبخاصة تلك التي تتناول افكار الحزب وتتعرض للعقيدة الماركسية يحرص على ابراز الجانب الفكري والروحي والمثالي** فيما يطرحه من افكار ، ومما قاله «نعتقد بأن الروح هي الاصل في كل شيء ، الدافع الروحي العميق لا يسيطر على المادة والوسائل فحسب وانما يخلقها ايضا» (٥٧) .

اما المعاني التي تظهر فيها محاولة التميز عن النظامين الرأسمالي والشيوعي ، والرغبة بتجاوزهما الى ما هو افضل واكثر ضمانا لحرية الانسان وللمستقبل الذي تطمح اليه الامة العربية ، بل جميع الامم في العالم كله ، فنجدها في قوله عام ١٩٥٦ «ان سياسة الحياد التي قال بها حزبنا بعد الحرب الاخيرة ، تتصل بموقفه العقائدي الذي عبرنا عنه منذ تأسيس حزبنا والذي يؤمن باتجاه ثالث فوق الاتجاهين البارزين في هذا العصر ، ينظر الى علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقة الشعوب بعضها ببعض نظرة تختلف عن الديمقراطية الشكلية للمجتمعات الرأسمالية ، وعن التنظيم الشيوعي المصطنع ، ونجد تعبيرها الحي في النظام الاشتراكي القومي المقدّس لكرامة الانسان وحريته والموصل الى تعاون حر بين شعوب اشتراكية حرة»(٥٨).

ومهما يكن من امر فان مبررات رفضه الماركسية تكمن في

---

٥٦ ــ في سبيل البعث ، ص ١٣٢ .

٥٧ ــ المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

٥٨ ــ موقفنا السياسي من الشيوعية (أوائل ١٩٥٦) .

ثلاثة عوامل رئيسية :

الاول : في المواقف السلبية للاحزاب الشيوعية العربية ، من القضايا القومية الاساسية ، كالوحدة وتقسيم فلسطين وسلخ لواء الاسكندرونة وثورة الجزائر .. او على الاقل من ضعف الاهتمام بها قياسا لاهتمامها ببعض القضايا العالمية المرتبطة بالاستراتيجية الدولية للاتحاد السوفيتي ، كقضيتي فرانكو والسلم العالمي (٥٩) .

الثاني : يرتبط بردود الفعل والانفعالات المتعلقة بأجواء التنافس والخصومة بين البعث والاحزاب الشيوعية المحلية ، التي دابت على تسفيه منطلقات الحزب في القومية والوحدة والاشتراكية والديمقراطية ، وعلى النظر اليه كأكبر قوة سياسية منافسة لها على كسب الجماهير وقيادتها .

الثالث : يرتبط بالاستمرار في محاولة التميز وايجاد المنطلقات الايديولوجية الجديدة التي تتجاوز مواطن الضعف في الماركسية ، وتعبر بعمق اكثر ووضوح اقوى عن حاجات الامة العربية وأمانيها في هذه المرحلة التاريخية . وبالرغم من استمرار هذا الرفض للماركسية في مرحلة الخمسينات فقد خفت حدته كما ذكرنا ، وبدأ يظهر احيانا نوع من التعاون في بعض المواقف بين البعث والاحزاب الشيوعية المحلية بحكم الظروف والمواقف المستجدة ، وفي مقدمتها ان الاتحاد السوفيتي بدأ يدعم القضايا العربية بصورة جريئة وعلنية منذ تقديمه صفقة الاسلحة التشيكية لمصر وسورية، وفي اثناء العدوان الثلاثي على مصر . كما ان الشيوعيين

---

٥٩ ـ للاطلاع على تفاصيل المآخذ على الشيوعيين راجع النشرة الحزبية لعام ١٩٥٦ حول «موقفنا السياسي من الشيوعية» بقلم الاستاذ ميشيل عفلق والدكتور جمال الاتاسي .

العرب كفوا عن الجهر بالعداء للقومية وللوحدة العربية كما كانوا يفعلون بالماضي ، وأخذوا يجارون عواطف الجماهير العربية في هذا الاتجاه . وبالمقابل فان العرب التقدميين شعروا بخطر التحالف الصهيوني الامبريالي ، وبشراسته وأبعاده العالمية، فراحوا يتطلعون الى التعاون مع قوى عالمية مؤثرة كدول المنظومة الاشتراكية ودول عدم الانحياز والعالم الثالث . هذا فضلا عن ان قضية فلسطين غدت قضية العرب المركزية ، وأصبحت ذات أبعاد عالمية وانسانية ، فأدت بدورها الى الابتعاد عن الانغلاق القومي والانفتاح المتزايد على القوى العالمية المعادية للامبريالية ، ومن ثم الى تعزيز التعاون معها .

من كل ما تقدم نخلص الى النتيجة التالية وهي **ان حزب البعث رغم تفهمه للماركسية وانفتاحه عليها ، وتقديره لكثير من مبادئها ، فقد ظل حريصا على ابراز الاختلاف عنها ومحاولة تجاوزها وبخاصة فيما يتعلق بالفكرة القومية والنظرية المادية في تفسير التاريخ ، ونظرتها الى الفرد والمجتمع والى أسلوب تحقيق الاشتراكية وترابطها الصميمي مع القومية ، والتوكيد على الناحية الروحية والمعنوية ، وعلى الاستقلالية والخصوصية العربية .**

ولقد جاءت أحداث الوطن العربي وتجارب الشعوب الاخرى لتؤكد صحة منطلقات الحزب الفكرية وصواب الكثير مما ذهب اليه في نقده لمواقف الشيوعيين المحليين ومنطلقاتهم النظرية والسياسية ، وللاسلوب الستاليني في تطبيق الاشتراكية، ومن ابرز الادلة والوقائع المؤيدة لذلك :

١ ــ ان عددا غير قليل من الاحزاب الشيوعية والفصائل الماركسية في الوطن العربي ، تطور تطورا ملحوظا باتجاه التقارب من اليسار القومي ومنطلقاته الفكرية والسياسية

التي كان أبرز ممثل لها حزب البعث العربي الاشتراكي ، وانعكس ذلك التطور في زيادة الاهتمام بقضية فلسطين ، وتضاؤل النظرة السلبية تجاه القومية العربية والوحدة بل قبولها مع الدعوة لها ضمن مفاهيم طبقية ومنطلقات قطرية، ثم في الاهتمام بالطبقية مع الاعتراف بدور الصراع القومي واهميته ، وتخفيف التركيز على الامية ، مع الاستمرار في الدعوة لتمتين العلاقات بالدول الاشتراكية والتحالف معها. ليس هذا فحسب، بل نلاحظ حدوث انشقاقات داخلية في بعض الاحزاب الشيوعية العربية ، كالحزب الشيوعي السوري ، بعد اشتداد الصراع بين هؤلاء المتطورين المتأثرين بهذه القضايا المذكورة ، وبين المتمسكين بالمقولات الماركسية التقليدية ، وبنوع من التبعية التي اعتادوا عليها بالماضي ، ودابوا على تبريرها بضرورة الانسجام مع عقيدتهم الامية . غير انه من الجدير بالذكر في هذه المناسبة ان بعض فصائل الحركة القومية العربية بلغ في تأثره بالتيارات الماركسية حدا دفع به الى الاعلان عن تبني الماركسية اللينينية كدليل ايديولوجي لعملها وتنظيمها (٦٠) .

٢ ـ ان التقدم التكنولوجي على ضخامته ، وان تشابك المصالح والعلاقات بين الشعوب والامم على اتساعها ، وكذلك ما يقودان اليه من تقوية وتوسيع للنزعة الامية والانسانية ، لم تخفف من مظاهر التمسك بالقومية لدى مختلف

---

٦٠ ـ مثل الجبهة القومية في اليمن الجنوبية ـ والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ والجبهة الديمقراطية . وكانت هذه المنظمات تنتمي ايديولوجيا الى حركة القوميين العرب التي كان شعارها : وحدة حرية ثأر .

الشعوب .

فالنزاع السوفيتي الصيني لم يخفف من مظاهره القومية كون النظامين يؤمنان بالماركسية اللينينية المتمسكةبالاممية. كما نلاحظ النزعة القومية لدى الدول الاشتراكية تأخذ صيغا ومظاهر خاصة ، في كل من يوغسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها ، فضلا عما نلاحظه منها بوضوح لدى الدول الراسمالية ودول العالم الثالث .

٣ ـ ان بعض الاحزاب الشيوعية الكبرى ، في ايطاليا واسبانيا وفرنسا واليابان ، قد بدأت مؤخرا تتجه نحو تبني بعض المواقف والمنطلقات التي سبق لحزب البعث ان وقفها وتبناها . فالحزب الشيوعي الايطالي مثلا ، خفف من تركيزه على الصراع الطبقي ، وربما مال الى المصالحة الطبقية والتعاون مع كل القوى السياسية بل والى اعتبار مصلحة ايطاليا في عدم معاداة الدولتين الاعظم ، وفي المحافظة على الاستقلالية والطريق الايطالي للاشتراكية(٦١). اما رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي فقد قال «ان الاشتراكية لا تطبق عن طريق ترديد عبارات ترجع الى خمسة عشر او عشرين عاما ، بطريقة مذهبية جامدة . وفي المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي (شباط ١٩٧٦) اخذنا في اعتبارنا السمات الخاصة المميزة والتقاليد **القومية لكي نبني اشتراكية على الطراز الفرنسي ... وقد حددنا هذا الخط السياسي باستقلالية كاملة وسوف .**

---

٦١ ـ راجع تقرير برلنغوير سكرتير عام الحزب الشيوعي الايطالي الذي القاه في المؤتمر الرابع عشر المنعقد في ١٨-٣-١٩٧٥ .

نتمسك به)) (٦٢) . **كما أعلن في المؤتمر المذكور اسقاط ديكتاتورية البروليتاريا** وتوكيد الطريق الديمقراطي للاشتراكية من اجل فرنسا وبلون فرنسي .

اما رئيس الحزب الشيوعي الياباني فقد قال «ان ديكتاتورية البروليتاريا كانت هدفا صحيحا سعى لها لينين من اجل الاطاحة بقيصر روسيا ، الا ان هذا لا ينطبق على اليابان حاليا . وقد تبنى المؤتمر اسقاط ديكتاتورية البروليتاريا ، كما أسقط تعبير الماركسية اللينينية وبدلهما بعبارتين «قوة الطبقة العاملة» والاشتراكية العلمية . وفضَّل استخدام الديمقراطية البرلمانية على البلشفية . ووعد رئيس الحزب بتأمين حرية الفكر والقول والتدين» (٦٣) ..

وبهذه المناسبة **لا بد من التنويه بان سلبية الحزب تجاه الاحزاب الشيوعية العربية والاجنبية ، لا تعني انه كان ينظر للاحزاب الاشتراكية الغربية نظرة ودية وايجابية ، حتى لو ظهرت في مبادئها ودساتيرها نقاط التقاء فكرية مع الحزب** فيما يتصل بالاستقلالية والتمسك بالخصوصية الوطنية ، وعدم الاخذ بديكتاتورية الطبقة العاملة وبالفلسفة المادية للماركسية ، ذلك لان العبرة في التطبيق والمواقف ، وهذه كانت في اكثريتها سلبية تجاه القضايا العربية العادلة ، كقضيتي فلسطين والجزائر ، فضلا عن انها كانت في سياستها العامة تابعة للطبقة الرأسمالية الحاكمة ، ومنساقة وراء أغراضها الامبريالية . ولعل العبارات التالية من جواب الحزب على دعوة حزب المؤتمر

---

٦٢ — من تصريح لجورج مارشيه لوكالة الانباء الفرنسية في ٢٨-٢-١٩٧٦ .

٦٣ — مقررات المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الياباني في ٣٠-٧-١٩٧٦ .

الهندي ، بعقد مؤتمر اشتراكي واقامة المعسكر الثالث ، توضح هذا الذي ذكرناه حيث ورد قوله «أما الاحزاب الاشتراكية الاوربية فقد اصبح معظمها وريث الاستعمار غير المناهض له ، وغدت عاجزة عن منع الحروب بعد ان استسلمت لقيادة الرأسمالية الامريكية وربطت مصيرها بها ..» (٦٤) .

---

٦٤ ــ آذار ١٩٥١ . نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ١٣٤ .

الفصل الخامس

نشأة الحزب ونموه في الوطن العربي

لو اردنا ان نحدد اول بداية لانتشار الحزب في خارج القطر السوري ، من خلال انتماء بعض الافراد اليه ، لكان من المتعذر تحديد ذلك على وجه الدقة ، فضلا عن ان هذا لا يعني شيئا اساسيا ، اذا لم ينته لتكوين خلايا حزبية ناشطة ، ومن ثم تشكيل اول نواة صلبة متنامية للعمل الحزبي .

وانطلاقا من هذه الملاحظة يمكننا القول ان انتشار الحزب الجدي كان اولا في الاردن ثم في العراق فلبنان فالاقطار العربية الاخرى . **مع العلم ان هذا الانتشار في كل من هذه**

الاقطار الثلاثة كان في اواخر الاربعينات ومتقاربا الى حد كبير ، ثم استمر في النمو أفقيا وعموديا حتى اصبح في الخمسينات قادرا على التأثير في مجرى الاحداث السياسية وبخاصة في الاردن والعراق .

- ا -

انتشار الحزب في الاردن

في عام ١٩٤٦ اصبح الامير عبد الله ملكا على الاردن بصلاحيات واسعة بموجب دستور جديد . وعقدت المعاهدة البريطانية الاردنية ثم جددت بعد عامين ، مع ابقاء القواعد العسكرية والتسهيلات للقوات البريطانية ، مقابل المساعدة المالية . وقد حدثت آنذاك نكبة فلسطين ، فزادت نقمة الجماهير على الحكام العرب في الاردن وخارجه . وفي نيسان من عام ١٩٥٠ صادق البرلمان المنتخب من الضفتين على انضمام الضفة الغربية الى الاردنواستمر حكامه في امعانهم بالسياسة الرجعية والتبعية للغرب ، فخلق ذلك كله مناخا صالحا لنمو الحركة الوطنية ونشاطها ، وأتاح المجال امام البعثيين الاوائل لبناء الحزب والتوسع في نشر مبادئه وتنظيمه .

وكان هؤلاء بضعة أفراد في عام ١٩٤٧ تعرفوا على اهداف الحزب وقادته منخلال وجودهم طلابا بجامعة دمشق واستطاعوا في العام التالي ان يكوّنوا بعض الخلايا العاملة في الاردن ، ثم ما لبثت ان نمت وتوسعت بسرعة بين مجموعة من الشباب الوطني في الضفة الشرقية ، كانت تعبر عن اتجاهها مجلة اسبوعية باسم «اليقظة» وتعمل على فضح النظام وتهاجم مساره الرجعي . ونمت ايضا خلايا عاملة بين مجموعة اخرى في الضفة

الغربية كانت تعبر عن آرائها الوطنية مجلة باسم «البعث» (١) .

هذا وتجدر الاشارة **الى ان بعض الحزبيين القدماء قد انتموا الى الحزب من خلال وجودهم طلابا في القاهرة وبغداد وكانوا يمارسون نشاطا ملحوظا** في النصف الاول من الخمسينات. واذا تذكرنا ما اتسمت به هذه الفترة من الديمقراطية الليبرالية النسبية ومن تنامي المد الجماهيري التحرري ، لأدركنا كيف استطاع الحزب ان ينمو بسرعة ويغدو ذا وزن شعبي كبير مؤثر في مجرى الاحداث السياسية في الساحة الاردنية حيث اصبح له وجود في جميع انحائها وبخاصة في اللواء الشمالي ، حيث نمت قدرته على تحريك التظاهرات الطلابية والشعبية، واكتسب مكانة مرموقة بين القوى الوطنية الاخرى التي كان يحسب لها حسابها ولا يمكن تجاوزها ، واستطاع في هذه الفترة ان يوصل اثنين من اعضائه الى مجلس النواب الاردني كما اصبح احد قادته وزيرا للخارجية بعد انتخابات عام ١٩٥٦ . ومن المظاهر الدالة على قوة الحزب انه استطاع انجاح مرشحيه الثلاثة لنقابة المحامين الاردنيين في صيف ١٩٥٣ مع دعم وانجاح الاربعة

---

١ ـ كان السيد سليمان الحديدي رئيسا لتحرير «اليقظة» وقد انتسب الى الحزب حوالي عام ١٩٤٨ وأصبح نقيبا للمحامين في الاردن في اواخر الستينات ثم وزيرا للداخلية . وكان عبد الله الريماوي وكمال ناصر يشرفان على مجلة البعث وقد أصدر الحزب بعد صدورها توضيحا حول عدم علاقتها به . وفي نهاية الاربعينات انتسب الى الحزب كل من بهجت ابو غريبة فعبد الله الريماوي فحسني الخفش (نقابي بارز في الضفة الغربية) وفي اوائل الخمسينات انتمى الدكتور منيف الرزاز فكمال ناصر . (لقاء مع امين شقير في ٢٤ـ٩ـ١٩٧٥ وهو اقدم البعثيين في الاردن ومن الذين حضروا المؤتمر التأسيسي للحزب وظل امين سر منظمة الاردن حتى عام ١٩٥٢) .

الباقين من اصدقائهم ومن الذين طلبوا تأييده (٢) . كما كان الحزب قد حقق سيطرته على المدارس الثانوية . وفي هذا العام شدد الهجوم على الحكم العسكري في كل من مصر وسورية، وأرسل عدة برقيات احتجاج شديدة اللهجة الى رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة اللبنانية على اخراج عفلق والبيطار والحوراني من لبنان استجابة لضغط النظام السوري ، ونشر المقالات ومذكرات الاحتجاج على هذا الموقف (٣) . وكان الحزب يحسن استغلال المناسبات لطرح افكاره وتوعية الجماهير على أهم القضايا الوطنية والقومية . ومن ذلك مثلا انه اول من اهتم بمعركة قبية عام ١٩٥٤ مع العدو الصهيوني ، وكشف عن التقصير الشديد في تأمين الدفاع عن الحدود . وحرك التظاهرات المؤيدة لوجهة نظره ، والداعمة للشعارات المرحلية التي بادر بطرحها كتحرير الجيش الاردني من قادته الانكليز وعلى راسهم كلوب قائد الجيش ، ومساهمته الفعالة في التظاهرات الدامية ضد تامبلر رئيس أركان الجيش البريطاني ومحاولته الرامية لربط الاردن بعجلة الاحلاف العسكرية (٤) .

كما أثار الحزب عن طريق الشارع والبرلمان قضايا هامة تتصل بالجماهير والحريات العامة ، كتعديل الدستور باتجاه ديمقراطي ، وجعل الحكومة مسؤولة امام البرلمان ، وقد نجح في ذلك بالتعاون مع الفئات الوطنية الاخرى ، وأسهم بحمل الحكومة على الغاء القوانين الاستثنائية ، واصدار عدة تشريعات تقدمية ، كقوانين الصحافة والبلديات وحرية تشكيل الاحزاب.

---

٢ ــ النشرة الدورية في ايلول ١٩٥٣ عن المكتب الثقافي ــ الاردن .

٣ ــ النشرة الدورية تموز ١٩٥٣ ــ المكتب الثقافي ــ الاردن ، ص ٢ .

٤ ــ استشهد الرفيق حقي خصاونة في تلك التظاهرة وكان اول شهداء الحزب بالاردن .

كما خاض معارك ضارية وناجحة ضد الاحلاف وبخاصة حلف بغداد ، ولمنع انجرار الاردن اليه ، وكذلك لتطهير الجيش الاردني من قيادته البريطانية ، حيث تم طرد كلوب في آذار عام١٩٥٦ .
وكانت قد جرت انتخابات عامة في هذا العام بعد حل المجلس السابق بضغط جماهيري عارم ، ثم فاز الحزب فيها بنائبين وتابع نشاطه بقوة وحزم ، وتصاعد المد الجماهيري وأنهيت في ظله المعاهدة الاردنية البريطانية عام ١٩٥٧ ووقعت اتفاقية الدفاع المتبادل بين سورية ومصر والسعودية ، والتي تنص على دفع المساعدة المالية العربية للاردن كبديل عن المساعدة التي كانت تدفعها له بريطانيا ، غير ان الملك حسين ما لبث ان ارتد عن مسيرة الجماهير والتيار التحرري واتفق مع القوى الرجعية وقام بانقلابه الرجعي في ١٣ نيسان من هذا العام ، وأعلن الاحكام العرفية واعتقل المئات من البعثيين وأصدقائهم ولجأ عدد كبير منهم الى سورية ، بينما توارى بعضهم لمتابعة النضال.

● كانت القيادة في عام ١٩٥٤ قد قررت اعادة اصدار جريدة الحزب الاسبوعية (اليقظة) التي سبق للسلطة ان عطلتها لمعارضتها الجريئة ، وذلك «تقديرا منها لضرورة وجود جريدة جريئة تنطق بلسان الحزب وتعبر عن آراء الشعب وإرادته ، ولاسيما في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الاردن التي اخذ الاستعمار يشن فيها حملة مركزة على الحزب ونضاله ، مستعينا بالصحافة التي تصدر في هذا البلد» (٥) .

ولعل هذا الذي وصل اليه الحزب تنظيميا وشعبيا من العوامل التي سمحت لاحد قادة الحزب بأن يخاطب في دمشق مرشحي عضوية الحزب لعام ١٩٥٤ بقوله «لا تظنوا ان الحزب

---

٥ ـ النشرة الدورية ـ شباط ١٩٥٤ الاردن .

محصور في سورية ، انه في الاردن ولبنان والعراق موجود اليوم ، ينتشر في هذه الاقطار الاربعة بنسبة انتشاره في سورية بالذات» (٦) .

● **لقد ظل الحزب في الاردن بمستوى شعبة حتى عام ١٩٥٢ وفي هذه السنة عقد اول مؤتمر حزبي ثم اصبح فرعا في العام الذي تلاه حيث غدا قادرا على تحريك التظاهرات في كل المدن الاردنية من اجل اية قضية قومية** ومن ذلك مثلا : التظاهرات الشعبية لنصرة المغرب العربي ، اذ سيطر الحزب سيطرة تامة في تبني القضية وتولى زمام المبادرة «وأقام مهرجانا شعبيا ضخما ونظم العرائض والبرقيات وتعرض اعضاؤه الى السجن والمحاكمة» . وكان تحركه «لنصرة مراكش عملية ناجحة استطاع ان يشرك فيها الشعب من مختلف فئاته ، وأن يفسح له المجال للتعبير عن وعيه وتضامنه مع عرب المغرب العربي بقيادة حزب البعث العربي الذي فرض احترامه على جميع الفئات بنجاحه الباهر في هذه المعركة» (٧) .

● وكان الحزب يهتم بالطلاب والمثقفين بصورة عامة ويلح على كسب الجماهير الشعبية ، ويحدد احيانا وسائل كسبها والاستحواذ على ثقتها . ففي نشرة دورية نلاحظ توضيح اسلوب النشاط الشعبي وحث الاعضاء على ان يقوموا «بتدريس الاميين وبعضهم يقدم بشكل منظم خدمات وارشادات زراعية او اجتماعية للفلاحين ، وبعضهم اعضاء في جمعيات او هيئات خيرية او عامة ، تخدم فئة من الشعب او تعمل على تمثيله ، وبعض الاعضاء ينخرطون في النوادي او المنظمات العمالية

---

٦ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ، نيسان ١٩٦٠ ص ٣٨ .

٧ ـ النشرة الدورية ايلول ١٩٥٣ فرع الاردن .

ويسعون لخدمة الشباب والعمال عن طريقها .. الخ» (٨) .

● وفي عام ١٩٥٣ نلاحظ ايضا اهتماما بالطبقة العاملة حيث انضم اليه بعض العمال البارزين و تسلموا رئاسة اتحاد العمال (٩) وبقي للحزب نفوذ كبير في الوسط العمالي حتى عام ١٩٦٧ .

وكذلك اهتم الحزب بالقطاع النسائي حيث تشكل مكتب خاص لتنظيم نشاطهن «والاشراف على توسيع الحركة النسائية النضالية الحزبية وتنظيمها» (١٠) .

كما انه لم يهمل القطاع العسكري وكانت له صلات وصداقات مع عدد من الضباط الاحرار ، واعتقل بعض هؤلاء وسرح آخرون من الجيش بعد الانقلاب الرجعي الذي قام به الملك والذي سبقت الاشارة اليه .

● من الملاحظ ان الشيوعيين والاخوان المسلمين ثم حزب التحرير الذي استقطب هؤلاء بسرعة ، كانوا ناشطين ومؤثرين في الاوساط التي يسعى الحزب للانتشار فيها والتوسع بين صفوفها ، مما جعل المنافسة قوية وجدية ، ولعل هذه المنافسة بالاضافة الى رغبة التوسع لأغراض النجاح في الانتخابات النيابية العامة ، قد دفعت قيادة الحزب نحو الانسياق وراء الكسب العددي من دون التدقيق بالنوعية النضالية ، **مما جعل الكوادر القيادية عاجزة عن استيعاب هذه الاعداد المتزايدة وتثقيفها ودمجها في حياة الحزب ، وهذا بدوره أضعف جوانب الوعي والانضباط لديها** ، فانعكس ذلك كله على مسيرته بوقوع الخلل والتراخي لدى الكثيرين في الفترات التي اشتد فيها

---

٨ ـ النشرة الدورية آب ١٩٥٢ ـ المكتب الاداري .

٩ ـ مثل زكي شيخ ياسين وكان بنّاء .

١٠ ـ النشرة الدورية ـ ايلول ١٩٥٣ .

الضغط على الحزب او عند حدوث بعض الازمات الداخلية فيه.

● ومع ان الضغط الشديد والوسائل الحديثة والخبيثة التي اتبعها النظام وأجهزته الامنية ضد البعثيين ، قد اثارت بينهم ضروبا من الشكوك وتبادل التهم ، وأدت ببعضهم الى نوع من التراخي او التخلي عن العمل ، فان الضربة الشديدة ذات الاثر الكبير في لجم النشاط الحزبي الفعال في الاردن ، كانت بسبب الانقسام الذي قاده عبد الله الريماوي بدوافع وصولية حيث عارض اعادة تنظيم الحزب متذرعا بالحرص على دولة الوحدة ، مع انه من الوجهة العملية ، كان يمارس التكتل الاقليمي ، وتتحكم في مواقفه وسلوكه الدوافع الشخصية والنزعات القطرية . ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة ، ان المرحلة التي اصبح فيها الريماوي امين سر التنظيم الحزبي في الاردن ، وكان تأثيره قويا في القيادة والتوجيه ، قد اتسمت بنشاط سياسي وشعبي ملحوظ ، ولكنها في الوقت نفسه حملت معها بذورا كثيرة من الضعف التنظيمي والنقص في استيعاب فكر الحزب وهضم عقيدته والاندماج في مبادئه وسلوكيته . ولا عجب في ذلك لأن الريماوي وبعض القياديين الذين انسجموا معه في مفاهيمه السياسية والحزبية ، قد انتموا الى الحزب في سن متأخرة ، اي بعد ان تبلورت افكارهم ومفاهيمهم ، ولم يتح لهم الاطلاع الدقيق على مبادىء الحزب وأساليبه في العمل والانضباط منذ نعومة اظفارهم ، ولذلك نلاحظ في ظل هؤلاء بعض الظواهر التي لم تكن ملحوظة في فروع الحزب الاخرى . ويذكر على سبيل المثال توجيه الاعضاء من اجل الدعوة لقادة الحزب حتى تستقر اسماؤهم في ضمير الشعب كقادة . وعلى الرغم من وجاهة هذا التوجيه ، فانه لا يخلو من اغراض انتخابية وطموحات فردية . ويؤيد ذلك ان بعض الرفاق الذين عاشوا تلك المرحلة يؤكدون بروز فردية

الريماوي ورغبته في ان يصبح الرجل الاول في الاردن ، فيما لو أتيح له الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة . ومن هنا تفسر حماسته لاستمرار حل الحزب في **دولة الوحدة ومقاومته العنيفة للمنظمة الحزبية في مصر ، واندفاعه في العمل مع عبد الناصر وأجهزته .**

وفي بعض البيانات والبرقيات نجد مديحا زائدا للملك حسين في بعض المناسبات التي اضطر فيها للوقوف الى جانب الحركة الوطنية (١١) . ولكن الحزب بعد فصل الريماوي عام ١٩٥٩ سار باتجاه منسجم مع مبادىء الحزب وسلوكيته ولكنه ظل يعاني من آثار الانقسام الداخلي المذكور من جهة ، ومن اضطهاد السلطة له من جهة اخرى . هذا ومن الجدير بالملاحظة ان بقية الاحزاب والقوى السياسية لم تكن احسن حالا منه ، وأوفر حظا في القدرة على التحرك وكسب الجماهير .

- ٢ -
انتشار الحزب في العراق

● بعد انقلاب بكر صدقي في عام ١٩٣٦ وثورة مايس (ايار) عام ١٩٤١ ازداد تأثير الجيش والاحزاب في الاحداث السياسية للعراق ، في حين اخذ دور الزعامات الاقطاعية والعشائرية وتمردها على السلطة يتقلص بالتدريج . وبالرغم من ان الحكام المندفعين في التعاون مع الانكليز وعلى رأسهم الوصي ونوري السعيد ، عمدوا بعد اخماد ثورة مايس لاتهام معارضيهم بالعمل ضد الديمقراطية ، وبالتعاون مع النازية والفاشية ، ومن ثم ضربهم بقسوة ، وفرض السيطرة الشديدة على الحكم ، فقد

---

١١ - راجع البيان بتاريخ ٥-٥-١٩٥٦ وكذلك بيان ١٤-٣-١٩٥٧ .

اضطروا عند انتهاء الحرب العالمية الثانية لاعادة نوع من الحياة الديمقراطية على الطريقة الغربية ، ولكن بصورة مشوهة . وعندها تقدمت الاحزاب إالتالية بطلب الترخيص لها بالنشاط وهي (الاستقلال ـ الوطني الديمقراطي ـ الاحرار ـ الشعب ـ الاتحاد الوطني ـ التحرر) فأجيزت الخمسة الاولى ورفض الاخير على اعتبار انه يضم عناصر شيوعية معروفة (١٢) .

وبالرغم من ان احزاب الوطني الديمقراطي ، والشعب ، والاتحاد الوطني ، ضمت عناصر من المثقفين والجامعيين **وبعض** كبار الملاكين ، فقد كانت تبدو في بعض مواقفها تقدمية او يسارية ، ولكن من دون ان تقترب من الثورية . «وكان الاعتقاد السائد ان الشيوعيين يستترون وراء الحزبين الاخيرين .. والحزب الشيوعي ـ وهو بعرف العصر حينذاك ، أشدها تطرفا ـ وكان ممنوعا ويعمل في الخفاء» (١٣) .

وكانت هناك قوى يمينية ناشطة كالاخوان المسلمين .. اما حزب الاستقلال فقد ضم مجموعة من السياسيين التقليديين وكبار الملاكين وعددا من الشباب المثقفين، واستقطب اكثر الذين اعتقلوا لمشاركتهم بثورة ايار واكتسبوا شعبية مرموقة ، باعتبارهم ضحايا الاحتلال الانكليزي ، ورمزا للمقاومة . كما حصل على تأييد شعبي من خلال اهتمامه اكثر من سواه ، بالوحدة وبقضية فلسطين بعد النكبة ، وكذلك بمعارضته معاهدة بورتسموث ونشاطه في وثبة كانون الثاني لعام ١٩٤٨ التي أحبطت تجديد معاهدة عام ١٩٣٠ . **ومن هنا نلاحظ ان عددا غير قليل من الشباب القومي التقدمي المتحمس للقضايا العربية**

---

١٢ ـ تاريخ العرب المعاصر ص ٥٣٨ ، الدكتور عبد العزيز نوار .
١٣ ـ المصدر السابق ص ٥٤٠ .

قد انتمى اليه في ذلك الحين وشكل ما يعتبر جناحا يساريـــا فيه . غير ان عددا من هؤلاء الشباب الذين اطلعوا على نشرات حزب البعث وأهدافه ، وعلى سلـــوك اعضائه ومواقفهـــم ، اكتشفوا من خلال التجربة ان هذا الحزب الجديد أشد تعبيرا عن مشاعرهم وتطلعاتهم القومية ، واكثر تلبية لنداء الثورة والتمرد الذي يعتلج في نفوسهم وأعماقهم ، فتقربوا منه ثم انتمـــوا اليه . وعلى اي حال فان الاحزاب التي مارست نشاطها بعـد الحرب العالمية الثانية ، ظلت ضعيفة في تكوينها التنظيمـــي وجماهيريتها ، ولم ترتفع في وسائلها النضالية الى مستـــوى ثوري فعال ، **وبقيت تتحرك فـي اطار القطرية والشرعيـــة السياسية ، والمنطق المتقارب مع الانظمة الحاكمـــة ، وتمارس معارضتها في كثير من الاحيان برفق ولين وتقف عند حـــدود الاعتراض على بعض المواقف** ، وتقديـم برقيات وعرائـــض الاحتجاج . وفي نهاية الاربعينات ظهرت احزاب جديدة كالاتحاد الدستوري والاصلاح ، والامة الاشتراكي ، وعبرت عن سياسة الفئات التي تناوبت على الحكم ومثلت الاتجاهات الرجعيـــة والتبعية المكشوفة لدول الغرب الامبريالية .

● في هذه الفترة بالذات ولـد حزب البعث كالبـــذرة المغمورة في باطن الارض ، ضربت جذورها في الاعماق ثـــم انطلقت بقوة وثبات تحمل معها بذور الحياة بأجلـــى معانيها . **ولد في اوساط النشء الجديد ، بروح وآفاق جديدة ، وبنكهة خاصة لم تكن معروفة من قبل** . ولد في وسط طلابي ليس له وزن سياسي وشعبي . اصطفى الافراد المناضلين الاشـــداء المستعدين لكل انواع التضحية والفداء ، والذين لا يتطلعون الى مجرد الظهور والكسب الشخصي ، بل تجذبهم العقيدة وتشدهم اليها بعنف . من هؤلاء تكونت خلايا البعث الاولى ، تحمل معها سمات وميزات خاصة افتقرت اليها الاحزاب السائدة يومذاك ،

ومن هذه السمات ما تميز به اعضاؤها من ايمان عميق بالاهداف، وتفاؤل مطلق بالمستقبل، ومن اقبال على البذل والنضال بعفوية وصدق ، وبقناعة لا يرقى اليها الشك في انهم يؤدون واجبا قوميا مقدسا ويحملون رسالة الحق والخير والعدل والانقاذ .
وما هي الا بضع سنوات حتى امتدت هذه الخلايا الى مختلف الالوية في العراق ، وأصبحت اهدافها وشعاراتها الجديدة معروفة ، لفتت انتباه المواطنين واهتمامهم ، كشعار الوحدة والحرية والاشتراكية ، ووحدة النضال العربي ، واعتماد الحلول الجذرية ورفض المساومة والماكيافيلية في السياسة والتركيز على الاخلاقية وعلى النضالية والفكرة الانقلابية ودور الجماهير الشعبية .. الخ .

● صحيح ان بعض الطلبة العراقيين الذين كانوا في الاربعينات يدرسون في جامعة دمشق وفي بيروت ، قد احتكوا بالبعثيين الاوائل وتعرفوا من خلالهم على مبادىء الحزب وأهدافه ، واطلعوا على بعض بياناته ونشراته ، فتأثروا بها وراحوا يعملون من اجلها . وصحيح ايضا ان بعضهم أسهم في نقل شيء منها الى العراق عند عودته اليه (١٤) . ولكن السبيل **الاول والاهم لانتشار الحزب كان عن طريق بعض الطلبة السوريين وبخاصة اللوائيين** (ابناء لواء الاسكندرونة) الذين كانوا يتلقون علومهم في المدارس العراقية ودار المعلمين الابتدائية والعالية وممن كانوا مرتبطين بأفكار الحزب وحملوا معهم بعض منشوراته ، كدستور الحزب وأحاديث البعث العربي ، وذكرى

---

١٤ ــ كالدكتور سعدون حمادي الذي درس في بيروت وبادر بتشكيل خلايا صغيرة في كربلاء في اواخر الاربعينات ، أما الدكتور عبد الخالق الخضيري فقد حضر المؤتمر التأسيسي يوم كان طالبا في كلية الطب بدمشق غير ان نشاطه لم يكن بارزا بعد عودته الى العراق .

الرسول العربي ، وفي السياسة العربية ، والفئة الحاكمة في طريق الانهيار ، والقومية العربية وموقفها من الشيوعية .

● **لقد تشكلت بضع خلايا طلابية صغيرة عام ١٩٤٨ وتضم الواحدة حوالي خمسة اعضاء وجرت اول حفلة قسم الانتماء في دار البعثات** العربية بالاعظمية (١٥) ثم نمت الخلايا واصبحت فرقة في العام التالي ، ولها اتصال مع قيادة الحزب في القطر السوري .

وكان التنظيم يستند الى رابطة الكلية او الحي لسهولة اللقاء والاجتماع . وما لبث ان توسع حتى وصل الى مستوى شعبة تضم ثلاث فرق في الاعظمية والكرادة والكرخ بالاضافة الى بعض الخلايا في بعقوبة والبصرة والناصرية والرمادي وغيرها «**ثم ارتفع التنظيم الى مستوى فرع في عام ١٩٥٢**» (١٦) .

هذا ومن الجدير بالذكر ان البيانات العامة منذ هذا العام كانت في معظمها منسوخة باليد ، وتصدر باسم القيادة القطرية، كالبيانات الصادرة حول الوضع في القطر السوري ، وحول الحكم العسكري في العراق ، وذلك بمعنى قيادة تنظيم القطر العراقي ، وليس بالمعنى المعروف حاليا عن المستوى التنظيمي لأية قيادة قطرية . كما كانت تعتبر الرسائل الواردة اليها من القيادة في القطر السوري على انها صادرة من القيادة القومية علما بأن هذه الصيغة لم تظهر قبل حزيران من عام ١٩٥٤ .

● وبما أن عددا غير قليل من البعثيين الاوائل كانوا منتمين

---

١٥ – من تقرير للسيد عبد الرحمن الضامن بتاريخ ١–٦–١٩٧٥ .

١٦ – التطورات السياسية في العراق ، جعفر عباس حميدي ص ٦٥٦ (حديث مع شمسي كاظم في ١٢–٥–١٩٧٣) .

الى حزب الاستقلال ، فلا بد من الاشارة الى مبررات انتقالهم الى حزب البعث،وهي تتلخص في خيبة املهم بثورية حزب الاستقلال وفعاليته ولمواقفه القطرية ، بعد ان اشتركت قياداته في الحكم عقب الوثبة الشعبية لعام ١٩٤٨ والتي ذهب فيها العديد من الضحايا ، بالاضافة الى اهمال هذه القيادات للثقافة السياسية والفكرية ، **بحيث انها كانت تضيق ذرعا بمطالبة الاعضاء لها باصدار كراسات ثقافية فتوجههم لقراءة ما يصدره حزب البعث** في هذا الصدد ، فضلا عن ضعف رعايتها للامور التنظيمية واستخفافها بالجيل الجديد من الشباب ، وعجزها عن اشباع ميولهم في التزود بالثقافة القومية الاشتراكية ، ثم فشلها في استيعاب طاقاتهم واندفاعاتهم الوطنية والنضالية .

● لم يكن النشاط في بداية الخمسينات يتعدى التبشير بمبادىء الحزب ونشرها ، وتكوين الخلايا الطلابية ، ومحاولة تعريف المواطنين بأهداف البعث وشعاراته عن طريق الكتابة على الجدران او في قصاصات من الورق توزع في بعض الاماكن والمناسبات ، وعن طريق حضور الاحتفالات والتظاهرات والهتاف باسم الحزب وشعاراته . وكذلك المساهمة المتواضعة بالتظاهرات التي تخرج من الجامعة والمدارس الثانوية بمناسبات وطنية وقومية .

● وكانت بعض التعليمات والنشرات في المرحلة الاولى تكتب باليد على عدة نسخ ثم يتداولها الاعضاء . بل ان بعض البيانات العامة حتى عام ١٩٥٢ والتي لا تجرؤ الصحف على نشرها تنسخ باليد وتوزع على المواطنين . ولكن الحزب استطاع في هذا العام الحصول على آلة طابعة (رونيو كحولية يدوية) ثم آلة ناسخة (استنسل كهربائية) في العام التالي ، وراح الاعضاء يطبعون فيها صحيفتهم الداخلية المركزية واسمها (العربي

الجديد) (١٧) حيث صدر عنها عددان في تشرين ١٩٥٣ ثم بدلت باسم (الاشتراكي) وكانت بعض حروفها «رديئة وغير مقروءة» بصورة واضحة وابتيعت الكليشهات من سورية: «كما ان الحزب استطاع في عام ١٩٥٤ الحصول على مطبعة اشتراها من كربلاء بخمسين دينارا .. كما افاد من جريدة «الحرية» لقاسم حمودي لمدة قصيرة في توضيح اهدافه ومبادئه (١٨) .

● لقد افاد الحزبيون الاوائل من سيطرتهم على بعض المكتبات العامة ــ كمكتبة الشباب القومي في اكثر من حي (والتي كانت مراكز واجهية لحزب الاستقلال) واتخذوا منها امكنة للقاء وجمع الكتب الحزبية فيها لتيسير قراءتها والاطلاع عليها (١٩) كما كانوا ــ وبتوجيه حزبي ــ ينتمون الى الاندية الرياضية والثقافية والى النقابات المهنية بقصد الاختلاط والعمل على نشر اهدافهم ، ويقومون برحلات جماعية الى اماكن متعددة كمظهر من مظاهر النشاط الحزبي وتعزيز جوانب الائتلاف والتعارف.

وكان النشاط وتوقيع البيانات بأسماء واجهية ــ كالشباب العربي في العراق ، او الشباب العربي الجامعي ، او الطليعة العربية او الاشتراكيون العرب (٢٠) ، مع الحرص باستمرار على

---

١٧ ــ لقاء مع قدماء البعثيين في ٢٩ــ٣ــ١٩٧٦ .

١٨ ــ التطورات السياسية في العراق ، جعفر عباس حميدي ، ص ٦٦٣ ، حديث مع جواد ابو الحب في ٥ــ٥ــ١٩٧٣ .

١٩ ــ بدل اسم مكتبة الشباب القومي في الكرادة الشرقية باسم مكتبة الرسالة انسجاما مع رسالة البعث الخالدة . وفي الكرخ باسم اليقظة العربية . وفي الاعظمية باسم الفكر الجديد ــ من تقرير لعزيز المشهداني في ٦ــ٢ــ١٩٧٢ .

٢٠ ــ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ثم لقاء مع عدد من قدماء البعثيين في ١٤ــ٤ــ١٩٧٥ وفي ٢٩ــ٣ــ١٩٧٦ ثم تقرير دحام الالوسي عام ١٩٧٢ .

ايراد شعار الحزب وحدة حرية اشتراكية لتوضيح هويته . وبدأ الحزبيون باضافة لفظ الاشتراكي الى اسم الحزب في نشراته الداخلية منذ آب ١٩٥٣ . **اما النشاط العلني والرسمي باسم الحزب فقد بدأ في ايار من العام التالي بمناسبة الدعوة لخوض المعركة الانتخابية واحباط مؤامرة الاقطاع .**

● لم تكن السلطة قبل عام ١٩٥٢ تقيم وزنا لنشاط هؤلاء البعثيين المغمورين فكانوا يتحركون في الجامعة بشيء من الحرية التي مكنتهم من اللقاءات بل عقد الندوات البعيدة عن المراقبة والمضايقة في كليات الجامعة . ولكن السلطة بعد ذلك العام ، بدأت تشعر بنشاطهم المتزايد وتدرك خطر الاهداف التي ينشرونها ، فراحت تراقبهم وتحد من تحركهم ، بل وتلاحقهم في بعض المناسبات بصورة واضحة ومركزة ، وهذا ما دفعهم لاستنباط وسائل جديدة في العمل النضالي ، كالامتناع عن عقد الاجتماعات في اماكن عامة معروفة مثل الكليات ، واجراء اللقاءات بين عدد محدود لا يتجاوز اصابع اليد . حتى اذا ما تصاعدت عملية المراقبة والتشديد عمدوا لبناء التنظيم على اساس الخيوط التنظيمية ، واعطوا لكل اسم رقما ، ونقلوا اسماء الحزبيين وعناوينهم في سجل خاص يحفظ في مكان امين ، وراحوا يجتمعون لدى الرفاق الذين تتوافر في منازلهم الناحية الامنية كأن تكون قريبة من ثكنة او دائرة حكومية ، او تابعة لاحد كبار الموظفين ، حيث تقل بواعث الشك والاشتباه من اجهزة الامن . بل قد يجتمعون في زورق او بستان او بلقاء عابر في مكتبة او «شرداق» (يشبه السرادق) او مقهى معزول ثم اتقنوا عمليات الاختباء والتواري وايجاد الاوكار والطباعة والاجتماعات السرية .

● وبنمو التنظيم مع مرور الزمن جرى توزيع المسؤوليات حيث كان بعض الرفاق يكلف بتلخيص الصحف وتقديم المعلومات

السياسية ، وآخر بتلخيص كتاب ثقافي من المقدر انه مفيد عند مناقشته ، واجراء الاسئلة حوله ، بينما يكلف ثالث بمهمة الاتصال بالقوى والشخصيات السياسية ، ورابع بالامور المالية .. الخ . **كما استحدثت مكاتب جديدة كالمكتب التنفيذي** ويضم بشكل رئيس مسؤول فرع بغداد ومسؤولي المكاتب وبعض قيادات الشعب (٢١) وهو يلي القيادة القطرية ومن المكاتب الهامة : الاتصال الخارجي والطلبة ، والثقافة والمالية .. وبصورة عامة ظهرت صيغ تنظيمية متعددة تعرضت لكثير من التعديل والتبديل بحكم الظروف والطابع التجريبي في العمل . وكان اول تفرغ للعمل الحزبي براتب ثلاثين دينارا عام ١٩٥٣ (٢٢) .

وعلى الرغم من وجود هذه الصيغ التنظيمية غير المستقرة، وظهور بعض البلبلة والاضطراب في وضع القيادات العليا ، فقد كان ثمة تشدد ملحوظ في أمور الانضباط واحترام القيادات والتعليمات الحزبية ، وفي المحافظة على هيبة الاجتماعات(٢٣) .

● في النصف الاول من الخمسينات كان الطلبة يشكلون الاكثرية الفعالة والمؤثرة في نشاط الحزب وبخاصة في فترة الدراسة ، وكان لهم دور كبير في تحريك التظاهرات المعادية للاحلاف العسكرية وللفئات الرجعية الحاكمة ، ومن ثم خلق الاجواء الشعبية المساعدة على الانتفاض ضدها . وفي أواخر

---

٢١ – لقاء مع بعثيين قدامى في ١٤–٤–١٩٧٥ .

٢٢ – هو جاسم محمد حمزه الذي اصبح مسؤولا عن تأمين الطباعة .
لقاء مع بعثيين قدامى في ٢٩–٣–١٩٧٦ .

٢٣ – كان يمنع فيها التدخين او استخدام المسبحة والعلكة ووضع رجل فوق اخرى وكذلك الحديث الجانبي الذي يعكر هدوء الجلسة ومجراها الطبيعي ، ويمنع غالبا من دخول الاجتماع من يتأخر عن موعده المحدد .

فصل احد القياديين لانه شوهد وهو مخموراً في شارع الرشيد

عام ١٩٥٧ اصدر مكتب الطلبة التابع للحزب صحيفة باسم «صوت الطلبة» وقد ورد في العدد الاول منها «ان الطالب كان مشاركا وبصورة فعالة في العمل السياسي والنضالي .. ولم يكن في يوم من الايام معزولا عن الاحداث ، بل كان له الفضل في صياغة بعضها .. والوعي الاكبر للطلبة ، هو ان يفهموا انهم جزء من الحركة الثورية العامة للجماهير وانهم بعد ذلك لهم مجالهم الثوري المعين» (٢٤) .

غير ان النشاط الحزبي في بغداد كان يتضاءل صيفا ليقوى في الريف حيث يعود البعثيون الى قراهم . هذا مع العلم ان عددا غير قليل من الطلبة كان يتخلى عن النشاط او يتراخى كثيرا عندما ينتهي من الدراسة ويدخل الحياة العملية .

● أما بالنسبة للنشاط النسوي فقد بدأ بشكل فردي منذ عام ١٩٥٣ وتشكلت اول خلية نسوية في صيف ١٩٥٤ (٢٥) ثم نشطن في السنوات التالية وتعرض بعضهن للاعتقال والمضايقة في عام ١٩٥٦ وبعده .

● اما بالنسبة للقطاع العسكري فقد بدأ اول اتصال للحزب بالعسكريين على اثر مقال نشر في العدد الثاني من العربي الجديد (تشرين ١٩٥٣) ويحذر من مؤامرة انقلاب عسكري في العراق، حيث بادر عدد من هؤلاء للاتصال بمسؤولي الحزب، وجرى لقاء مع لجنة حزبية رباعية كلفت لهذا الغرض

---

٢٤ ــ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢١٦ ــ ٢١٧ .

٢٥ ــ أقدم البعثيات سعاد خليل ومعينة نايف وسلمى خليل اسماعيل وآمنة مهدي خضر وحفصة منيف ــ لقاء مع بعثيين قدامى في آذار ١٩٧٦ وورد في لقاء نيسان ١٩٧٥ ان نوار حلمي ونظيمة الجنابي من اقدم البعثيات ايضا .

ثم قدمت تقريرا الى قيادة الحزب تعرب فيه عن وجود عدد من الضباط المتجاوبين مع افكار الحزب . وتشكلت اول خلية من العسكريين في عام ١٩٥٤ . وبعد انحراف ثورة ١٤ تموز جرت اعتقالات شملت بعض العسكريين في ١٩٥٨ ومن بينهم الرفيق احمد حسن البكر وقد اهتم الحزب بكسبه اذ كان يقال لهم انه محبوب وموثوق فاذا كسبتموه كسبتم نصف الجيش (٢٦) .

● **وبالنسبة للعمال والفلاحين ارتبط عدد قليل منهم بالحزب مع بداية الخمسينات ، ثم تكاثروا مع مرور الزمن** ولاسيما بعد ان جرى تبسيط مبادىء الحزب وأهدافه ، ونمت قوته وامكاناته في التوسع والاتصال واصبحت له شعبية مرموقة .

ومع ان الحزب ظل يعتمد في نشاطه حتى عام ١٩٥٣ على الطلاب ، فقد كان يغتنم المناسبات الخاصة بالطبقة الكادحة ، ويتحرك لدعمها واشعارها بأن الحزب هو المعبر عن اهدافها وطموحاتها . فعندما اضرب عمال نفط البصرة في اواخر ذلك العام ، دعا الحزب الطلبة للتظاهر تأييدا لهم ، ووزع بيانا باسم الاشتراكيين العرب ، يذكر فيه ان «الطلاب والعمال والفلاحين طبقة نضالية واحدة» (٢٧) وأضرب الطلاب بالفعل «وحيوا نضال اخوانهم العمال ومجدوا كفاحهم البطولي» . وعندما أضرب عمال شركة الارامكو في هذه الفترة اصدر الحزب بيانا بعنوان «ايها الكادحون في جميع أرجاء وطننا العربي ، ساندوا اضراب عمال الأرامكو البطولي ، واشجبوا الارهاب السعودي وحملات الاعتقال والسفك المنصبة على الكادحين

---

٢٦ ـ لقاء مع بعثيين قدامى في ١٤ـ٤ـ١٩٧٥ .

٢٧ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٤٢ .

العرب الاحرار» (٢٨) .

وهكذا يتضح ان الحزب قد انتبه الى قضايا الطبقة العاملة وهمومها منذ وقت مبكر . فاذا أضيف الى ذلك قسوة الاقطاع والقبلية في العراق ، وتجاوب الحزب مع العواطف القومية والوحدوية للطبقة العاملة ، ومع مشاعرها الاجتماعية والروحية اكثر من تجاوب الشيوعيين ، واذا لاحظنا ايضا انقسام هؤلاء واعتقال بعض قادتهم ، وانكشاف تنظيماتهم وانتشار البلبلة في صفوفهم ، لادركنا السبب الذي جعل حزب البعث أقدر على استقطابها من الحزب الشيوعي الذي طرح نفسه منذ نشأته على انه يمثلها ويعبر عن اهدافها . ولعل بداية تفوق الحزب على الشيوعيين في تنظيم التظاهرات وقياداتها ، كان في النجاح الرائع للاضراب الذي دعا اليه الحزب لدعم عمال شركة نفط البصرة ١٩٥٣ في حين فشل الشيوعيين بدعوتهم للاضراب فشلا ذريعا في تلك المناسبة (٢٩) .

ننتقل بعد ذلك الى تلخيص ابرز نشاطات الحزب على الصعيد السياسي بهدف التعرف على الظروف والعوامل التي ساعدت على توسعه ونموه من خلال ممارساته النضالية .

● **ففي عام ١٩٥٢** : بدأ نشاطه يظهر على الصعيد الشعبي منذ بداية هذا العام ، كما بدات اجهزة الامن تراقبه وتتعقب تحرك اعضائه .

ومن أقدم البيانات السياسية العامة كان البيان الصادر في منتصف شباط باسم «الشباب العربي في العراق» وبعنوان

---

٢٨ ـ الاشتراكي ـ عدد ٣ ، كانون الاول ١٩٥٣ . المصدر السابق ، ص ٤٤ .

٢٩ ـ المصدر السابق ، ص ٩ .

«الشباب يرفض بشدة اتفاقية النفط ويدعو لاحباط كافة المشاريع الاستعمارية» (٣٠) .

وبالاضافة لاهمية الموضوعات التي يثيرها البيان فانه ينطوي على اهمية اخرى ، تكمن في طابعه القومي ، اذ انه موقع من مجموعة من البعثيين المنتمين الى عدة أقطار هي العراق وسورية والاردن وتونس .

● وفي ايلول القت السلطة القبض على احد اعضاء الحزب وعثرت معه على عدة رسائل حزبية موجهة الى اشخاص في البصرة تدعوهم الى تنظيم العمل الحزبي ، والاتصال بالمواطنين، والعمل على انقاذ الجماهير من واقعها السيء ، والحث على النضال من اجل القضايا العمالية . وقد حوكم في محكمة جزاء بغداد الاولى بتهمة الانتماء الى حزب البعث العربي وقررت تغريمه مبلغ ٤٠ دينارا وعند عدم الدفع فحبسه لمدة شهر واحد (٣١) .

● وفي اوائل تشرين الثاني اصدر الحزب بيانا حول الوضع الديكتاتوري في سورية ، يدعو فيه المواطنين لاثارة النقمة ضد هذه الانظمة العسكرية ، وفضح تآمرها على الديمقراطية والحركات الشعبية ، كما نظم حملة من العرائض والمقالات ضد ذلك النظام .

● وفي ١٦ من الشهر المذكور وجه الحزب نداء الى الجماهير العربية جاء فيه «وبهذه المناسبة (قرب انتهاء المعاهدة

---

٣٠ ـ ذكرنا مقتطفات من هذا البيان في الفصل الرابع .

٣١ ـ جريدة الاخبار العدد ٣٥٥٤ في ٢٤-٩-١٩٥٢ والاهالي العدد ٩٢ في ٢٤-٩-١٩٥٢ . الشخص اسمه طه الرشيد وكان طالبا في كلية التجارة . ومن الذين اعتقلوا ايضا وطردوا من الجامعة معاذ عبد الرحيم .

العراقية ـ البريطانية) نعلن الى ابناء الشعب العربي في انحاء الوطن مطالبتنا بالغائها ، ونطلب اليهم ان يوحدوا جهودهم للنضال في سبيل تخليص البلاد من شرورها .. اننا في هذا الوقت نهيب باخواننا ابناء الشعب العربي ان يواصلوا النضال في سبيل الغاء المعاهدات والامتيازات الاستعمارية والى العمل بجد في سبيل القضية الكبرى ، قضية الوحدة والحرية والاشتراكية» (٣٢) . وكانت المعارضة الوطنية قد اشتدت بصورة عامة ضد الحكم البرلماني المزيف ، وطالبت باصلاح الحياة الدستورية واطلاق الحريات الديمقراطية ، وبخاصة تعديل قانون الانتخاب وجعله على درجة واحدة بدلا من درجتين . ثم تعاقبت الاحداث باتجاه التصعيد ، ولاسيما بعد ان اقدمت اجهزة السلطة على محاصرة كلية الصيدلة ، واقتحام حرم الجامعة واعتدائها على الطلاب بقسوة ووحشية في التاسع عشر من الشهر المذكور ، الامر الذي اثار مشاعر الطلبة والمواطنين **وأدى لانتفاضة تشرين المشهورة ، وقد اضطلع فيها الحزب بدور اساسي وفعال** ، حيث بادر على اثر الاعتداء لاصدار بيانات الاستنكار الشديد ودعا الطلبة الى النضال (٣٣) ثم قاد تظاهرة منفردة باسم الشباب العربي في ٢٢ تشرين الثاني انطلقت من دار المعلمين العالية ومرت بكلية التجارة والاقتصاد فكلية الآداب والعلوم ثم الكلية الطبية حيث تفرقت هناك (٣٤) .

وبرهن البعثيون في هذه التظاهرة عن قدرات ملحوظة في تنظيم التظاهرات وقيادتها ، وأصبحوا موضع اهتمام الاوساط السياسية والحزبية والحكومية ، **كما اخذت الصحف تنقل**

---

٣٢ ـ جريدة الجبهة الشعبية العدد ٣٥٤ في ١٦ـ١١ـ١٩٥٢ .

٣٣ ـ جريدة الاهالي العدد ١٤١ في ٢١ـ١١ـ١٩٥٢ .

٣٤ ـ جريدة الجبهة الشعبية العدد ٤٠٠ في ٢٤ـ١١ـ١٩٥٢ .

اخبارهم وتنوه بنشاطهم . فجريدة «الاخبار» البغدادية كتبت مقالا بعنوان «حزب سري لجماعة البعث العربي ، اعضاؤه يقومون بنشاط غير مشروع» اعلنت فيه ان حزبا سياسيا سريا أنشيء في العراق باسم حزب البعث العربي . وان اعضاء هذا الحزب لعبوا دورا هاما في أحداث انتفاضة تشرين الثاني ، أن نشاطهم في تزايد مستمر . أما اهداف الحزب الجديد فهي النضال في سبيل وحدة عربية اشتراكية (٣٥) .

وفي وقت لاحق كتب الحزب تحليلا في جريدته الداخلية «الاشتراكي» حول مظاهرات تشرين الشعبية مشيرا الى انها كانت مفيدة من حيث التربية النضالية وممارسة الكفاح الدامي وجعلت الشعب يثق بنفسه ، ولكنها فشلت بتحقيق اهدافها القومية لفرار الاحزاب البورجوازية وعدم تكتيل الشعب من فلاحين وعمال وكادحين في طبقة نضالية مهيأة للعمل الثوري ، ولتدخل الجيش (٣٦) . وبعد ايام من هدوء التظاهرات اصدر الحزب بيانا يعلن فيه مقاومته الشديدة لقيام اي حكم ديكتاتوري عسكري في العراق (٣٧) .

● **وفي عام ١٩٥٣** : حيث اشتد الضغط والمراقبة على البعثيين بعد فشل انتفاضة تشرين ، **ركزت قيادة الحزب في النصف الاول من هذا العام على تقوية التنظيم وتنميته** بضم فئات جديدة اليه ، ويبدو ذلك واضحا من نشرة داخلية في آذار حيث ورد فيها «ان ضم شباب جدد لحقل العمل الحزبي هو اهم واجبات البعثيين في هذه الفترة من الزمن» (٣٨) وتتسم

---

٣٥ ـ جريدة الاخبار العدد ٣٦٢٦ في ٢٠-١٢-١٩٥٢ .

٣٦ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٣٩ .

٣٧ ـ بيان القيادة القطرية حول الحكم العسكري في العراق .

٣٨ ـ (ملحق نضال البعث ص ٥) .

النشرة بأسلوب متقدم في كيفية الترويج لمبادىء الحزب ووسائل الكسب الحزبي ، الى جانب التركيز على ضرورة الانتشار «بين المنظمات الشعبية كالعمال والفلاحين وتنظيمهم .. والانضمام الى الجمعيات والنوادي العامة ونقابات العمال وجمعياتهم» .. مع التنبيه الى ان الشعب يفهم المبادىء ويحكم على مدى صلاحيتها من سلوك اصحابها وبذلهم وتضحياتهم واخلاصهم ، وقد لا يهتم كثيرا بما ينص عليه دستور الحزب وما يكتب في كتبه ونشراته (٣٩) .

على ان الحزب لم يتقاعس عن معالجة القضايا القومية والاهتمام بها في حدود الامكانات المتاحة له ، فكان على سبيل المثال ، يقوم بتوقيع البرقيات والعرائض للمطالبة بعروبة مصر والنضال في سبيلها «وبرقيات» احتجاج الى الحكومة اللبنانية والى الاحزاب والصحف في لبنان (٤٠) ضد محاولة تسليم قادة الحزب الى الشيشكلي ، او اقامة الاحتفالات لنصرة المغرب العربي بكليات الجامعة . ثم تصاعد اهتمام الحزب ونضاله في سبيل القضايا القومية في النصف الثاني من هذا العام . ففي آب أصدر بيانا باسم الشباب العربي في العراق لدعم نضال الشعب العربي في مراكش لتحطيم الاستعمار والرجعية ، وربط فيه نضاله هذا بنضال العرب «في ثرى فلسطين ، وفي صحاري القنال، وفي تظاهرات دمشق الثورية ضد الديكتاتورية، وفي وثبات الشعب الجبارة ضد مؤامرات الاستعمار والرجعية في بغداد» (٤١) . وعندما وافقت الحكومة الليبية على المعاهدة

---

٣٩ ــ المصدر السابق ص ٩ .
٤٠ ــ نضال البعث ، الجزء الخامس ، ط٣ ، ص ١٩ .
٤١ ــ المصدر السابق ، ص ٢٣ .

انتقدها واعتبرها مؤامرة جديدة تنفذها الفئة الحاكمة . وفي تشرين اصدر بيانا موجها الى الاحزاب والصحف في الوطـــن العربي ، والى رئيس الوزراء يتضمن الاحتجاج على تعطيل حرية الصحافة والعمل الحزبي في العراق ، ويطالب بالغاء الاحكام العرفية . وفي هذه الفترة كان قد بدأ باصدار جريدته الداخلية «العربي الجديد» وراح يكتب فيها المقالات السياسية والتثقيفية حول وحدة النضال العربي ، ودعم اضراب عمال شركة الدخان الاهلية ونقد منطق الحكام وسلوكهم ، ومهاجمة تشكيل حكومة سورية الحرة باعتبارها ممثلة للنفوذ البريطاني كما يمثل النظام الديكتاتوري في سورية النفوذ الامريكي (٤٢) ، مع متابعة الهجوم على هذا النظام وفضحه بالبيانات والبرقيات والتظاهر حول مقر المفوضية السورية . كما اشار فيه الى خطر حدوث انقـــلاب عسكري في العراق وما ينتج عنه من «ضغط وارهاب وتنكيل بالعناصر المناضلة» . ولكن الحزب استطاع في نهاية هذا العام ان يتعدى نطاق البيانات ، فيخرج تظاهرة طلابية من المعاهـــد العالية تأييدا لاضراب عمال نفط البصرة ، وأن يبدد الجـــو الارهابي الخانق الذي ساد فترة طويلة .

● **وفي عام ١٩٥٤** : اشتد اهتمام الحزب بفضح الحكـــم الديكتاتوري في القطر السوري وكتب عدة مقالات في جريدته الداخلية «الاشتراكي» أبرز فيها نضـــال البعثيين العنيـــد وتضحياتهم لاسقاط ذلك النظام مشيرا الى البيانات الجريئـــة والاضرابات الصاخبة ، والقنابل المستمرة على مراكز السلطـــة ومؤسساتها في سورية ، ومنوها بتخاذل القوى والاحـــزاب

---

٤٢ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٣٠ . ويذكر ان تلـــك الحكومة اعلنت برئاسة العقيد محمد صفا الذي هرب الى العراق وتعاون مع حكامه للاطاحة بالنظام في سورية .

السياسية الاخرى . كما نظم حملة واسعة لتوقيع العرائض في مختلف انحاء العراق، واتصل بالصحف وقادة الاحزاب الوطنية، وبالسياسيين المستقلين لتوضيح مساوىء ذلك النظام وخطر استمراره على القضية القومية (٤٣) .

وبالرغم من ان الحزب ظل يهتم في بعض القضايا القطرية والداخلية ، كقضايا العمال وزيادة ساعات العمل والطرد الكيفي وهضم حقوق العاملين في شركة نفط العراق ، وكالقيام برحلات واسعة بقصد تمتين الصلة مع الفئات الصديقة ، وتكتيل الشباب حول الحزب وتكوين جبهة قوية متراصة .. «ولكي يتهيأ للاعضاء مجال التدريب الرياضي او العسكري» (٤٤) .

نقول بالرغم من ذلك فقد **كان اهتمامه بالقضايا ذات الطابع القومي اشد وأقوى .**

وفي ايار من هذا العام بدأ بطرح اسم الحزب بصورة علنية عندما قرر «خوض المعركة الانتخابية لفضح الفئة الحاكمة في العراق واثارة الوعي في نفوس الجماهير ، ورفض المحالفات والمساعدات العسكرية الاستعمارية ، ودك صرح الاقطاع». ولكن الفئة الحاكمة عمدت لتزوير الانتخابات تمهيدا للارتباط بحلف بغداد . وبما انها لم ترض عن نجاح بعض النواب الوطنيين فقد حلت المجلس النيابي وأتت في آب بمجلس آخر مزيف ، كان الحزب قد دعا لمقاطعة انتخاباته . وصعّدت السلطة من عمليات القمع والارهاب . واذا اضفنا الى ذلك ما كانت تعانيه الاحزاب التقليدية ، من ضعف واعياء ، واكتفائها بتقديم المذكرات ، ثم

---

٤٣ ـ ملحق نضال البعث ، الجزء الخامس . مخطوطة لم تنشر ، ص ٣٨ .

٤٤ ـ ملحق نضال البعث ، الجزء الخامس ص ٤٠ ، **مخطوطة .**

سلبية الحزب الشيوعي ورفضه للعمل الجبهوي ، وكذلك حداثة تنظيم الحزب ، لأدركنا الاسباب والعوامل التي مكنت نوري السعيد من توقيع حلف بغداد بدون القيام بتظاهرات صاخبة تقود الى ثورة او انتفاضة شعبية ، تحبط ذلك الحلف كما احبطت معاهدة بورتسموث قبل ستة أعوام . ومما يجدر ذكره ان الحزب لم يرضخ لهذا الواقع المتردي بل عمد لتقوية نفسه بتوعية الاعضاء على خطورة المرحلة وضرورة الانضباط وضبط النفس والابتعاد عن الانفعال وردود الفعل والمواقف الانتحارية ، مع التوجه لكسب الانصار وحث القوى الاخرى على التحرك والتعاون لمجابهة الفئة الحاكمة واحباط مشاريعها الاستعمارية ، **حتى اذا ما وجد تهاونا وتخاذلا من القوى السياسية الاخرى ، تصدى وحده تقريبا لنظام السعيد وحلف بغداد ، ونظم اضرابات الطلبة طوال اسبوع كامل ، وتعرض اعضاؤه الاعتقال في السجون ومعسكر السعدية ، وبذلك اثبت ان حلف بغداد لم يمر بدون معارضة شعبية** . وتركزت شعارات الحزب في منتصف الخمسينات على اسقاط نظام نوري السعيد والغاء المجلس النيابي المزيف ، ومعاهدة عام ١٩٣٠ واحباط مشاريع الاستعمار واحلافه العسكرية .

● **وفي عام ١٩٥٥** اشتد الارهاب والامعان في متابعة السياسة التي استهدفت ربط العراق بعجلة المعاهدات والاحلاف العسكرية . وقد مهد نوري السعيد لذلك بتعطيل الحياة الحزبية والصحف الوطنية واصدار المراسيم الشاذة التي تهدد حياة المواطنين وحرياتهم «وتفرض طغيانا بوليسيا لم تشهد له البلاد مثيلا» ، وفتح ابواب السجون والمعتقلات على مصراعيها . ولكن الحزب انصرف لاعداد نفسه وتهيئة الجماهير لمواجهة هذه السياسة مع مراعاة «الامكانيات الوطنية والوضع الشعبي الذي يسوده نوع من الخوف والهلع بتأثير الارهاب الاجرامي المذكور

وبسبب التهويلات التي وجدت لها صدى في صفوف بعض المنظمات الحزبية المائعة» (٤٥) . وكانت قيادة الحزب كما مر بنا قد بادرت ــ في نهاية العام السابق ــ بالاتصال مع قيادات حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي لاقناعها بالعمل الجبهوي المشترك .. ولكنها لم تتوصل الى نتيجة (٤٦) مما دفع بالحزب الى اصدار بيان جريء موجه الى الشعب ، يدعو فيه مختلف القوى الوطنية لخلع رداء القنوط والانزواء والبدء بالكفاح ، لاسقاط النظام والغاء المعاهدة العراقية البريطانية ، واحباط اتفاق السعيد ــ مندريس وأية مؤامرة استعمارية اخرى (٤٧) .

ثم استمر باصدار البيانات المتلاحقة المعبرة عن الجرأة والصدق في المعارضة كالبيان الصادر بعنوان «لا بد لارادة الشعب ان تعلو» فلا ظلم ولا طغيان ولا ارهاب يستطيع ان يحول دون تحطيم مشاريع الاستعمار» وقد زج الحزب بكل قواه على ضآلتها،وتمكن من تحريك التظاهرات الطلابية في الكليات والثانويات ، ولكنها كانت تواجه بقسوة ووحشية . واستطاع نوري السعيد ابرام حلفه المشؤوم «مستغلا ظروف التنظيم الشعبي وحداثته.. ليفرض مؤامرته الدنيئة» غير ان الحزب كان يؤكد تصميمه على النضال من اجل الحرية حتى النهاية (٤٨) . كما ان اجهزة السلطة شددت بدورها الضغط والملاحقة لاعضاء الحزب **وزجت بعدد منهم في السجون والمعتقلات ، كما فصلت الكثيرين من المدارس والكليات وساقت بعضهم الى الخدمة العسكرية ، ثم كشفت في حزيران مقرا سريا لهم** (وكرا) كانت

---

٤٥ ــ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٧٣ .

٤٦ ــ المصدر السابق ، ص ٧٥ .

٤٧ ــ بيان في ١٥ــ١ــ١٩٥٥ ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

٤٨ ــ البيان الصادر في ٢٧ــ٢ــ١٩٥٥ . المصدر السابق ، ص ٨٠ .

فيه آلة الرونيو التي يستخدمونها لطبع المنشورات . ولكن قيادة الحزب كانت قد علمت بانكشاف الوكر وبنية السلطة بمداهمته ، فأخفت الآلة في مكان امين (٤٩) غير ان السلطة ضبطت قوائم بأسماء الحزبيين في وكر آخر فاضطر بعضهم الى التواري والاختفاء واضطر آخرون لتسليم انفسهم ، فأدى ذلك كله الى شل النشاط الحزبي لعدة اشهر وبروز نوع من البلبلة في داخل التنظيم ، الامر الذي أدى لاستعجال الدعوة الى عقد مؤتمر قطري منتخب تنبثق عنه قيادة قطرية جديدة.(وسنوضح ذلك فيما بعد)،والى اعادة النظر في الوضع التنظيمي للحزب مع ممارسة النقد الذاتي في ضوءالاحداث السابقة (٥٠) وبالشكل الذي «يرسخ الانضباط الحزبي وينمي روح التضحية الثورية بين الاعضاء» . وما هي الا بضعة اشهر حتى كانت القيادة القطرية قد «حققت تنظيم الحزب واعادته الى حالته الطبيعية من الاستقرار الداخلي ، والعودة الى النشاط من جديد . واتخذت قرارا باجراء انتخابات حزبية» (٥١) .

● **وفي عام ١٩٥٦ :** أصدر الحزب بيانا بمناسبة الذكرى الثامنة لوثبة كانون الثاني ، دعا فيه جماهير الشعب لاحباط مؤامرة حلف بغداد واسقاط نظام السعيد ، وحل المجلس النيابي المزيف ، وذكرهم بانتصار النضال الشعبي في سورية والاردن ضد حكامه الرجعيين . وفي شباط بمناسبة مرور عام على توقيع حلف بغداد وزع الحزب بيانا يؤكد هذه الاهداف المرحلية ويشدد على شعار الحياد والعمل الجبهوي واهمية

---

٤٩ ـ لقاء مع بعثيين قدامى في ٢٩ـ٤ـ١٩٧٦ .

٥٠ ـ النشرة الدورية الخاصة بالاعضاء بتاريخ آذار ١٩٥٥ .

٥١ ـ النشرة الدورية الخاصة بالاعضاء في تشرين الاول ١٩٥٥ .

النضال العربي الموحد .. وفي آذار وزع منشورين احدهما لدعم النضال الشعبي في الاردن والذي ادى الى طرد كلوب القائد البريطاني في الجيش الاردني ، وطالب بالغاء المعاهدة الاردنية البريطانية والمعونة المالية البريطانية والانضمام للمواثيق العربية. اما المنشور الثاني فلدعم ثورة الجزائر ضد المجازر الوحشية التي ارتكبتها بحق المواطنين سلطات الاحتلال الفرنسي ، ويحث الشعب في العراق على تقديم المساعدات المالية والطبية ، ومقاطعة فرنسا دبلوماسيا واقتصاديا .

وفي الاول من ايار ينتهز الحزب هذه المناسبة ليصدر بيانا يربط فيه بين النضال القومي والنضال الاجتماعي ، ويحث العمال على رص صفوفهم الى جانب الشعب لتحقيق الاهداف المرحلية المشار اليها آنفا ، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بأهدافهم واهداف الامة العربية في التحرر من الاستعمار والاستغلال والرجعية .

وفي تموز **كان تأميم قناة السويس مناسبة جيدة للنشاط ضد الفئة الحاكمة في العراق وابراز النضال الذي يخوضه الشعب العربي في مصر وسورية والجزائر وغيرها من الاقطار العربية من دون التركيز على دور الاشخاص .**

ثم اكد على الشعارات المرحلية المطروحة وشدد على ضرورة تشكيل جبهة وطنية لتحقيق هذه الشعارات (٥٢) .

وبالرغم من ان الاحداث القومية التي اعقبت تأميم القناة وبخاصة العدوان الثلاثي وما اعقبه من حماس جماهيري على امتداد الوطن العربي كله دفع الحزب الى الاهتمام بها والانشداد

---

٥٢ ـ بيان ٢٩ـ٧ـ١٩٥٦ بعنوان تأميم شركة قناة السويس نصر جديد للسياسة العربية المتحررة . نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ١١٣ ـ ١١٤ .

اليها ، فقد كان يفيد من بعض المناسبات والاحداث المحلية ليوليها اهتمامه وعنايته . ويذكر على سبيل المثال قيامه بحملة تعبئة وتثقيف ضد القوانين الجائرة التي صدرت في ذلك العام ، كقانون الخدمة المدنية الموحد الذي يؤدي عمليا للترفيه عن كبار الموظفين ، وكقانون مراقبة ايجار العقارات لمصلحة كبار الملاكين ، ثم مساندة اضراب اصحاب سيارات الحمل في بغداد احتجاجا على فرض ضرائب جديدة عليهم (٥٣) وكدعم اضراب مدينة الموصل فيما بعد .

وفي آب اخذ الحزب يلح على ضرورة قيام الجبهة الوطنية، موضحا أسسها وشروط نجاحها قائلا «ان ضرورتها الملحة تزداد يوما بعد يوم ، وقد بلغت حاجة الشعب اليها درجة تدعو للشروع بتأسيسها في الحال ، وان الوضع في العراق لم يعد يطاق ولا يحتمل ، لانه اخذ بالازدياد في معاكسة التحرر القومي والوحدة العربية » (٥٤) .

وفي ١٤ آب أسهم بالاحتفال في «يوم مصر» الذي كان مقررا في الوطن العربي كله ، ثم دعا الجماهير بعد يومين الى اعلان الاضراب العام بمناسبة انعقاد مؤتمر لندن بهدف الاعداد لعدوان استعماري على مصر . وقد نجح الاضراب وبدد كثيرا من أجواء الارهاب التي كانت سائدة ، وتابع الحزب نضاله الجريء بحدود امكاناته المتاحة ، فأصدر في تشرين الاول بيانا حول تصريح لنوري السعيد ، يفضح فيه تبعيته للغرب وتواطؤه على القضايا العربية في فلسطين والاردن ومصر والجزائر . وعندما اختطفت السلطات الفرنسية بن بله ورفاقه ، دعا الحزب

---

٥٣ ــ المصدر السابق ، ص ١١٧ ــ ١١٨ .

٥٤ ــ المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

الى الاضراب استجابة للدعوة الموجهة من لجنة الاتصال الشعبي المنبثقة عن المؤتمر الشعبي العربي الذي يمثل الاحزاب والمنظمات الشعبية في الوطن العربي .

وفي تشرين الثاني وبعد العدوان الثلاثي على مصر ، لم تنحسر المصادمات الدموية الكبيرة ، وكانت تتبعها التظاهرات الموضعية ، ولم تنقطع الاعتصامات البطولية الا وتتبعها الاحتجاجات الشعبية المطالبة بانهاء الوضع القائم (٥٥) .

وقد استشهد في احدى التظاهرات الطلابية **الرفيق ناجي نعمة السماوي فكان اول شهداء الحزب في العراق** .

● **وفي عام ١٩٥٧** : يصدر الحزب بيانا يربط فيه بين وثبة كانون الثاني وانتفاضة تشرين ، وبين ما يجري في الساحة العربية من تآمر على مصر وسورية وفلسطين ، يتمثل في حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور ، ثم يشير الى ما حققه الشعب العربي من انتصارات ضد محاولات التآمر المتعددة في تلك الاقطار . ومنذ العدوان الثلاثي على مصر لم يهدأ العراق ولم يكف «الطلبة عن التظاهرات والتجمعات في مختلف المدن العراقية ، وهم يرددون الشعارات التالية : اسقاط المجرم نوري السعيد ومساندة شعب مصر المناضل ، ووحدة النضال العربي ضد الرجعية والاستعمار ، ومساندة الشعب العربي المناضل في الجزائر والمحميات وسقوط حلف بغداد الاستعماري ، ووطن واحد ومصير واحد وجيش واحد وعلم واحد وجلاء الخونة سارقي النفط وخبز الجماهير .. وكانت الراية العربية تتقدم كل تظاهرة وترفع رغممعارضة الشرطة على البنايات الحكومية»(٥٦) .

---

٥٥ ـ المصدر السابق ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

٥٦ ـ المصدر السابق ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

وما ان تعيد السلطة افتتاح المدارس بعد تعطيلها حتى تتجدد التظاهرات وتعمد السلطة بدورها لتصعيد المقاومة وتجديد اساليب الارهاب،كأن تعتقل ثلاثمائة طالب دفعة واحدة من طلاب الاعدادية المركزية ، ومائتي طالب من ثانوية الكرخ ، ثم مئات من المدارس الاخرى حتى امتلأت نقرة السلمان والسعدية ومعتقلات بغداد وأقضيتها بالسجون . هذا بالاضافة الى الفصل الجماعي للطلبة وتقديم أعداد كبيرة منهم الى المحاكم العرفية العسكرية .. واستمر الحزب بالتعبئة ضد الحكومات الرجعية المتعاقبة التي كان يتناوب على تشكيلها السعيد والايوبي ومرجان ، والتي كانت تعمد لتغييرها امتصاصا للنقمة الشعبية العارمة . كما استمر في فضح الاغراض الاستعمارية لحلف بغداد وللمبدأ الذي طرحه ايزنهاور وزعم فيه ان فراغا قد حدث في منطقة الشرق الاوسط بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر ، وان على امريكا ان تملأ هذا الفراغ . ومما ورد في بيان ٢٦ شباط «ان الوقائع دلت على تآمر حلف بغداد مع الاستعمار ضد القومية العربية اثناء العدوان على مصر ، من استعمال القواعد البريطانية الموجودة في العراق لضرب مصر واستعمال المياه التركية لاخفاء اساطيل الغزو .. كذلك كشفت المؤامرة الاخيرة على سورية عن الدور الكبير الذي لعبته حكومة نوري السعيد والاوساط الاستعمارية الاخرى .. وان اغراض حلف بغداد تتجه اليوم نحو ضرب السياسة التحررية المحايدة في سورية والاردن . وبعد ان يذكر البيان وسائل القمع والاضطهاد التي تلجأ اليها اجهزة السلطة ينتقل الى توضيح مرامي السياسة الامريكية «لتوسيع استثماراتها البترولية والتجارية ولمد نفوذها وضمان مصالحها التوسعية من خلال طرحها لمبدأ ايزنهاور» ثم يشير الى المؤامرة ضد سورية ويطالب بموقف حازم وشديد ضد المتآمرين ، كما ينوه البيان بصمود

ثورة الجزائر ويندد بالاعتداءات البريطانية على اليمن» (٥٧) .

ويتابع الحزب توعية الجماهير على أخطار مبدأ ايزنهاور فيكتب عنه في جريدته الداخلية «الاشتراكي» سلسلة من المقالات منها «سياسة الحياد الايجابي تحتم مقاومة مبدأ ايزنهاور» و«من مبدأ مونرو الى مبدأ ايزنهاور» . ثم يصدر بيانا بعنوان «سيقاوم الشعب مبدأ ايزنهاور وسيحطم محاولات التغلغل الاستعماري» .

وفي آذار صدر الميثاق الوطني للقوى الوطنية باسم اللجنة الوطنية العليا ، فأكد الحزب على ضرورة ارتفاعها الى «مستوى الاحداث الخطيرة التي تمر بها الامة العربية ، وان تعيش حياة الكفاح الوطني وتخوض الصراع مع الاستعمار ومن اجل الحرية والوحدة» . ومع استمرار الحزب بالنضال ضد النظام الرجعي في العراق بوسائله وامكاناته وفي اطار الجبهة ، فقد كان يولي القضايا القومية جانبا غير قليل من اهتمامه ونشاطه ، حيث يهاجم الحكم في العراق لتخلفه في اسناد ثورة الجزائر، ويفضح ذرائعه التي يطرحها لتبرير هذا التخلف ، ويطالبه بسحب جزء من الارصدة الموضوعة في بنوك بريطانيا ويقول : «لكنه لا يريد ازعاجها وايجاد المزيد من المتاعب لها وخاصة وهي تمر بأزمة اقتصادية نتيجة عدوانها الاثيم على مصر العربية ، ثم يمضي الحزب الى القول : **من الممكن بل من الواجب القومي التضحية بتاجيل مشروع من مشاريع الحكومة وتحويل الاموال المخصصة له لمساعدة الجزائر»** (٥٨) . وعندما حدث الانقلاب الرجعي في الاردن ضد الحركة الوطنية ، لمضيها في سياسة التحرر وعدم الانحياز ، يهاجم هذا الانقلاب ويفضح دعمه من حكام العراق

---

٥٧ ــ المصدر السابق ، ص ١٦٧ وما يليها .

٥٨ ــ المصدر السابق ، ص ١٨٣ ــ ١٨٤ .

وتواطؤ السعودية ودعمها له ، وانحياز حكومة لبنان الى مبدأ ايزنهاور وتهريب الاسلحة من حلف بغداد الى عملائه في سورية، ويربط ذلك كله بالنشاط المحموم الذي تقوم به الولايات المتحدة الامريكية لغرض هيمنتها على المنطقة العربية .

وعندما وقع العدوان البريطاني على عُمان أصدر الحزب بيانا قال فيه ان هذا العدوان الجديد «على شعب عُمان العربي الثائر» ليس سوى تأكيد لجشع الاستعمار وعقليته ، وحلقة جديدة في سلسلة تآمره على القومية العربية (٥٩) .

● **وفي عام ١٩٥٨** : اهتم الحزب بقضية الوحدة ، فدعم قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وهاجم الاتحاد العربي (الهاشمي) بين العراق والاردن لاسباب اشرنا اليها في الفصل الثاني ، واستمر في معارضته الجريئة للفئة الحاكمة في العراق مع السعي لتعزيز العمل الجبهوي من اجل الاطاحة بها . وكان « قد نجح في دفع الاحزاب الوطنية الى اقامة جبهة الاتحاد الوطني وتحديد مهامها في النضال لتعرية الحكم الملكي واسقاطه » .

وفي شباط اوصى المؤتمر القطري الثاني بمضاعفة النضال لتحرير العراق والعمل على انضمامه الى الجمهورية العربية المتحدة «وبزيادة الالتفاف حول جبهة الاتحاد الوطني ودعمها ، كما عالج مسألة تسليح الجهاز الحزبي» وكان له دور في الاعداد لثورة ١٤ تموز تمثل في اتصالات ممثلي الحزب مع العناصر الوطنية في القوات المسلحة ، والتنسيق بينهم وبين الرفاق الحزبيين العسكريين .. وكانت قيادة الحزب على علم بموعد قيام الثورة ومتفقة مع قادتها على اعطاء مقعدين وزاريين للحزب

---

٥٩ ـ آب ١٩٥٧ . المصدر السابق ، ص ١٩١ .

بعد نجاح الثورة (٦٠) .

ولئن لم يكن للحزب دور كبير في التحضير لهذه الثورة ، لكثرة القوى والخطوط التي ارتبط بها الضباط الاحرار ، الا انه «أقدم على اعداد جانب من المستلزمات الهامة والاساسية كتأمين بعض الاسلحة والمتفجرات» (٦١) **ولكن دوره غير المباشر كان كبيرا ومؤثرا من حيث جرأته في فضح النظام الرجعي الملكي وتعريته ، وتحريض الجماهير ضده بوسائل النشر المختلفة وبالتظاهرات التي كان آخرها قبل حوالي شهرين من قيام الثورة** اي في ايار ، وبمناسبة الدعوة لاجراء انتخابات نيابية ، حيث قرر الحزب مقاطعتها وابعاد المواطنين عن الاقبال عليها ، بالكتابة على الجدران وبالتظاهر والقاء المفرقعات . ونظم تظاهرة شعبية انطلقت من كلية الطب ، وعند مرورها بالقرب من وزارة الدفاع هتف المتظاهرون بوحدة الجيش والشعب . وبعد قليل تصدت لها الشرطة وفرقتها بالعصي والقنابل المسيلة للدموع . وقبيل الانتخابات جرى تفجير قنابل صوتية في عدة مناطق(٦٢). وعندما حدثت ثورة ١٤ تموز كان البعثيون في طليعة الجماهير المؤيدة والدافعة لها باتجاه الوحدة ، ومن الداعمين لعبد السلام عارف الذي كان يتحدث بهذا الاتجاه ، وذلك في مقابل محاولات الشيوعيين للاستحواذ على الشارع وابراز عبد الكريم قاسم

---

٦٠ ـ حول المؤتمرات القطرية للحزب في القطر العراقي ـ اعداد المكتب الثقافي ، ص ١٥ ـ ١٦ (مخطوطة) .

٦١ ـ لقاء مع علي صالح السعدي في ١١-١٢-١٩٧٦ .

٦٢ ـ من تقرير لجعفر قاسم حمودي في ٢-٣-١٩٧٢ ، وتقرير لدحام الالوسي في عام ١٩٧٢ .

وشعار الاتحاد الفدرالي لاستبعاد الوحدة (٦٣) . ويبدو هدفهم هذا بوضوح من خلال البيان الصادر في ٣ ايلول لعام ١٩٥٨ بمناسبة اتحاد اليمن مع الجمهورية العربية المتحدة ، ومما ورد فيه «لا يمكن تحقيق مثل هذه الجمهورية العربية الاتحادية الديمقراطية ما لم يتحرر مجموع الاقطار العربية او غالبيتها ، وما لم تقرر شعوبها دون ضغط او تدخل ووفق اساليب ديمقراطية صحيحة ، مصلحتها في اقامة مثل هذه الجمهورية العتيدة .. وهي (اي الجمهورية العراقية) عندما تسمع بالانضمام للجمهورية العربية المتحذة تقلق أشد القلق على مصير حقوقها الديمقراطية .. والشعب الكردي هو الآخر قلق على مصير حقوقه القومية .. ولان الانضمام لن يوفر للاقتصاد والرأسمال الوطني العراقي فرصا كافية للازدهار والتطور .. نظرا لاختلاف درجة تطور كل منهما .. بينما العمل على اساس الاتحاد الفدرالي وانضمام الجمهورية العراقية الى اتحاد الدول العربية المؤسس بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن لا يحمل معه اية نتائج سلبية .. وأخيرا ان المهمة الكبرى الان هي ضرورة التوجه بأقصى الطاقة نحو تعزيز مكاسب الثورة وتوطيد النظام الجمهوري الوطني» . **وهكذا يتضح انهم مع ترسيخ واقع التجزئة باسم المحافظة على مكتسبات الثورة وتوطيد النظام الجمهوري او الدعوة لاتحاد شكلي ضعيف كإتحاد اليمن مع الجمهورية المتحدة .**

وبعد اشهر قليلة تفككت الجبهة الوطنية بسبب من الخصومات السياسية التي نشبت بين أطرافها، وبدأ عبد الكريم قاسم باعتقال ابرز العسكريين والمدنيين المتمسكين بالاتجاه

---

٦٣ ـ المصدر السابق .ص

القومي الوحدوي . وفي العام التالي حاول الشيوعيون استخدام الارهاب والعنف ضد الفئات القومية وفي طليعتها البعثيون، وتطورت الاحداث فأدت لوقوع مجازر دموية وبخاصة بعد فشل ثورة الشواف بالموصل .

ـ ٣ ـ

انتشار الحزب في لبنان

كانت قيادة الحركة الوطنية في لبنان بأيدي السياسيين التقليديين المنتمين الى الطبقة البرجوازية الليبرالية . وكان يسود فيها تياران : احدهما يتجه نحو القومية العربية ويدعو الى الوحدة ولاسيما مع سورية، باستثناء الجبل فيترك لأكثرية سكانه الموارنة .. والتيار الثاني انعزالي ، يخشى هذه الوحدة، ويرفض الفكرة القومية ، ويتطلع الى الحماية الاجنبية ، ظنا منه بأنها السبيل لحمايته والمحافظة على امتيازاته . وكان الانتداب الفرنسي قد اضطلع بدور فعال في اذكاء النعرات الطائفية ، خدمة لأهدافه في تمتين قبضته على لبنان ، وجعله مقرا وممرا لمصالحه في منطقة الشرق العربي . **وعندما نال استقلاله في منتصف الاربعينات جرى نوع من الاتفاق الضمني بين هؤلاء السياسيين على التمسك بكيان لبنان بعيدا عن التطلع الى حماية اجنبية او وحدة عربية . وراحوا يقتسمون مراكز الدولة ووظائفها على اساس طائفي** . واصبح هذا الاتفاق غير المكتوب يعرف باسم «الميثاق الوطني» . وفي تلك الفترة كان للحزبين الشيوعي والقومي السوري نشاط وتنظيمات ، غير ان الاول تعايش مع قادة الحركة الوطنية بل مع الانتداب الفرنسي في بعض الاحيان ، وبخاصة بعد ان طرح شعار « مقاومة الفاشية» ، تبرير هذا التعايش ثم وضع نفسه في عزلة جماهيرية عندماوافق على قرار تقسيم فلسطين وتنكر لفكرة الوحدة العربية..

اما الحزب القومي السوري فقد استقطب عددا غير قليل من جميع الفئات بسبب من دقة تنظيمية ودعوته للعلمانية ولتوحيد الهلال الخصيب ومقاومته للحلفاء في اثناء الحرب ، ولكنه نقل مسايرته الى الدول الاستعمارية التقليدية، بعد سقوط الفاشية والنازية، وظل متنكرا لفكرة الوحدة العربية ، مما أضعفه وقلص دوره وبخاصة بعد فشله بتسلم الحكم على اثر محاولة انقلابية فاشلة عام ١٩٤٩ . وهكذا لم تستطع هذه الاحزاب المنظمة احتلال مكانة فعالة ومؤثرة في سياسة لبنان ، رغم استنادها الى عقائد سياسية وفكرية ، والى تنظيمات دقيقة[1]. ومع ان نسبة عدد الادباء والمؤرخين الذين اهتموا بإحياء التراث العربي منذ اواخر القرن التاسع عشر وعززوا فكرة القومية العربية كانت في لبنان (وبخاصة لدى المسيحيين) اعلى منها في اي قطر عربي آخر ، ومع ان عصبة العمل القومي التي جعلت الوحدة العربية في مقدمة اهدافها ، عقدت مؤتمرها التأسيسي الاول في قرنايل بلبنان ، فقد **استمرت سيطرة السياسيين التقليديين وفق الميثاق الوطني المذكور الذي عمق الجانب الطائفي والعشائري والانعزالي ، وأبعد لبنان عن تحقيق الانسجام الروحي والثقافي والسياسي بين ابنائه ، كما أبعده عن التوجه الطبيعي نحو الاندماج في تيار العروبة ، بمعزل عن الخوف والعقد والاوهام** التي غرسها الاستعمار . على ان الفئة الحاكمة لم تقاوم هذه العقد والاوهام ، بل عمدت لتغذيتها واستغلالها بهدف البقاء في الحكم الى اطول مدة ممكنة .. وقد تحقق لها ذلك بالفعل .

اما الجماهير المغلوبة على امرها فقد وجدت من احداث عامي ١٩٥٨ و١٩٧٥ الدامية ، مناسبة لحمل السلاح والتعبير عن نقمتها على استمرار تلك الاوضاع السياسية والاجتماعية

---

١ ـ لقد كشفت الاحداث الداخلية في لبنان بعد عام ١٩٧٥ ان الاحزاب التي استندت الى عصبيته طائفية ودعم دولي رسمي، قد استحوذت على القوة الاساسية وتحكمت بمسار الاحداث كالكتائب واحمل والتقدمي الاشتراكي

القائمة على الظلم والفساد .. ولكن الرجعية اللبنانية والعربية بتعاونها مع الامبريالية الغربية ، كانت في وسائلها وامكاناتها اقوى من الحركة الوطنية والتقدمية ، فلم تمكنها من قطف الثمرة التي تطلعت اليها بعد التضحيات الجسيمة التي قدمتها في سبيل الخلاص من تلك الاوضاع .

● في ظروف الاربعينات كان حزب البعث يتجه نحو النشء الجديد الذي يشكل ارضا خصبة لنمو افكاره ومبادئه . فبدأ منذ عام ١٩٤٧ ببعض الطلبة في الجامعة الامريكية ، وكانوا في اكثريتهم الساحقة من سورية والاقطار العربية الاخرى ، وراحوا ينشرون مبادئه بين الطلبة اللبنانيين وفي عدة مناطق من بيروت ، ثم في بقية المدن والمحافظات اللبنانية ، ولكنهم في اغلبيتهم ظلوا كتيار فكري حتى بداية عام ١٩٥٢ رغم انهم ينشطون داخل الجامعة ومن خلال التظاهرات والمناسبات القومية (٦٤) .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذه المرحلة التأسيسية او التبشيرية ، **ان بعض الطلبة اللبنانيين ممن درسوا في الجامعة السورية بدمشق ، تعرفوا على مبادىء الحزب وانتموا اليه وكانوا يسهمون في اثناء عودتهم الى لبنان بالنشاط الحزبي وبكسب اعضاء جدد (٦٥) .**

ومن أقدم البيانات السياسية التي اصدرها الحزب في لبنان باسم «الشباب القومي العربي» بيان ٦ آذار ١٩٥١ الذي يدعو «لنصرة مراكش المنكوبة» مشددا على «أن الاستعمار

---

٦٤ ـ نشرة عن قيادة قطر لبنان حول تاريخ الحزب ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٢ ، ص ٨ .

٦٥ ـ اقدم هؤلاء الدكتور علي جابر حيث ارتبط بالحزب في دمشق حوالي ١٩٤٥ .

واحد ... ولن تقف في وجهه الا وحدة الشعب العربي» (٦٦) وبيان ١٨ تشرين الاول ١٩٥١ بعنوان «دفاع مشترك جديد سيحبطه وعينا القومي» الذي يدعو فيه لاحباط «المحاولات التي تقوم بها الفئة الحاكمة في العراق لادماج الضمان الجماعي العربي بالدفاع المشترك» خدمة للاستعمار (٦٧) وبيان ٢٢ تشرين الاول ١٩٥١ الذي يدعو فيه الى التظاهر تأييدا لنضال وادي النيل ، ولافهام المستعمِرين بأن قضية العرب واحدة لا تتجزأ (٦٨) .

وفي آذار من العام التالي ، أصدر بيانا باسم «القوميين العرب الاحرار» ، يدعو فيه لتعديل قانون الانتخاب ، ومحاكمة مستثمري الشعب وتحقيق العدالة الاجتماعية المتمثلة بالاشتراكية العربية ، وتوجيه السياسة اللبنانية توجيها قوميا عربيا شعبيا ؛ مع رفض الاحلاف والتمسك بالحياد بين المعسكرين (٦٩) .

● **وفي عام ١٩٥٢** : تكونت فرق حزبية في مختلف المناطق اللبنانية . ودعي ممثلون عنها في ايار لمؤتمر في بيروت يناقش سياسة الحزب العامة ويضع خطة للعمل في المستقبل . وفي النشرة الداخلية رقم (٢) الصادرة في أواخر هذا الشهر نلاحظ وجودا ضئيلا للعمال والفلاحين في الحزب مع الحث على ضرورة الاهتمام بهم والتغلغل في صفوفهم ، ومراعاة مستواهم الثقافي وأماكن سكناهم عند توزيعهم في الخلايا الحزبية ، كما نلاحظ التساهل مع بعض اصدقاء الحزب للحضور في الاجتماعات الحزبية ، وذلك من خلال منعه لهذه الظاهرة

---

٦٦ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٢ ، ص ١٦ .

٦٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٧ .

٦٨ ـ المصدر السابق ، ص ١٨ ـ ١٩ .

٦٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

والدعوة لتكوين حلقات خاصة بالاصدقاء ، والطلب من الحزبيين ان يشرحوا لهم فيها مبادىء الحزب وأهدافه . كما ورد في تلك النشرة توجيه حول كيفية الانتشار بين الفلاحين ، يتضمن مراعاة القضايا المحلية والربط بين المشكلات اليومية والمبادىء، وإشعار الفلاح بأهميته لحركة البعث ، وضرورة الانسجام بين القول والعمل ، مع «التشدد في قبول الاعضاء المؤسسين في القرى ، وذلك لانه على الصفات التي يتحلى بها هؤلاء يعتمد انطلاق الحركة ويتضح مستقبلها»(٧٠) . أما بالنسبة الى المعلمين فقد طالبت النشرة بوضع خطة منظمة لكسبهم ، لان لهم تأثيرا كبيرا على الفلاحين والعمال ، ويشكلون الاداة التي تخلق الجيل العربي الجديد ويسهل عن طريقهم التغلغل في صفوف الطلاب.

وعلى صعيد النشاط الشعبي والسياسي كان المهرجان الذي أقامه الحزب في صيدا بمناسبة ذكرى الشهداء في السادس من ايار ، ابرز مظاهر النشاط وأوضحها ، ولذا اعتبرت انطلاقة الحزب الجماهيرية العلنية من تاريخ هذا المهرجان .. ومن الطبيعي ان تزداد من بعده منافسة القوى والمنظمات السياسية الاخرى للحزب ومحاولة الاحتكاك بأعضائه واستفزازهم ، كما فعل القوميون السوريون والشيوعيون . ولكن الحزب كان يتحاشى الانجرار وراء هذه المحاولات ويوعز لاعضائه بضبط النفس والانصراف الى بناء الحزب والنضال القومي البنّاء .. وكان حجم التنظيم قد بلغ مستوى الشعبة حتى عام ١٩٥١ (٧١)، ثم اصبح في مستوى فرع في العام الذي تلاه ، وذلك رغم ورود تعبير القيادة القطرية الذي يعني في الحقيقة قيادة الفرع . هذا

---

٧٠ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

٧١ ـ تقرير للدكتور سعدون حمادي في ٩ـ٢ـ١٩٧٢ .

وقد بدأ توقيع النشرات الحزبية الداخلية باسم «حركة البعث العربي» منذ عام ١٩٥٢ ، في حين كانت البيانات العامة توقع بأسماء واجهية كالشباب القومي العربي او القوميين العرب الاحرار او الطليعة العربية في لبنان ، وباسم هيئات طلابية يقودها الحزب كمؤتمر الطلاب في لبنان ، او مجلس الطلبة ، وذلك حتى نهاية عام ١٩٥٥ ، ثم اصبح التوقيع بعد ذلك صريحا وباسم شباب البعث العربي الاشتراكي .

● وفي ايار من عام ١٩٥٣ ، وبمناسبة زيارة دالس وزير خارجية امريكا لعدد من الاقطار العربية ، يصدر بيانا (٧٢) يهاجم فيه الانظمة الرجعية الاستبدادية في العراق والاردن ، والانظمة الديكتاتورية في مصر وسورية ، ودور الامبريالية في دعمها ، كما يؤكد على «ان مصلحة لبنان واستقلاله مرتبطان باستقلال البلاد العربية ومصلحتها» وان شعار العرب في تلك المرحلة محاربة اية محاولة للصلح مع العدو او الارتباط مع الاستعمار، ومن ثم الاصرار على موقف الحياد بين المعسكرين .

وفي هذا العام يتوجه الحزب ايضا نحو تمتين بنائه الداخلي بالتشديد على الانضباط ومراعاة التسلسل وتوضيح أسلوب النقد والنقد الذاتي ، و«التقيد بالنظام الداخلي» (٧٣) وبإيجاد مسؤولين ثابتين في كل منطقة .

● **وفي تموز عام ١٩٥٤ يدعى اثنان عن كل منطقة لاجتماع** عام واعتبر المجتمعون انفسهم ممثلين للمناطق ، فيحق لهم بذلك

---

٧٢ ـ يحمل هذا البيان نفس العنارين الرئيسية لبيان صدر في القطر السوري في اوائل ايار ١٩٥٣ ، مع بعض التحوير في المضمون تتناسب مع الوضع اللبناني . راجع ، نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص٢١٤ـ٢١٥ .

٧٣ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٢ ، ص ٣٢ .

تكوين قيادة قطرية تقوم بمهامها لمدة سنة واحدة ، على ان تدعو في نهاية هذه المدة الى مؤتمر قطري ينتخب القيادة القطرية حسب النظام الداخلي .. ولكن المؤتمر القطري الاول الذي انبثقت عنه قيادة قطرية منتخبة لم يعقد الا في عام ١٩٥٧ . ثم صدرت عن هذا الاجتماع العام نشرة ادارية تؤكد على ان المرحلة التي يمر بها الحزب في لبنان هي مرحلة تكوين جهاز حزبي متين .. مع تفسير الاسباب التي جعلته أقل وزنا ونشاطا من الحزب في سورية والاردن والعراق (٧٤) .

اما نشاطه على الصعيد السياسي في هذا العام ، فيتلخص في اصداره بيانا في آذار مشيرا الى «ان الشعب بنضاله ونضال الفئة الواعية في صفوفه ، استطاع ان يزيل الديكتاتورية من سورية ، وسيزيلها حتما من مصر ، ومنددا بربط العراق بحلف باكستان وتركيا» (٧٥). كما يوزع بيانا باسم مؤتمر الطلاب في لبنان ، يدعو الطلبة للاضراب ضد الحلف التركي الباكستاني ، وضد اطلاق الرصاص على الطلاب ، ومن اجل الافراج عن المعتقلين ، وفتح الجامعة الاميركية . وبمناسبة ذكرى الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني في ١٥ ايار يصدر بيانا يندد فيه بعزل الاردن عن بقية الاقطار العربية ، وبالمحاولات الرامية للصلح مع «اسرائيل» وباستبعاد توحيد الاردن مع العراق (٧٦) ..

وفي اواخر تموز يصدر بيانا حول الاتفاقية المصرية البريطانية ، ويندد ببنودها المجحفة وبخاصة حق استخدام الانكليز لقواعد مصر الحربية ولمنطقة القناة عندما تتعرض الى الخطر احدى الدول العربية او تركيا .

---

٧٤ ــ المصدر السابق ، ص ٤٠ .

٧٥ ــ المصدر السابق ، ص ٣٤ .

٧٦ ــ المصدر السابق ، ص ٣٩ .

● **وفي عام ١٩٥٥** ، حيث اشتد نشاط الاوساط الرجعية الاستعمارية لجر الدول العربية الى الاحلاف العسكرية ، قام لحزب بنشاط معاكس ، فأصدر عدة بيانات يفضح فيها موقف لجامعة العربية المتخاذل ، ويؤكد ان الاحلاف العسكرية تعني حتلالنا واستغلال مواردنا لصالح الاستعمار وتسخيرها لمطامعه لحربية ، ثم يهاجم «الزيارات الودية» المشبوهة التي قام بها بدنان مندريس وجلال بايار (من تركيا) الى لبنان بغية جره الى حلف بغداد ، واكد على ان الميثاق العربي الجديد هو السبيل لوحيد للقضاء على الصهيونية والاستعمار في هذه المرحلة ، وان وحدة النضال العربي هي الكفيلة بالقضاء على مؤامرات الفئة الحاكمة (٧٧) .

ولكن الحزب ، رغم اهتمامه بالقضايا القومية ، فقد تعرض بالهجوم الشديد على الزعامات السياسية التقليدية ، وعلى بعض رجال الدين المستغلين ، وذلك بمناسبة استغلال تلك الزعامات لذكرى المولد النبوي الشريف في الجنوب . كما حاول ان يقدم للاعضاء بعض الدراسات عن القضية العربية في لبنان وكيفية فهمها مع توضيح الاساليب العملية في اداء الواجب القومي (٧٨) فيشير الى رسوبات الطائفية الدينية والمذهبية ، ومدى استحكامها في النفوس ، والى تحكم الاقطاع والتقائه مع الرأسمالية ويقول «مع ان الطبقة الاقطاعية والرأسمالية المهيمنة على سياسة البلاد واقتصادياتها ، منقسمة الى فئةمعادية للعروبة وفئة منادية بها» الا اننا نلاحظ باستمرار تعاون الفئتين وتساندهما لان الاستغلال يوحد بينهما» ثم يمضي

---

٧٧ ـ المصدر السابق ، ص ٤٤ و٤٥ .

٧٨ ـ النشرة الدورية لتشرين الثاني . المصدر السابق ، ص ٥٤ .

الى القول «**ولا مناص لنا اذن من ان نعطي العروبة ـ الى جانب المستوى الروحي الرفيع الذي يجب ان تتشبع به ـ معنى اشتراكيا شعبيا نظهر به للجمهور من كلتا الفئتين ، ان العروبة تعني ممارسة الشعب لارادته ووصوله الى حقوقه المشروعة ..**
ثم ان الاستعمار مثلا بإذكائه نار الطائفية في لبنان يضمن تحركها في سائر الاقطار العربية .. وبواسطة الابواق التي يستغلها للتأكيد على الاقليمية ، تنشط الدعوات الانكماشية الهزيلة في الاقطار الاخرى» (٧٩) . وبما ان الحزب في لبنان ظل في «طور النشوء والتكوين ولم يستطع بعد أن يوجد له ركائز في اوساط الشعب تسنده في حال قيامه بأعماله النضالية» فقد راح يذكر الاعضاء بأنهم ينتمون الى حركة تاريخية أصيلة تهدف الى بعث الامة العربية ، ويدعوهم للاهتمام بالنوعية لا الكمية ، وبناء جهاز حزبي ثوري انقلابي، ويشدد على التوعية الفكرية وعلى الانضباط والمواظبة فيحضور الاجتماعات وتسديد الاشتراكات، ويشير الى ان الحزبي «بقدر ما يكون مستقيما في سلوكه صلبا في عقيدته مدافعا عنها ، ترتفع منزلة الحزب عند الناس ، ويزيد احترامهم له وتعلقهم به» (٨٠) ، كما وعدت قيادته القطرية باصدار نشرة دورية منظمة ، في مطلع كل شهر وزيارة المناطق المختلفة . ومما يجدر التنويه به ، ان الحزب في لبنان ظل مفتقرا الى وجود الرقابة المركزية في مجال الثقافة الفكرية والنظرية وربما الى وجود القياديين القادرين على شرح افكاره ومبادئه . ويظهر ذلك من خلال النشرة الدورية الصادرة في كانون الاول باسم القيادة القطرية ، وفيها تحليل مرتجل ، وتتعرض لقضايا فكرية وتاريخية دقيقة تحمل طابع الراي

٧٩ ـ المصدر السابق ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .
٨٠ ـ المصدر السابق ، ص ٥١ ـ ٥٨ .

الشخصي ، اكثر مما تعبر عن رأي الحزب ، الامر الذي يوحي بأن كاتبها احد المثقفين الذين لم يستوعبوا فكر الحزب وعقيدته .

● **وفي عام ١٩٥٦** : أصدر في كانون الثاني بيانا لنصرة الحركة الوطنية بالاردن ، في صراعها مع القوى الرجعية ، ومن اجل الاستمرار في السياسة العربية المتحررة .. وطالب الحكومة بانتهاج سياسة قومية سليمة، والتبني الصريح لسياسة اللاأحلاف والسير مع الدول العربية المتحررة (٨١) .

وفي نيسان يطالب بدعم نضال الجزائر ويدعو الحكومة اللبنانية لتبني نضال المغرب ومقاطعة فرنسا ، ويهاجم الانعزالية والاقليمية في ارض لبنان .. وبمناسبة اختطاف بن بلة ورفاقه في تشرين الاول ، يصدر بيانا يؤكد فيه ان قرصنة الاستعمار ووحشيته لن تزيد الثورة الا اشتعالا ، ويطالب الحكومة والنواب بالسعي لتأمين سلامة المعتقلين والافراج عنهم، وتزويد ثورة الجزائر بالمال والسلاح ، وبضرب مصالح فرنسا ، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها .

وفي آب دعا المواطنين الى التظاهر بمناسبة «يوم مصر العربية» مؤكدا ان الاعتداء على مصر اعتداء على العرب اجمعين ومطالبا بقطع البترول العربي عن المستعمرين (٨٢) .

هذا ومن الملاحظ ان الحزب بدأ يتحرك بمناسبة الاول من ايار فيصدر بيانا بعنوان «قضية العمال قضية الشعب بأسره» ويدعو فيه الى وحدة العمال العرب والى وحدة النضال العربي لمحاربة الاستعمار والرجعية ، وتحقيق الوحدة والحرية

---

٨١ ـ المصدر السابق ، ص ٧٠ .

٨٢ ـ المصدر السابق ، ص ٧٣ .

والاشتراكية (٨٣) .

● **وفي عام ١٩٥٧** : وقف في وجه الحكام الذين اعلنوا حالة الطوارىء في لبنان «لقطع الطريق على مقاومة الشعب وللتآمر وارهاب الحركة التحررية» كما انه هاجم مشروع ايزنهاور في بياناته ونشراته ، وشارك في التظاهر ضده ، ولكنه كان يشعر بأن ثمة «ازمة في الحزب بدات على اثر العدوان الاستعماري على مصر» اذ ساد الشعور بأن «توزيع منشورات او القيام باضرابات وتظاهرات في ظروف كهذه لم تعد لها اية قيمة امام الشعب او امام الحزبيين والانصار .. وكانت الاحداث، حين الاعتداء على مصر تتتابع بشكل سريع وقف امامها الحزب عاجزا» (٨٤) .

وفي نشرة ايلول الداخلية **نجد نقدا ذاتيا يعترف فيه الحزب بأنه «لم يستطع حتى ان يثير مشكلة (قبول الحكومة اللبنانية لمبدأ ايزنهاور)** على النطاق الشعبي بشكل حاد وعنيف وان لم يكن حاسما» ويشير الى ان دور البعثيين في الاحداث الدامية والاضراب العام «كان دور المغمورين بدل ان يكون دور الموجهين القائدين» (٨٥) . ويذكر ايضا ضعف دوره وتأثيره في معركة الانتخابات النيابية العامة .. كما انه يشير الى العوامل التي أدت الى ذلك فيراها في ان الاغلبية الساحقة من اعضاء الحزب لا تزال من الطلبةوليست منالعمال والفلاحين والاوساط الشعبية ، فضلا عن ظهور نوع من الانغلاق والانطواء على النفس لدى الحزبيين مما أدى الى ضعف الاقبال على الانتماء للحزب ، وربما كان ذلك ناتجا عن الاعتقاد بأن «على الحزب الا يضم سوى

---

٨٣ ـ المصدر السابق ، ص ٧٢ .

٨٤ ـ النشرة الداخلية ايلول ١٩٥٧ . المصدر السابق ، ص ٧٩ .

٨٥ ـ المصدر السابق ، ص ٨٠ .

الاشخاص الذين اكتملت شخصيتهم العقائدية والنضالية والا فانهم سيعرقلون سير الحزب وتوسعه » (٨٦) .

وفي نهاية هذا العام بدأ يصدر نشرة نصف شهرية باسم «العربي الجديد» توزع على الانصار والاصدقاء وكذلك على نطاق شعبي ، وتشرح ما يجري على الساحة العربية من تآمر الحكام في لبنان والاردن والسعودية ، وتعاونهم مع امريكا في الوقت الذي تتجه سورية ومصر نحو الوحدة بمضمون تحرري .

● **وفي عام ١٩٥٨** : انعقد في بدايته المؤتمر القطري الثاني ، وعكست تقاريره واقع الحزب وكثيرا من القضايا التنظيمية والسياسية . فعلى الصعيد التنظيمي عالج مسألة ايجاد كوادر حزبية مدربة تدرس تاريخ الحزب واتجاهاته الفكرية والديمقراطية ، مع توكيد مبدأ النقد والنقد الذاتي والتشديد على الانضباط وتطهير الجهاز من العناصر الضعيفة والفاسدة ، مع المطالبة بمؤتمر قومي .

والحق ان ما تضمنه تقرير القيادة القطرية للمؤتمر من ملاحظات نقدية جريئة ومن توجيهات لما يجب ان يقوم به الاعضاء لكسب الجماهير ، وتعميق مفاهيم الحزبيين التنظيمية والنضالية ، يدل على نضج سياسي وتنظيمي ملحوظ لدى قيادة الحزب ، اكتسبته من خلال التجربة والممارسة .. ومن الامثلة على الصراحة والجرأة في النقد الذاتي قولها «فنحن منتشرون في المناطق المعروفة بتحسسها بالقضايا العربية كطرابلس ومناطق الجنوب وبين فئات معينة في بيروت .. وانتشارنا المتفاوت هذا يعود بالدرجة الاولى الى افتقارنا لخطة واضحة المعالم ، والى جهد ونضال لتنفيذ هذه الخطة ، كما يعود بالدرجة الثانية الى

---

٨٦ - المصدر السابق ، ص ٨٢ .

انا في اتصالاتنا انما نتوخى السهولة واليسر في العمل ونهرب من الصعاب كلما اعترضتنا . من الان يجب ان نتفادى الكارثة وننقل أفكارنا الى كل الفئات ، ان انتصارنا الحقيقي لا يكون الا بغزو كل هذه المعاقل المنعزلة على نفسها وتحطيم ما أمكننا من الحواجز بيننا وبينهم .. وضرورة الانتشار بين الطوائف غير المسلمة ، اصبحت تحتمها علينا ايضا الظروف السياسية وحتى في المناطق التي نحن موجودون فيها لا يزال انتشارنا فيها ضعيفا ضئيلا لا يتناسب وتاريخ الحزب ونضال الفروع في الاقطار الاخرى .. لقد مرت على الحزب عدة سنوات وهو ثابت جامد لا يزيد الا قليلا.. بل لا نزال مقتصرين على الطلاب والمثقفين»(٨٧). ثم يمضي التقرير الى القول «يجب اعطاء العمال اهمية اكثر واهتماما اكبر ، وتفريغ من ينقطع للعمل العمالي . ثم يحث على الابتعاد عن التقوقع وأن يخلق العضو «صداقات جديدة في الحي الذي يعيش فيه والمدرسة التي يتعلم بها ، وفي عائلته وبين اقربائه ، وأن يحول هذه الصداقات الشخصية الى صداقات حزبية » .

أما على الصعيد السياسي فقد كان هذا العام حافلا بالاحداث الهامة على الساحتين اللبنانية والعربية . وكان اهمها قيام الوحدة بين سورية ومصر وما نتج عنه من حل الحزب في دولة الوحدة ، ثم الانتفاضة الشعبية المسلحة ضد تجديد الانتخاب لكميل شمعون لرئاسة الجمهورية في لبنان ، واقدام الحزب على ممارسة الكفاح المسلح . ورغم ان هذين الحدثين استغرقا معظم جهود الحزب ونشاطه ، فقد ابدى بعض الاهتمام بقضايا العمال وبخاصة بمناسبة الاول من ايار ، وكذلك بثورة الجزائر بمناسبة اليوم المخصص لدعمها . اما بالنسبة لقيام

---

٨٧ ـ المصدر السابق ، ص ٩٢ .

الجمهورية العربية المتحدة وتقدير اهميتها والتفاؤل الكبير بدورها في تفجير طاقات الجماهير ، فكان **موقف الحزب في لبنان متجاوبا الى أبعد الحدود مع مواقف قيادة الحزب في القطر السوري وتقديراتها ، فاندفع** لتأييدها بجميع الوسائل المتاحة له «بالعرائض الموقعة والمهرجانات الخطابية واحتفالات الفرح واقامة معالم الزينة ، واجراء الاتصالات الواسعة مع جميع الفئات الشعبية لتوضيح المعاني التقدمية لقيام الجمهورية العربية المتحدة ، والربط بين سلامة لبنان ومصلحته ، وبين سلامتها ومصلحتها» (٨٨) .

كما اشار في نشرة اذار الداخلية الى ضرورة الاهتمام ببناء الحزب وتنشيطه في الاقطار العربية الاخرى ليتابع تحقيق اهدافه ويسهم في دعم دولة الوحدة «وليدفع بهذه الاقطار الى الالتحاق بهذه النواة الوحدوية الطيبة» . ولعل ما ورد في النشرة الداخلية لشهري كانون الثاني وشباط من تبريرات حول حل الحزب في دولة الوحدة ، يعكس ايضا موقف قيادة الحزب في سورية والانسجام التام معها في هذه المسألة . وفي اذار فضح الحزب دور الملك سعود في التآمر على الحركة العربية التحررية في عدة اقطار عربية ، مشيرا الى دعمه بالمال والجيش لانقلاب الملك حسين على الحركة الوطنية بالاردن ، والى ارتباطه بمؤامرة مرتضى المراغي ومحمد صلاح الدين وبقية المتآمرين في مصر ، وضغطه على معارضي سياسة شمعون الخارجية والعربية في لبنان، ثم انكشاف دوره في تمويل مؤامرة اغتيال عبد الناصر باغراء مسؤول المخابرات (عبد الحميد السراج) بالمال في سورية. ومضى الحزب الى القول «لقد كان بقاء سعود رسميا في صف

---

٨٨ ـ المصدر السابق ، ص ٩٩ .

الجهة المتحررة ، مثارا للبلبلة .. **فالشعب لم يكن قادرا على فهم هذا التحالف بين التقدمية التي كان يمثلها رجال الثورة في مصر والحكومة الشعبية في سورية وبين اعلى درجات الرجعية التي يرمز اليها حكم سعود)** (٨٩) .

اما بالنسبة للانتفاضة المسلحة ضد التجديد لانتخاب شمعون مرة ثانية ، وضد الانزال الامريكي في لبنان ، فقد اصدر الحزب بيانات عديدة في تلك المرحلة ، بدأها بمناسبة مأتم الصحفي نسيب المتني الذي كان اغتياله بداية لتطور الاحداث في ايار .. كما اقام اذاعة شعبية تبث الاناشيد والتوجيهات لعدة ساعات يوميا ، واصدار نشرة اسبوعية للمقاومة الشعبية في بيروت ، وأسهم اعضاؤه بالقتال المسلح الذي امتد اكثر من ثلاثة اشهر ونصف، وقدموا فيها بعض الشهداء (٩٠) وبرز دوره العسكري كقوة مسلحة ضاربة في طرابلس وبعلبك ، وفي المرحلة الاخيرة في صور (٩١) .

وبعد قيام ثورة ١٤ تموز في العراق اصدر بيانا ومما جاء فيه : «لقد قضت ثورة العراق على خرافة المعسكرين العربيين، فلم يعد بعد ١٤ تموز في أمة العرب سوى معسكر واحد ـ معسكر التحرر ـ بعد ان أصيب معسكر العملاء بضربة

---

٨٩ ـ «العربي الجديد» ٢٥-٣-١٩٥٨ . المصدر السابق ، ص ١١٠ .

٩٠ ـ الرفاق سعيد الحاج في بيروت وجلال نشوئي في طرابلس ومحمد قاسم في صور .

٩١ ـ نشرة تخليد ذكرى تأسيس الحزب في نيسان ١٩٥٩ . وللاطلاع على مشاركة الحزب في المناطق المختلفة ودور القوى والاحزاب الاخرى ونتائج هذه الانتفاضة وانعكاساتها على الحزب والدروس التي يمكن الافادة منها راجع نضال البعث ، الجزء الثامن ، ص ١٣٩ ـ ١٥٧ . حيث ورد ذلك في تقارير المؤتمر القطري العادي الثالث الذي انعقد في اواخر عام ١٩٥٨ .

قاضمة .. وكان لبنان والاردن القاعدتين الممكنتين لعملية استعراض عضلات الاستعمار وتهديد احرار العراق وقادة الجمهورية العربية المتحدة ، فأنزلت زعيمة «العالم الحر» جيوشها في ارضنا وأنزلت قوات الامبراطورية العجوز في الاردن» (٩٢) ، ثم مضى الى المطالبة بجلاء الجيوش الاجنبية وعدم اجراء انتخابات رئاسة الجمهورية في ظل الاحتلال ، وبحكم انتقالي يطهر اجهزة الدولة من العملاء وصغار النفوس والمخربين .. وبعد انتخاب رئيس جديد وتشكيل حكومة جديدة اصدر بيانا وضح فيه موقفه منها ، وأكد على الغاء الطائفية في الادارة تمهيدا لالغائها في جميع المرافق السياسية وعلى تأمين الحريات الديمقراطية وبخاصة حرية الصحافة والاحزاب وتأمين العمل والتعليم والضمان الصحي للمواطنين والتعويض على المتضررين» (٩٣) . هذا ونستطيع القول بصورة عامة ، **ان نتائج تلك الانتفاضة الشعبية المسلحة لم تكن محققة لاهداف الحركة الوطنية . ولعل شعار «لا غالب ولا مغلوب» الذي وصفت به ، يعبر بوضوح عن نتائجها** ، وهذا يرجع لجملة اسباب وعوامل اهمها : ان قادتها ليسوا ثوريين ولأن دور الحزب فيها كان ثانويا وليس قائدا ، ولأن القوى الامبريالية ومعها الرجعية اللبنانية والعربية ، ما زالت تملك وسائل قوية مضادة للقوى التقدمية .. فضلا عن ان المسؤولين في دولة الوحدة ركزوا على دعم القوى والزعامات التقليدية بل الطائفية العشائرية منها بخاصة ، وتعمدوا اهمال الحزب والفئات الثورية اللبنانية . هذا بالاضافة الى ان الانتفاضة حدثت والحزب لا يزال في

---

٩٢ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٢ ، ص ١٢٧ .

٩٣ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

تكوينه وحجمه وتنظيمه ضعيفا ، ولا يستند الى قاعدة شعبية عريضة ، اذ لو كان قويا لأحتل مركزا شعبيا مؤثرا وفعالا في سياسة لبنان .. على انه لا بد من التنويه **بانه اكتسب خبرة قتالية في هذه الاحداث وتعاظمت ثقته بنفسه ونمت شعبيته وازداد اقبال الجماهير عليه .. ولكنه لم يستطع استثمار هذه الاجواء الجديدة وتوظيفها بما يخدم اهدافه في النمو والتوسع** بالشكل المطلوب .

ـ ٤ ـ

انتشار الحزب في الاقطار العربية الاخرى وفي الخارج

تعتبر مرحلة الخمسينات بالنسبة للاقطار الاخرى التي لم نأت على ذكرها ، اشبه ما تكون بالمرحلة التأسيسية، في حين كان نموه في معظمها بمرحلة الستينات .. ولهذا فاننا سنذكر في هذه الفترة نشوء الحزب ونشاطه حتى نهاية عام ١٩٥٨ ، وندع ما يتعلق بالمرحلة اللاحقة ، الى الكتاب الثالث من تاريخ الحزب .

١ ـ ففي مصر (٩٤)

كان بعض الطلبة العرب في الجامعات المصرية وبخاصة من

---

٩٤ ـ اعتمدنا في هذه الفقرة على لقاء مع الدكتور علي المختار في ٢٤ـ١١ـ١٩٧٦ وكان من اقدم البعثيين المصريين ، وكذلك على لقاء مع بعض الرفاق الذين درسوا في مصر بمرحلة الخمسينات كالرفيق علي غنام والدكتور عبد الرحمن منيف .

القطرين الاردني والسوري منتمين الى الحزب ، فراحوا ينقلون الى زملائهم شيئا من افكاره ونشراته .. وفي عام ١٩٥٣ بدأ بعض رفاقهم المصريين بالانتساب اليه ومعظمهم من الكليات العلمية كالطب والهندسة .. واستمر التنظيم لعدة سنوات يمارس نشاطه في الوسط الطلابي مع بقاء اكثريته من خارج القطر المصري .

وفي عام ١٩٥٦ كان التقارب في هذا القطر مع مواقف الحزب ، فيما يتصل بالسياسة العربية والدولية ، يسير باتجاه التوسع والازدياد ، مما اتاح لبعض الحزبيين القياديين مجالا أرحب لتبادل الزيارات ولاقامة حوار وصلات مع عدد من الكتاب والسياسيين المصريين ، كما اتاح للقادرين منهم على الكتابة فرصة التعبير عنوجهة نظرهم، في القضايا القومية والسياسية السائدة ، وذلك بنشر المقالات في بعض الصحف والمجلات المصرية .

وبمناسبة تأميم القناة ووقوع العدوان الثلاثي على مصر ، نشط الطلبة العرب وفي مقدمتهم البعثيون ، في تحريك تظاهرات التأييد لحكومة الثورة ، بل حمل بعضهم السلاح وقاتل مع رفاقه المصريين ، فكان لهذه الاجواء اثر كبير في زيادة الانفتاح على الحزب والاقبال على الانتساب اليه . وقد نما التنظيم بشكل ملحوظ في ذلك العام ، وارتفع الى مستوى شعبة كبيرة ؛ ضمت حوالي مئتي عضو وتكونت من ست **فرق ،** ثلاث منها في القاهرة .. **وقبيل قيام الوحدة تضاعف عدد الاعضاء وأصبح التنظيم في مستوى فرع ، وانتمى اليه بعض الفتيات وعدد غير قليل من الموظفين والعمال** وخاصة في امبابة ومدينة العمال على طريق حلوان ، واصبح تنظيم البعثيين المصريين مستقلا عن الطلبة العرب ونمت حلقات الانصار بسرعة، وكان لبعض الاعضاء اتصال فردي تجنبا لانكشافهم كموظفين ،

حيث كانت السلطة تقوم باستدعاء ومضايقة كل من تعتقد بانتمائه الى احزاب سياسية ومنها حزب البعث ..

وفي عام ١٩٥٨ : اصبح للبعثيين سيطرة ملحوظة في الجامعات المصرية ، فاقت ما كان للقوميين العرب والشيوعيين، وقد اعترف هؤلاء بذلك في نشرة اصدروها الى جهازهم الحزبي ، بعد تظاهرة تأييد لوحدة سورية ومصر ، ومما ورد فيها قولهم : لوحظ ان البعثيين مسيطرون على الشارع ويجب ابعاد هذه السيطرة . وبمناسبة حديث اراد الرئيس عبد الناصر القاءه في جامعة القاهرة ، اتصل احد المسؤولين في السلطة بمسؤول المنظمة الحزبية ورجاه ان يضع البعثيون كل قواهم لمنع الفئات الاخرى من تعكير اللقاء ، فاستجابوا الى الطلب وتحقق ما ارادوه .. ولكن هذا لم يكن دليلا على انسجام التنظيم الحزبي في مصر مع حكومة الثورة ، بل كان متحفظا تجاهها بسبب من ممارستها الضغوط على الحريات السياسية ، وكان ينقل الى قيادة الحزب مبرراته في هذا التحفظ ، ويطالب بضرورة الانتباه الى طبيعة النظام الفردي القائم في مصر ، وأخذ مواقفه العملية من الديمقراطية بعين الاعتبار عند الاقدام على اية خطوة اتحادية معه .. وعندما اعلن عن حل التنظيم في دولة الوحدة عقد مؤتمر الفرع اجتماعا بالقاهرة ، **وكانت الاكثرية ضد هذا الحل وكلف من يتصل بقيادة الحزب بدمشق لمناقشتها ، فيما اتخذته ، مع توضيح وجهة نظر الفرع** حول المحاذير والسلبيات التي ستعترض مسيرة الوحدة ، من خلال الممارسات الفردية والمعادية للديمقراطية التي يمارسها النظام المصري .. على ان الذين اتصلوا بقيادة الحزب في دمشق ، لم يظفروا بتغيير ما كان مختمرا لديها وراسخا في قناعتها ، فأخذت الامور مجراها الذي سارت فيه وانتهت الى ما هو معروف ، وقد سبق ان اشرنا اليها في الفصل الثاني .. على

انه لا بد من التنويه هنا بأن حل الحزب في دولة الوحدة ، وما اعقبه بعد فترة وجيزة ، من تقييد نشاط البعثيين ومن ثم التشديد عليهم وملاحقتهم ، قد ادت الى تقليص نشاطهم وانكماش التنظيم ولاسيما بين المصريين . ولكنه ظل مع ذلك قويا في الجامعات حتى عام ١٩٦٣ ، حيث سيطر البعثيون على الروابط الطلابية الجامعية من دون ان يراعوا ردود فعل السلطة ، مما دفعها الى ترحيل عدد منهم الى خارج مصر ، واثار ذلك في حينه ضجة على الصعيدين العربي والدولي .

ومما يذكر في مجال الحديث عن دور المنظمة الحزبية في مصر ، انها كانت ناشطة في مرحلة الخمسينات بالاتصال مع الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في الجامعات المصرية ، واستطاعت ان تكسب الى التنظيم عددا من مختلف الاقطار العربية ، وأصبح لبعضهم شأن ملحوظ ومؤثر في بناء نوى حزبية في تلك الاقطار وبخاصة في اليمن وليبيا والسودان .

٢ ـ في اليمن :

في الخمسينات كان الوعي السياسي والاجتماعي والنقابي ملحوظا في اليمن الجنوبية ، وبخاصة في عدن ، حيث وجدت منظمات سياسية وشعبية نقابية ومهنية ، ساعد على نموها وتقويتها ، وجود الاستعمار البريطاني المباشر ، وما رافقه من استفزاز للمشاعر الوطنية والقومية ، ومن ابرزها المؤتمر العمالي الذي توحدت فيه الحركة العمالية . وأسهم بعض الحزبيين يومذاك في تأسيسه عام ١٩٥٦ (٩٥) وكانت له صحيفة

---

٩٥ ـ محمد سعيد مسواط ، علي حسن القاضي ، محسن العيني واحمد حيدر : من تقرير للرفيق قاسم سلام .

باسم «العمال» وهناك الجبهة الوطنية وصحيفتها حملت اسم «البعث» ثم حزب الشعب الاشتراكي . وكان الحزبيون يكتبون في هذه الصحف ويؤثرون على كثيرين من المنتسبين لهذه المنظمات ، حتى ان رابطة ابناء الجنوب العربي ذات الاتجاه اليميني ، كانت تأخذ بعض شعارات الحزب وتدعي تبنيها ، فأساءت بذلك لنشأة الحزب وظهوره في الجنوب .. اما بالنسبة الى اليمن الشمالية ، فقد كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية شديدة التخلف ، وكانت الاوضاع العشائرية طاغية ، لعوامل تاريخية معقدة ، يأتي في مقدمتها عقلية حكامه القبلية والفردية المتحجرة ، وعزلهم لليمن عن المؤثرات العربية والعالمية لعشرات السنين . ومن هنا نلاحظ الاسباب التي أدت الى تأخر ظهور المنظمات السياسية والنقابية والشعبية في الشمال قياسا الى الجنوب ، كما تفسر العوامل التي أدت الى انتشار حزب البعث هنا منذ منتصف الخمسينات بينما بدأ انتشاره في الشمال في عام ١٩٥٨ .. وجرى ذلك كله عن طريق الطلبة الذين كانوا يدرسون في الخارج وبخاصة في القاهرة ودمشق وبغداد . كما ان بعض العمال اليمانيين الذين كانوا يشتغلون في انكلترا قد انتموا الى الحزب عن طريق المنظمة الحزبية في عام ١٩٥٧ وأصبح لهم نوع من الاتصال بالمؤتمر العمالي في عدن (٩٦) .

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان النضال النقابي كان مرتبطا مع النضال السياسي ، وان نشاط الحزب كان متداخلا مع نشاط المنظمات النقابية والمهنية ، وظل البعثيون مسيطرين على نقابة المعلمين الى ان تحقق الاستقلال .. واستطاعت المنظمات الشعبية المذكورة ان تصل بنضالها الى تخفيض ساعات العمل

---

٩٦ ـ من تقرير السيد عزيز المشهداني بتاريخ ٦-٢-١٩٧٢ .

والى المعاش التقاعدي ، والاجازة المرضية والعلاج المجاني للعمال وحرية الانتماء للنقابات المهنية، واصدار صحف وطنية.. كما كان للحزب دور ملموس في ترسيخ بعض الشعارات كوحدة اليمن الطبيعية ، وفي فضح مشروع الاتحاد الفدرالي المزيف وضم عدن اليه ، ودعم الانتفاضات الشعبية ضد حكم السلاطين المتعاونين مع الانكليز . غير ان الحزب باشر عمله في الكفاح المسلح ـ طلائع حرب التحرير ـ متأخرا بعض الوقت عن الجبهة القومية .. حتى اذا ما تم جلاء الانكليز استطاعت هذه ان تفرض سيطرتها بالقوة على المنظمات والنقابات ، وراحت تستخدم الارهاب والعنف في مقاومة البعثيين والحد من نشاطهم .. وقد نستطيع القول ، ان بروز الجبهة القومية في الجنوب قبل أن ينمو الحزب ويرسخ أقدامه فيه ، فوّت عليه فرصة الغلبة والسيطرة في هذا القطر ، وذلك مثلما كان ظهور عبد الناصر (وخاصة بعد مواقفه الجريئة التي استقطبت الجماهير العربية) وقبل ان يستكمل الحزب نموه في مصر ، من العوامل الاساسية التي فوتت على الحزب فرصة السيطرة وتثبيت اقدامه ، ليس في اكبر قطر عربي حسب ، بل وفي عدة أقطار عربية . واذا ما أتيح لنا اصدار الجزء الثالث المتعلق بمرحلة الستينات ، لأمكن أن نبين دور الرئيس عبد الناصر في مقاومة حزب البعث العربي الاشتراكي في مصر واليمن والسودان وليبيا ، مع محاولة تشويه سيرته ومسيرته بين الجماهير في أقطار المغرب العربي ايضا ، مما شكل ، مع نكسات الحزب وانشقاقاته الداخلية عقبات كأداء في طريق نموه وتوسعه في تلك الاقطار[1].

٣ ـ في الجزيرة والخليج :

في منتصف الخمسينات قام بعض البعثيين من السوريين

---

١ - لقد تحدثنا في هذه القضايا بالتفصيل في كتاب الثالث (هو تحت الطبع)

والفلسطينيين العاملين في شركة الارامكو بالاتصال مع عدد من الطلبة في المدرسة الصناعية بالمنطقة الشرقية من السعودية ، فارتبط بعضهم بالحزب . وبما ان الحكام السعوديين كانوا في تلك الفترة مع سياسة الحياد وعدم الانحياز ، ويظهرون التقارب والتنسيق مع سورية ومصر ، فقد كانت أحداث تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي ، مناسبة لتحرك الفئات الوطنية والقومية من اجل التعبير عن دعمها لحركة التحرر العربي ، بجمع التبرعات للجيش العربي الموحد بين سورية ومصر والاردن ، **كما ارسلت برقية ضد تجديد اتفاقية الظهران مع امريكا موقعة من حوالي ثلاثة آلاف شخص، فما كان من السلطة الا اعتقال حوالي ستين منهم ، اعتبروا محرضين وباتجاه البعث ، مع ان عدد الذين كانوا متأثرين بمبادىء الحزب ويتطلعون الى الانتساب اليه لا يزيدون عن العشرة** . وكان الرفيق علي غنام احد المعتقلين في حزيران ١٩٥٦ وأقسم في السجن مع هؤلاء يمين الاخلاص للوحدة والحرية والاشتراكية ، من دون ان يعرفوا نص قسم الحزب .. وتم الاتفاق بينهم على العمل باسم «أحرار الجزيرة العربية» . وعند خروجهم في العام التالي حققوا الارتباط بالحزب وتبين لهم وجود بضعة اعضاء في الرياض والمنطقة الشرقية [97] . واستمر الحزب في التوسع والنمو حتى بلغ في الستينات مستوى شعبة تضم ما يقرب من ستين عضوا ، وكان عدد غير قليل قد ارتبط بالحزب من خلال دراسته في القاهرة وبغداد وغيرهما . على ان تزايد

---

٩٧ ـ وربما كان اقدم البعثيين السعوديين صالح الرشيد الذي انتمى الى الحزب يوم كان طالبا في العراق عام ١٩٥٣ ، وهنالك الدكتور عبد الرحمن منيف الذي اصبح عضوا في القيادة القومية عام ١٩٦٠ .

الارهاب والاضطهاد من اجهزة السلطة وحدوث الانتكاسات والانشقاقات في داخل الحزب كان لها تأثير كبير في تقليص نشاطهم بل وتجميده فترة طويلة .

اما بالنسبة لمنطقة الخليج العربي ، فقد انتشر الحزب عن طريق العرب الوافدين اليه كموظفين او عمال ، ولاسيما من ابناء فلسطين وسورية والاردن،ولهذا ظل هؤلاء يشكلون الاكثرية في المنظمات الحزبية التي نشأت في الكويت والبحرين وقطر في النصف الثاني من الخمسينات .

وبلغ مستوى التنظيم في الكويت في نهاية المرحلة مستوى الفرع في عام ١٩٥٩ (٩٨) .

وكانت هذه المنظمات تقدم دعما ماديا كبيرا للقيادة القومية.. وبصورة عامة كان البعثيون في منطقة الخليج في مقدمة الفئات الوطنية اهتماما بالقضايا القومية ، واستجابة للاحداث الهامة التي جرت في الوطن العربي .

٤ ـ في اقطار المغرب العربي :

في النصف الثاني من الخمسينات تكونت بعض الخلايا الحزبية في اقطار المغرب العربي عن طريق الطلبة الذين كانوا يدرسون في الخارج ، وبخاصة في القاهرة ودمشق وبغداد (٩٩) . ففي ليبيا لم يكن نشاط الحزب على الصعيدين

---

٩٨ ـ نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ٧٠ .

٩٩ ـ أقدمهم في تونس ابو القاسم كرو الذي برز نشاطه ببغداد في بداية الخمسينات وبعد عودته الى تونس ١٩٥٤ راح يبشر بمبادىء الحزب بين الطلبة في جامعةالزيتونة ثم محمد الشابي منذ عام١٩٥٦ وهناك عبد الكريم =

الطلابي والشعبي ، ملحوظا الا في مرحلة الستينات ، وكان قد استطاع استقطاب عدد جيد من المثقفين وبعض العمال وجرى النشاط بأسماء واجهية مثل الشباب العربي او الشباب العربي التقدمي في ليبيا . غير ان التنظيم هناك كشف عام ١٩٦١ بمساعدة وتحريض من اجهزة الامن في مصر ، وجرت اعتقالات واسعة ومحاكمات للاعضاء بتهمة الاعداد لقلب نظام الحكم .

اما بالنسبة الى الجزائر فقد انضم بعض الطلبة الى الحزب بالرغم من ان القيادة كانت تتبنى ثورة الجزائر بحماسة شديدة، ولم تكن لتعني بالكسب الحزبي في صفوفها استبعادا لاية حساسية قد تنجم من خلال ذلك ، فضلا عن اعتقادها بأن نجاح الثورة الجزائرية سيخلق ارضا خصبة وطبيعية لانتشار الحزب، او انها ستلتقي معه بصورة طبيعية .

وفي المغرب تكونت بعض الخلايا الحزبية في منتصف الخمسينات ونمت بسرعة في الستينات ، ولكنه تعثر بعد انكشافه ، ولم يستطع الاستمرار في النمو بالشكل المطلوب .. وكان عدد منهم قد تعرف على مبادىء الحزب من خلال دراسته في الاقطار العربية والاوربية .

٥ ـ في السودان :

انتشر الحزب عن طريق الطلبة الذين درسوا في الخارج

= المراق تخرج من دمشق عام ١٩٥٦ .. اما بالنسبة الى ليبيا فأقدم المنتسبين من الطلبة الذين درسوا بالقاهرة في النصف الثاني من الخمسينات وكان منهم عامر الدغيس وعبد الله شرف الدين .

وتكونت الخلايا الاولى في جامعة القاهرة بالخرطوم في اواخر المرحلة التي نعنى بتدوينها (١٠٠) واصدر البعثيون بالجامعة مجلة اسبوعية حائطية باسم الزحف المقدس ، وما لبثوا ان توسعوا في المدارس الثانوية .

والواقع ان نمو الحزب ونشاطه الشعبي بأسماء واجهية كالاشتراكيين العرب او الطليعة التقدمية العربية ، ومشاركته الجدية في التظاهرات ، واعتراف القوى الاخرى بتأثيره ، واهتمامها باشراكه عند سعيها لعمل جبهوي ، ثم شعور عبد الناصر – على اثر زيارته للسودان – بوجود البعث وخطره، ومن ثم العمل على مقاومته ، ان هذه كلها بدأت تأخذ مداها في مرحلة الستينات .

ومن الجدير بالذكر ان القيادة الحزبية اقدمت على تجربة جديدة في انشاء الحزب واجتياز العقبات التي واجهته ، وكانت ناجحة وبارعة فيها ، وتتلخص هذه التجربة باتباع ثلاث مراحل: التزمت في الاولى بالخط التقدمي العربي العام من دون التعرض للقوى العربية الاساسية كالبعث والناصرية والاكتفاء بمهاجمة اجهزة عبد الناصر وتحميلها مسؤولية الاخطاء .. وفي المرحلة الثانية نشطت في تعميم اهداف الحزب على قواعد الاشتراكيين العرب واستقطاب الكوادر المتقدمة منهم ، اما المرحلة الثالثة فقد تم فيها تبعيث المنظمة وجعل الاشتراكيين العرب مجرد لافتة ، الى ان اصبح النشاط صراحة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي في منتصف السبعينات .

---

١٠٠ – من اقدم الحزبيين حسين احمد عبد الهادي الذي انتمى للحزب عام ١٩٥٦ يوم كان طالبا في كلية الطب ببغداد .

٦ ــ في خارج الوطن العربي :

في الاقطار الاجنبية حيث يلتقي عدد من الطلبة البعثيين من اجل الدراسة كانت تشكل منهم منظمة حزبية لهدفين اساسيين: الاول ، ابقاء صلتهم بالحزب عن طريق النشرات والتوجيهات التي ترسل اليهم من القيادة القومية ، والثاني القيام بنشر مبادىء الحزب وأهدافه بين الطلبة والعمال العرب وكسب ما يمكنهم كسبه منهم . ولكن تجدر الاشارة هنا الى طبيعة هذه المنظمات الحزبية : فهي بحكم الفترات المؤقتة التي يعيشها الاعضاء ــ فترة الدراسة لسنوات معدودة ــ ولأن مجال نشاطهم محكوم بظروف خاصة معينة ، فاننا نعتبرها منظمات غير ثابتة ولا مستقرة ، رغم ان بعضها قد ادى دورا ايجابيا وفعالا من حيث كسبه اشخاصا لهم وزن وتأثير كبيرين في اقطارهم بعد تخرجهم واستمرار التزامهم بمبادىء الحزب ، كما اضطلع بعض هذه المنظمات بدور دعائي ومؤثر في الخارج لخدمة القضايا العربية وبخاصة ما يتعلق بقضية فلسطين ومواجهة الدعاية الصهيونية، وكان ابرزها في مرحلة الخمسينات منظمات بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية والنمسا وسويسرا وأمريكا وسيراليون . ونكتفي هنا بالحديث عن واحدة منها على سبيل المثال ، **ولتكن منظمة الحزب في بريطانيا** .

لقد نشأت في بداية هذه المرحلة ، وكان نشاطها ينمو ويتقلص تبعا لعدد الحزبيين الموجودين للدراسة والنشطين من جهة ، وتبعا للاحداث المهمة التي كانت تجري في الساحة العربية ، وتثير اهتمام الرأي العام الغربي من جهة ثانية ، ولاسيما ما يتعلق بقضية فلسطين وتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر ، وقضية الاحلاف العسكرية . ولهذا فان المنظمة نشطت في هذه المناسبات فاحتل اعضاؤها مع الآخرين المتجاوبين معهم مقر السفارة العراقية في عام ١٩٥٦ ،

وأجبروا القائم بالاعمال على ارسال برقية الى حكومة نوري السعيد احتجاجا على تواطئها .. ووزعوا بعض النشرات .. وفي احتفال أقامته جمعية الطلبة العراقيين بلندن في تموز ١٩٥٨ ، وكذلك في الاحتفالات التي اقامها النادي المصري ، ظهرت هيمنة البعثيين بحكم سيطرتهم على رابطة الطلبة العرب. هذا وقد نشطوا بتشكيل بعض الروابط العمالية للعمال العرب وبخاصة من اليمانيين المقيمين في بريطانيا ، وكذلك بتأسيس منظمة عربية طلابية واحدة تمثل الطلبة العرب في اوربا .. وفي نهاية المرحلة التي نحن بصددها ، بلغ مستوى المنظمة شعبة ، وصل عدد اعضائها حوالي خمسين عضوا بينما بلغ عدد الانصار ما يقرب من ثلاثمائة ، وكان العضو يأتي من مسافة تبعد مئات الكيلومترات احيانا ليحضر اجتماعا يدعى اليه او ليشارك في مسيرة مقررة ، وتمكن الاعضاء من اصدار مجلة بالعربية وأخرى بالانكليزية، واسهموا بتعليم اللغة العربية لعدد من العمال العرب (١٠١).

● في نهاية هذا الفصل المتعلق بنمو الحزب ، تجدر الاشارة الى **الاسباب والعوامل التي جعلت نموه في مصر واقطار المغرب والجزيرة أضعف منه في اقطار المشرق العربي ولعلنا نستطيع انجازها فيما يلي:**

١ـ ان الوعي القومي العربي في أقطار المشرق، كان لظروف تاريخية وسياسية ، اقوى وأوضح مما كان عليه في مصر وأقطار المغرب العربي .

٢ ـ قبل منتصف الخمسينات كانت وسائل الحزب وامكاناته المادية والدعائية محدودة ، ولا تمكنه من ارسال الوفود وتأمين النشرات الحزبية الى تلك الاقطار البعيدة عن مركز

---

١٠١ ـ من تقرير لعزيز المشهداني في ٦ـ٢ـ١٩٧٢ .

القيادة .

٣ ـ عندما بدأ عبد الناصر في النصف الثاني من الخمسينات بتحقيق منجزات كبيرة ، كتأميم القناة والاستجابة لشعار الحياد ولهدف الوحدة بين مصر وسورية ، وعندما اصبحت شعبيته في الذروة على اثر قيام الوحدة ، راح يهاجم بعنف الحزب والحياة الحزبية ، فشكل بذلك عقبة كبيرة في طريق التوسع الحزبي ليس في مصر وحدها ، بل وفي معظم الاقطار العربية . بالاضافة الى ما حصل من استرخاء في النشاط والكسب الحزبي بعد حل الحزب في دولة الوحدة .

٤ ـ ان اعتماد الحزب على مسألة التوسع والنمو على الطلبة في الدرجة الاولى من جهة ، ثم الطبيعة الرجعية والبوليسية، المعادية بشدة لأي نشاط حزبي في بعض الاقطار العربية (كالسعودية ودول الخليج) من جهة ثانية ، قد حال دون التوسع المنشود ، وبالشكل الذي جرى في الاقطار التي عرفت فيها الحياة البرلمانية والاحزاب السياسية (كالعراق وسورية والاردن) .

٥ ـ النكسات والازمات الداخلية التي اعترضت مسيرة الحزب التنظيمية والسياسية في تلك المرحلة قد اسهمت في إضعاف قدرة الحزب على النمو والتوسع ولاسيما في تلك الاقطار العربية البعيدة عن مركز النشاط والقيادة ..

الفصل السادس

الجانب التنظيمي

سنذكر في هذا الفصل لمحة سريعة عن المؤتمرات القطرية والقومية باعتبارها احدى الصيغ التنظيمية التي يعالج فيها الحزب ، مختلف القضايا المؤدية لتنشيطه وتقويته ، وتعديل ما يراه مناسبا فيِنظامه الداخلي وأسلوب عمله، وفي استراتيجيته وخططه السياسية التي تنعكس على تنظيماته المختلفة . ثم لمحة عن الاسس والمنطلقات الفكرية المتصلة بالتنظيم ، كمعنى الحزب والمركزية الديمقراطية ، والانقلابية والتسلسل الحزبي والانضباط والنقد والنقد الذاتي .. بالاضافة الى ابحاثه المتصلة ببعض الظواهر السلبية كالانتهازية والفردية والقطرية وضرورة تعزيز سلطة القيادة القومية . وبعد ذلك ننتقل الى اعطاء فكرة

عامة عن النظام الداخلي وبخاصة ما يرتبط بمشاريعه وتعديلاته وهيكله العام وبعض المفاهيم التنظيمية ، وأخيرا لا بد من الحديث عن مسألتين بارزتين في تاريخ الحزب ، كان لهما بعض الآثار والنتائج بعيدة المدى في مساره النضالي والتنظيمي، وهما مسألة الدمج التي جرت بين حزبي البعث العربي والعربي الاشتراكي في القطر السوري بتاريخ ١٣ تشرين الثاني عام١٩٥٢ ثم مسألة حل الحزب فيدولة الوحدةعند قيامها في عام١٩٥٨ .

- ١ -

لمحة عن المؤتمرات القطرية والقومية :

المؤتمرات القطرية والقومية بما يسبقها من انتخابات في قواعد الحزب ، وما يرافق انعقادها من مناقشات حرة ، تعتبر من وسائل الحزب الاساسية التي يعتمدها لممارسة الحياة الديمقراطية ، حيث يراجع فيها مواقفه بروح النقد والتحليل ، ويناقش الاعضاء مختلف القضايا التنظيمية والحزبيةوالسياسية من اجل التصحيح لأخطاء المسيرة السابقة للمؤتمر من جهة ، ولوضع الخطط اللازمة للمرحلة اللاحقة من جهة ثانية ، كما انها قد تنعقد لمعالجة أمور حزبية داخلية او سياسية مهمة ومستجدة . على انه لا بد من التنويه هنا بالملاحظات التالية :

١ ـ ان المؤتمرات القطرية لا تحصر ابحاثها ومناقشاتها في حدود القطر الذي تنعقد فيه ، وان كان من مهامها أن تركز على ذلك وتتوسع به ، ولكنها تعالج مشكلات القطر وقضاياه بشيء من التفصيل في ضوء المصلحة القومية ووفق منظور قومي ، ويمكنها ان تبدي رأيها وتعلن موقفها من القضايا القومية المستجدة بما لا يتعارض مع مبادىء الحزب ومقررات مؤتمراته القومية الملزمة لها . هذا وكثيرا ما ضمت المؤتمرات اعضاء من

خارج القطر بحكم وجودهم فيه ، فهي اذن لا تعدو ان تكون صيغة تنظيمية اقتضتها الرغبة بتسهيل عمل الحزب وفرضها الظروف السياسية القائمة في الوطن العربي .

٢ ــ ان المؤتمرات الحزبية التي انعقدت في القطر السوري في النصف الاول من الخمسينات كانت تعرف باسم مجالس الحزب ، من دون ان تأخذ صفة القطرية او القومية ، وفي الاولى منها كان يحضر ممثلون من اقطار اخرى كالاردن ولبنان، وتعالج القضايا القطرية والقومية في آن واحد . أما بالنسبة الى العراق فقد وردت في نضال البعث اشارة الى انعقاد المجلس القطري الرابع في تشرين من عام ١٩٥٧ في حين انه لم يعقد من المؤتمرات القطرية في مرحلة الخمسينات كلها سوى الاول والثاني ، مما يدل على ان المقصود بالمؤتمرات القطرية هي التي تجتمع بعد انتخابات حزبية جديدة ، وتنبثق عنها قيادة قطرية . وتضع خطة استراتيجية للمرحلة الواقعة بين مؤتمرين، في حين ان انعقاد مجلس الحزب يتم لمعالجة قضية سياسية او مشكلة تنظيمية هامة ، وهي شبيهة بما يعرف اليوم بالمؤتمرات الاستثنائية .

٣ ــ رغم ان النظام الداخلي للحزب يحدد مدة زمنية لاجراء انتخابات حزبية جديدة ، وانعقاد مؤتمرات قطرية وقومية بعدها ، الا ان هذه المؤتمرات لم تكن لتعقد في اوقاتها المحدودة وذلك لاسباب تتعلق غالبا بالاوضاع الداخلية للحزب وبالظروف السياسية المحيطة به ، ولا نعني بها شدة المراقبة والتضييق عليه من اجهزة السلطة فقط ، اذ انها كثيرا ما كانت تعقد في ظروف سوداء ارهابية بالغة الشدة والقسوة .

● **ففي القطر السوري** : انعقد مجلس الحزب في دمشق في **نيسان من عام ١٩٤٩** وحضره ممثلون منتخبون من سورية والاردن ولبنان ، وتعذر حضور مندوبي العراق . ومن الجدير

بالذكر ، انه كان اول مؤتمر منتخب من قواعد الحزب وكانت اهم القضايا التي عالجها ، مناقشة تقارير الفروع وما قامت به اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن المؤتمر التأسيسي الاول ، كما ناقش مشروعا لنظام داخلي جديد وانشاء مكاتب مركزية ، ثم انتخب لجنة تنفيذية جديدة من سبعة اعضاء بدلا من اربعة .

وفي الشهر الاخير من هذا العام اجتمع المجلس في دورة له ، بحث فيها وضع الحزب **بعد الاطاحة بديكتاتورية حسني الزعيم.** **وفي نيسان من عام ١٩٥٠ عقد المجلس دورة اخرى** «اقر فيها نظاما داخليا جديدا جعل العميد الموجه الاول للحزب والمنفذ لسياسته التي يرسمها الحزب» (١) .

وفي نهاية هذا العام «اجتمع اعضاء مجلس الحزب المنتخبون من جميع الفروع في دورة المجلس العادية» (٢) وكانت الانتخابات حتى ذلك الحين تتم على درجة واحدة من قواعد الحزب . ومن الملاحظ ان البيان الصادر عن المجلس حول القرارات التي اتخذها ، يتضمن تعابير جديدة كالشعب المنتج العامل ، والقوة الثالثة من الشعوب الحرة ، كما يركز على الجوانب الاقتصادية والحياتية للمواطنين ، مثل المطالبة بتحديد الملكية والضرائب التصاعدية والضمان الاجتماعي ، وتوزيع أملاك الدولة وتعديل قانون العمل لمصلحة العمال ومكافحة الاحتكار وتأميم الشركات الاجنبية .. الخ . بالاضافة الى معالجته لقضايا قومية ودولية كقضية فلسطين والوحدة الاقتصادية والغاء جوازات السفر بين الاقطار العربية ، وتوحيد الحركات العربية الشعبية وصولا الى الوحدة ، والتعاون مع الاحزاب الاشتراكية العالمية والحياد بين المعسكرين .

---

١ ـ نضال البعث ، الجزء الثاني ط٣ ، ص ٥٥ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ١٢١ .

وفي أوائل تموز من عام ١٩٥١ ينعقد مجلس الحزب في اللاذقية ويصدر بيانا يلخص وجهة نظره باهم القضايا العربية والدولية في تلك المرحلة ، ويهاجم الاقطاعية والاحلاف العسكرية ويؤكد على اهمية الديمقراطية والحكم الشعبي الذي يشكل الفلاح والعامل دعامته ، ويدعو لوحدة النضال العربي ، ويعتبر الجامعة العربية واسطة للتخدير وللحيلولة دون قيام الوحدة الصحيحة وصورة هزيلة عن الحكومات المتفقة مع الاستعمار ثم ينادي من جديد باقامة جامعة شعبية عربية كبديل لها .

وبعد قيام الدمج بين حزبي البعث العربي والعربي الاشتراكي واسقاط النظام الدكتاتوري في سورية انعقد مجلس منتخب في ٦ كانون الثاني عام ١٩٥٥ وكانت اعماله «مناقشة خطة لتنظيم الحزب على أسس وقواعد تضمنها نظام داخلي جديد وضعته القيادة القومية» (٣) وتسمية الاساتذة الثلاثة (عفلق والبيطار والحوراني) ممثلي القطر السوري في القيادة القومية ، ثم انتخاب لجنة تنفيذية خماسية ، وأصبحت سباعية في دورة عقدها المجلس بعد ثلاثة اشهر.لعل تعليق الامين العام للحزب الوارد في النشرة الداخلية للقيادة القومية بعد شهرين من المؤتمر يعكس الشعور بالمرارة من الواقع التنظيمي المتردي ، ويحذر من السياسة الانتهازية التي كانت تظهر في سلوك بعض القياديين ، وبهذا الصدد ورد قوله «بمقدار ما يقصر العقائديون عن حماية عقيدتهم بالفضائل الايجابية ، اي بالنشاط والبذل والروح النظامية والاندفاع المتصل ، تقع هذه العقيدة فريسة بين أيدي المغامرين والانتهازيين والمنتفعين والوصوليين . والدفاع عن

---

٣ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٣ .

العقيدة لا يكون الا هجوما» (٤) .

وفي آذار من عام ١٩٥٦ انعقد مؤتمر للقطر السوري انبثقت عنه قيادة قطرية جديدة لتعبئة الحزب ، غير انها لم تستطع القيام بمهامها واصبحت القيادة الفعلية بيد الاساتذة الثلاثة (عفلق والبيطار والحوراني) منذ العدوان الثلاثي على مصر (٥) . وفي العام التالي شكلت لجنة من سبعة وعشرين عضوا من اجل التحضير لمؤتمر جديد **وكان ذلك في تموز واعتبر من اهم المؤتمرات التي وضعت الاسس التنظيمية للحزب حيث أقرت مشروع نظام داخلي جديد وسعت لايجاد الحلول المناسبة لمظاهر التفرد والتعارض والحساسية بين اعضاء القيادات العليا ، وكذلك لمظاهر الفوضى وضعف الانضباط والتقيد بسلوكية الحزب لدى الكثيرين** ، ويبدو ذلك من خلال مقررات المؤتمر ومما ورد فيها «لا يسمح الحزب بأي تصرف شخصي او اجتهاد فردي في رسم سياسة الحزب وتقرير اعماله الا ضمن حدود النظام الداخلي ، ويفصل كل حزبي لا يؤمن بمبادىء الحزب الاساسية ووحدته .. ولا يجوز ان يعالج الحزب اية مشكلة قومية الا على ضوء شعاراته ومبادئه .. وتقر سياسة الحزب وتوضح خططه المختلفة من قبل هيئةجماعية مسؤولة في

---

٤ - ابحاث في التنظيم الحزبي ، مكتب الثقافة والاعداد الحزبي - القطر اللبناني ١٩٦٠ ، ص ١٢٠ .

٥ - في المذكرة التي قدمتها في ايلول عام ١٩٥٦ الى القيادة القطرية بوصفي عضوا فيها ومن ضمنها الاساتذة الثلاثة وردت امثلة كثيرة عن شلل التنظيم والفوضى الضاربة فيه ، بسبب من فقدان الانسجام بين اعضائها البارزين وعدم التقيد بالنظام الداخلي وبالقواعد التي تفرضها طبيعة العمل في مؤسسة حزبية واحدة .

الحزب ضمن صلاحياتها المقررة في النظام الداخلي .. وخطة الحزب في المرحلة الراهنة هي تحقيق التماسك الداخلي في الحزب والعمل على دعم روح الانضباط والنظام فيه ، وتصفية العناصر غير الجديرة بشرف عضويته ، والعمل على الاتصال بالجماهير الشعبية ونشر شعارات الحزب بينها» (٦) .

هذا ومن الجدير بالذكر ان مقررات هذا المؤتمر لم تأخذ مداها في التطبيق بسبب من اهتمام القيادة العليا بقضية الوحدة بين مصر وسورية وما اعقب هذا الاهتمام من حل الحزب .

● **اما بالنسبة الى الاردن** : فلم نعثر حتى الان على الوثائق التي توضح عدد المجالس او المؤتمرات القطرية التي عقدت في مرحلة النمو والتوسع والموضوعات التي عالجتها . غير ان بعض النشرات الحزبية تشير الى انعقاد اول مؤتمر في عام ١٩٥٢ .

● **وفي العراق** : وردت في تقرير المجلس القطري الرابع للحزب اشارة الى انعقاده في اواسط تشرين الثاني من عام ١٩٥٧ لدراسة اوضاع جبهة الاتحاد الوطني ، وأوضاع الحزب الداخلية ، ورفع مستواه التنظيمي والنضالي ، كما وردت ايضا اشارة الى انعقاد المؤتمر القطري الاول في بغداد في نهاية عام ١٩٥٥ ، والى انعقاد المجلس القطري الثالث في حزيران عام ١٩٥٦ (٧) .

---

٦ ـ نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ٢٥٧ .

٧ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٠٦ . كما ورد في لقاء ٢٩ـ٣ـ١٩٧٦ ما يشير الى انعقاد مجالس للحزب يحضرها ممثلون من مختلف مناطق القطر من دون ان يكونوا منتخبين كأعضاء مؤتمر قطري . ويذكر الرفيق جعفر قاسم حمودي في تقريره ان اول مجلس قطري انعقد عام ١٩٥٢ =

ومهما يكن من امر فقد شهدت مرحلة النمو والتوسع التي نعنى بتدوينها انعقاد مؤتمرين قطريين (٨) .

الاول في كانون الاول من عام ١٩٥٥ : وكانت قيادة القطر قد دعت لانتخابات حزبية في مطلع العام ثم اضطرت الى تأجيلها بعد انكشاف جانب من التنظيم وملاحقة السلطـــــة للبعثيين واعتقال عدد منهم، ومن بواعث التعجيل في انعقاد مؤتمر قطري منتخب ، ان القيادة كانت قد اصدرت نشرة داخلية حول موقف المعتقل من التحقيق ، فاعتبرها بعض الحزبيين غامضة وضعيفة، وراحوا يطالبون بانتخاب قيادة جديدة فتم ذلك في هـــــذا العام (٩) .

وقد حضر المؤتمر حوالي عشرين عضوا منتخبين ومن بينهم رفيقتان (١٠) ناقشوآ الاوضاع السياسية بعد دخول العراق في حلف بغداد ، وما استوجب ذلك من أعباء نضالية والسعـــي لتحقيق التعاون بين أطراف الحركة الوطنية كما بحثوا في واقع التنظيم الحزبي وكيفية المواجهة لاجهزة السلطة ، ووضعوا خطة

= لمناقشة بعض الصيغ التنظيمية ، وان المجلس القطري الثاني انعقد عــام ١٩٥٤ ، لمناقشة المشاركة في الجبهة الوطنية وتقرر عدم الانضمام اليها ، وقد اشارت لانعقاده نشرة لقطر لبنان عام ١٩٦٣ . كما ان الرفيق سعدون حمادي يشير بتقريره الى انعقاد المجلس القطري الاول في التاريخ المذكور . وفي لقاء ١٤-٤-١٩٧٥ ورد التفريق بين مجالس الحزب ومؤتمراته .

٨ ــ مخطوطة اصدرها المكتب الثقافي في ١٩٧٦ حول المؤتمرات القطريـة للحزب بالقطر العراقي ، ص ١٢ ــ ١٧ .

٩ ــ التطورات السياسية في العراق ــ جعفر عباسِ حميدي ، ص ٦٢٣ ، (لقاء مع علي صالح السعدي في ٢١-٥-١٩٧٣) .

١٠ ــ لقاء ٢٩-٣-١٩٧٦ مع بعثيين قدماء .

تنظيمية وامينة لضمان سلامة الحزب واستمرار نشاطه على افضل وجه ممكن .

اما المؤتمر القطري الثاني فانعقد في شباط عام ١٩٥٨ في ظروف سياسية. هامة كتحقيق جبهة الاتحاد الوطني على صعيد القطر ، واقامة دولة الوحدة بين سورية ومصر على الصعيد القومي ، مما عزز نشاط البعثيين والقوى الوطنية في النضال ضد النظام الملكي وتعريته بغية اسقاطه . وكانت اهم النقاط التي بحثها المؤتمر : المسألة التنظيمية والتوسع في ايجاد المكاتب الحزبية والتشديد في سرية العمل وتنشيط الجبهة الوطنية ، وخلق الاجواء الملائمة لدعم الجمهورية العربية المتحدة وللانضمام اليها .

● **اما في لبنان** : فقد ورد في نشرة داخلية **بتاريخ ايار** ١٩٥٢ ان ممثلين (غير منتخبين) عن الهيئات الادارية للفرق الحزبية في مختلف انحاء القطر اللبناني ، اجتمعوا في منتصف هذا الشهر. وهذا الاجتماع يشبه ما سبق ان ذكرناه عن اجتماعات مجلس الحزب رغم تسميته بالمؤتمر . **وتمت دعوتهم** من القيادة الفرعية المركزية (قيادة الفرع في بيروت) وذلك «لدراسة سير الحزب في هذه السنة ومناقشة سياسته العامة **ضمن مبادىء الدستور** ووضع الخطوط الكبرى للعمل في المستقبل ... واتخذ المجتمعون بعض التوجيهات والقرارات **لتعميمها على الاعضاء**» (١١) وتشمل أمورا تنظيمية وتوجيهات حول وسائل الكسب الحزبي بين اوساط الفلاحين والمعلمين ، بالاضافة الى معلومات عن نضال الحزب ضد الحكم الديكتاتوري في سورية . **وفي تموز من عام ١٩٥٤ عقد اجتماع عام حضره مندوبان عن كل منطقة** «للتداول في شؤون الحزب العامة ،

---

١١ ــ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٢٥ .

«درس امر تشكيل قيادة قطرية تعمل على تكوين جهاز حزبي متين وعلى الاهتمام بالقضايا القومية والسياسية والمطاليب الشعبية المحلية» (١٢) وقد انبثق عن هذا الاجتماع قيادة قطرية مؤقتة تسعى في خلال سنة واحدة لعقد مؤتمر قطري ينتخب قيادة قطرية وفق النظام الداخلي . **وفي كانون الثاني من عام ١٩٥٨ انعقد المؤتمر القطري الثاني** لدراسة الوضع الحزبي وانتخاب قيادة جديدة . واتخذ عدة قرارات لرفع مستوى الاعضاء كتنظيم حلقات تدريبية واقامة مخيم تدريبي ، والاهتمام بدراسة تاريخ الحزب ومبادئه ، مع التشديد على الانضباط وممارسة النقد والنقد الذاتي ، وتسديد الاشتراكات الشهرية بموعدها ومطالبة القيادة القومية بعقد مؤتمر قومي . وعلى الصعيد السياسي ، قرر خوض معارك محلية ضمن امكاناته المتاحة ، واعتمد ما سبق ان قرره المؤتمر القطري الاول «حول توسيع الاتصالات مع قاعدة الحزب التقدمي الاشتراكي وجماعة القوميين العرب من دون الارتباط معهم في جبهات او تعاون رسمي .. وكذلك محاربة الحركات الطائفية والشعوبية وبخاصة القوميين السوريين» (١٣) . كما طالب المؤتمر بالاسراع في اصدار جريدة يومية ، والاستفسار من القيادة القومية عن مشروع الوحدة بين سورية ومصر ، ووضع دراسة عنه وعن فكرة حل الاحزاب في سورية . ومما يذكر ان التقرير الذي قدمته القيادة الى المؤتمر تضمن وصفا لوسائل التوسع والانتشار الحزبي ولواقع الحزب بروح ناقدة جريئة وقد اشرنا الى ذلك في مكان آخر .

---

١٢ ـ المصدر السابق ، ص ٣٩ ـ ٤١ .

١٣ ـ المصدر السابق ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .

وفي نهاية عام ١٩٥٨ انعقد المؤتمر القطري الثالث وقرر خطة للتفرغ الحزبي وتوسيع المكاتب واصدار النشرة الدورية بانتظام، ودراسات مبسطة ودورات ثقافية لقواعد الحزب ، واكد على اهمية التوسع بين الفلاحين والفلسطينيين والاوساط الانعزالية في جبل لبنان ، والعمل على التعاون مع بعض الفئات السياسية العقائدية . وناقش المؤتمر تقريرا عن الانتفاضة المسلحة في لبنان ، عام ١٩٥٨ ، ونتائجها على الحزب مع نقد لمواطن الضعف والتقصير في القيادة القطرية والتنبيه لضرورة توسيع قاعدة الحزب بتبسيط اجراءات الانتساب اليه وتأمين متفرغين قياديين للعمل الحزبي . وبانشاء مكتب للعمال وآخر للتوسع وجهاز للاستعلامات.. كما ناقش المؤتمر تقريرا سياسيا حلل فيه دور الحزب في الانتفاضة وواقع لبنان والقوى السياسية المؤثرة ، والدور الكبير للامبريالية والرجعية العربية في الساحتين اللبنانية والعربية ، وخطأ المسؤولين في دولة الوحدة باعتمادهم في لبنان على الفئات التقليدية وأعوانها من المرتزقة ، مما اساء للانتفاضة الشعبية وحد من انتصارها(١٤)»

● المؤتمر القومي الثاني في حزيران ١٩٥٤ :

في ايلول من عام ١٩٥٣ وفي اثناء وجود قادة الحزب الثلاثة في روما ، انعقد في مدينة حمص بالقطر السوري ، مؤتمر حزبي قومي «حضره مندوبون عن كل فرع من فروع سورية ومسؤولو المكاتب الحزبية وبعض المندوبين من لبنان والاردن

---

١٤ ـ المصدر السابق ، ص ١٣٩ ـ ١٤٧ .

والعراق . وقد تدارسوا الاوضاع الحزبية عامة واوضاع سورية وعودة القادة المبعدين» (١٥) .

ورغم أن النشرة السرية الصادرة عن الحزب في القطر السوري في تشرين الاول حول هذا الاجتماع **تطلق عليه اسم «مؤتمر قومي حزبي» فانه لم يكن سوى اجتماع تمهيدي للمؤتمر وشبيه بمجلس الحزب** . كما ان هذه النشرة نفسها تشير الى ان المجتمعين قرروا الدعوة لعقد مؤتمر قومي كبير وحددوا موعده وعدد مندوبي كل قطر ووضعوا جدول اعماله ، كما قرروا عودة الاساتذة الثلاثة وأكدوا ان النظام البرلماني على مساوئه القائمة خير من اية ديكتاتورية عسكرية . وتمضي النشرة الى مهاجمة الوضع في مصر والدعوة لابقاء قضيتي المغرب العربي وليبيا قائمتين ، واعتبار العمل الجبهوي امرا تكتيكيا في تلك المرحلة وعدم التعاون مع الشيوعيين وحدهم (١٦) .

وفي حزيران من عام ١٩٥٤ اجتمع ممثلون عن تنظيمات الحزب في كل من سورية والاردن والعراق ولبنان وانتخبوا قيادة قومية من سبعة اعضاء (١٧) ثلاثة من القطر السوري واثنين من الاردن وواحد من كل من العراق ولبنان ، فكانت أول قيادة قومية انبثقت بالتراضي ، وأقروا نظاما داخليا اقترحه القطر السوري . ثم عدل بعد بضعة اشهر ووضعت مشاريع جديدة للنظام الداخلي حتى عام ١٩٥٩ ، كما تقرر الغاء منصب عميد الحزب وايجاد منصب الامين العام بدلا عنه ،

---

١٥ ـ النشرة الدورية للمكتب الثقافي بالاردن في ايلول ١٩٥٣ .

١٦ ـ نشرة باسم المكتب السياسي بالقطر السوري في تشرين الاول ١٩٥٣ . راجع نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ٤١ .

١٧ ـ هم ميشيل عفلق ، صلاح البيطار ، اكرم الحوراني ، عبد الله الريماوي ، عبد الله النعواس ، فؤاد الركابي ، علي جابر .

وانشاء مكتب للامانة العامة للقيادة القومية ، ولجنة مهمتها الاشراف على التوجيه الثقافي والانتاج الفكري في الحزب «حيث اعتبر المؤتمر كل انتاج فكري صادر قبل عام ١٩٥٤ غير صالح لان يعتبر انتاجا عقائديا وان يعاد نشره بعد هذا التاريخ على انه انتاج عقائدي يمثل الحزب وفكره» (١٨) .

كما اكد المؤتمر في النظام الداخلي الذي اقره ، على وحدة الحزب الكاملة وحقيقته القومية الاشتراكية الانقلابية ، واحترام الحرية الايجابية الحزبية الخلاقة التي تنطوي بتطبيقها على الديمقراطية والقيادة المركزية كاملة الصلاحيات في غياب المؤتمر كاملة المسؤولية امامه في حالة انعقاده .

- ٢ -

في اسس التنظيم ومنطلقاته

مع نمو حجم الحزب شعبياً وسياسيا ، ومع تطور حاجاته وواجباته في مرحلة النمو والتوسع ، كان من الطبيعي ان ينمو ويتطور في الجانب التنظيمي . ورغم ان هذا الجانب اتسم في المرحلة التأسيسية بالعفوية والبساطة والتجريبية ، ومع ان ظاهرة التجريبية المتأثرة بالظروف والاوضاع العملية التي حاطت بالحزب ظلت قائمة ، الا انه ظهرت في المرحلة التالية بحوث تحليلية ومعالجات فكرية ونظرية للقضايا التنظيمية لم تكن معهودة من قبل ، ومن هذه القضايا : اهمية التنظيم ، معنى الحزب ودوره ، المركزية الديمقراطية ، التشديد على الانضباط

---

١٨ - نشرة عن قيادة قطر لبنان في عام ١٩٦٣ حول تاريخ الحزب في الوطن العربي .

والنقد الذاتي ، اهمية التفرغ الحزبي ، ظواهر الانتهازية والفردية والقطرية ومعالجاتها ، عوامل ضعف القيادات والتربية الحزبية ، بالاضافة الى الابحاث التي تعالج واقع القيادة القومية وضرورة تعزيزها . ولعل من المفيد ان نذكر بعض الفقرات من هذه البحوث النظرية كنماذج تعكس ما وصل اليه الحزب في استيعاب وادراك معنى التنظيم وفلسفته ، واهميته لحزب عقيدي ثوري من جهة،كما تعكس بعض المشكلات والمسائل المستجدة التي اقتضتها وافرزتها طبيعة المرحلة والنمو من جهة ثانية .

● ـ **فبالنسبة لاهمية التنظيم** نطالع في نشرة داخلية ما يلي : «واننا نأخذ على حزبنا عدم الجد في وضع النظريات التنظيمية التي تضمن وحدته الداخلية من جهة ، والتي تضمن من جهة اخرى ارتباطه بالشعب ارتباطا ثوريا . وبعبارة اخرى ، لم يأخذ الاعضاء المسؤولون بالجد ، موضوع التنظيم وكونه شيئا اساسيا في الحزب ، اذ بدون نظام داخلي اساسي انقلابي لا يمكن ان يتم اي تنظيم واي وحدة للحزب ، واي قوة له في الشعب ، ويؤتي النضال ثمرته المطلوبة مهما كان عنيفا ..» وتمضي النشرة الى القول «**ناحية التنظيم بأهمية الناحية العقائدية ولا تنفصل عنها**» (١٩) .

وفي النشرة الصادرة عن القيادة القومية بصيغة بلاغ رقم ٣ لعام ١٩٥٥ والمتعلقة بتوضيح الواجبات نلاحظ انها تعالج حالة الارتخاء التنظيمي وعدم المواظبة بدقة على حضور الاجتماعات ، وتشدد على اهمية تسديد الواجبات المالية باعتبارها دالة على مدى متانة العضو حزبيا واستعداده للتضحية ، كما تشير الى

---

١٩ ـ نشرة داخلية في دمشق تشرين الاول ١٩٥٢ . ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٦٣ ، ١٦ .

فرض العقوبات اللازمة عند التقصير . وفي مقال للامين العام عام ١٩٥٧ ، عن علاقة التنظيم بالعمل الانقلابي ورد ان «التنظيم شيء اساسي وحيوي يرافق العمل الانقلابي بل هو من طبيعة هذا العمل ويستمد من فكرته الانقلابية وان التنظيم هو الذي يمكن (الاقلية الانقلابية) من الوصول الى الشعب ومن قيادته، كما يمكنها من اختصار الزمن وتسهيل عقبات الطريق.. وان هذه القوى والطاقات النضالية الكامنة في نفوس الشعب تبقى غير متحققة بغير هذا التنظيم ..» (٢٠) .

● ـ **وفيما يتصل بمعنى الحزب ودوره** : ورد في نشرة عام ١٩٥٣ المذكورة ، تعريف للحزب بأنه دعوة لبعث القيم العربية ، مع اعطائها المضمون الاشتراكي الحديث بتحرير الوطن والشعب والفرد العربي ، وبأنه حركة تمثل اهداف الشعب ومصالحه وترتبط به ... وان اكثريته تؤمن بمبادىء الحزب من دون ان تدخل فيه ، وتمضي الى القول «ان الحزب هو الجزء الطلائعي .. وقائد الشعب في نضاله لتحقيق دعوته» .

وفي منتصف الخمسينات حيث ازداد الالتفاف الجماهيري حول الحزب وبخاصة في القطرين السوري والاردني ، ظهرت الحاجة الى مزيد من التنظيم والانضباط والتثقيف ، وراحت قواعد الحزب تضغط على القيادات العليا بهذا الاتجاه ، فتكون تيار يميل نحو المزيد من التشدد والانضباط الحديدي والالتزام بالاوامر الحزبية الى حد المبالغة والتطبيق الحرفي ، وبما يشبه الانضباط العسكري ، ظنا من اصحاب هذا التيار ان ذلك هو السبيل للخروج بالحزب من واقعه المتردي تنظيميا ، وربما كان بعضهم متأثرا بأنظمة ونماذج معروفة لدى عدد من الاحزاب

---

٢٠ ـ في سبيل البعث ، ط٣ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٩ .

السياسية في العالم ، ولكن احاديث الامين العام حول المسألة التنظيمية ، تمثل على قلتها ، منحى آخر ومفهوما معينا ، يضفي على التنظيم روحا خاصة ، ويسعى لاعطائه منطلقات فكرية متميزة ومرتبطة بمبادىء الحزب . ففي مقال له عن الانقلاب عام ١٩٤٩ يقول : «الحزب الحقيقي ، الحزب الحي الذي يمكن ان يؤدي رسالته في العصر الحاضر للامة العربية هو الذي يجعل هدفه خلق امة او بعثها ، شريطة ان يحقق هذا الوصف في نفسه اولا : اي ان يكون هو **امة مصغرة للامة الصافية السليمة الراقية التي يريد ان يبعثها ، ثم يقول في مقال آخر : التنظيم المطلوب هو الذي يضمن للحركة وحدتها واتساعها مع بقاء العقلية والاخلاق والروح الانقلابية مسيطرة عليها»** (٢١) .

وفي حديث له عام ١٩٥٥ نطالع العبارات التالية «**فمهمة** الحزب غير مهمة الجيش ، والحزب الذي هو مؤلف من افراد أحرار ، لا يمكن ان يكون آلة او كالآلة . اذن ففكرة التنظيم في حزبنا متصلة بفلسفة الحزب نفسها . ويصعب ان نفصل فكرة التنظيم عن الفكرة الاساسية التي تقول بالحرية ... فالعضو ليس جزءا من الحزب ، هذا تعبير خاطيء . العضو هو الحزب بصورة مصغرة ... والفرقة ليست جزءا ولكنها الحزب بصورة مصغرة .. واذا كان التنظيم على الاسلوب النازي اصاب الالمان بضرر فانه يصيب العرب بأضعاف من هذا الضرر . وحزبنا مطالب بأن يربي الانسان العربي ، وهذا لا يربى بالتنظيم الآلي، بلبهذا الاحترام لشخصية.. وكفاءة كل عضو ولأخطاء ونواقص

---

٢١ ـ المصدر السابق ، ص ١٥٥ ـ ١٦٦

كل عضو ..» (٢٢) .

● ـ **وعن المركزية الديمقراطية** : ورد في النشرة الداخلية لعام ١٩٥٢ «ان على الحزب ان يحقق في داخله الديمقراطية الصحيحة وأن تتوفر فيه سلطة تقوم على مبدأ المركزية» . وفي المذكرة المرفوعة من عضو القيادة القطرية في سورية الى القيادة عام ١٩٥٦ ، نلاحظ الحرص على جوهر الديمقراطية مع المطالبة بالمركزية ، والحزم والصلاحيات الواسعة للقيادات الحزبية ، ويظهر ذلك من العبارات التالية «والشيء الهام الذي يجدر الانتباه اليه عند وضع النظام الداخلي هو ان يستهدف امرين : الاول المحافظة على الديمقراطية في روحها وجوهرها ، والثاني مراعاة واقع الحزب المهلهل وحراجة الظروف المحيطة بالعرب والصفة الانقلابية للحزب ، وهذا كله يقتضي اعطاء صلاحيات واسعة للقيادات الحزبية ، تتيح لها سرعة التنفيذ والبت في الامور وتساعدها على الجزم والحزم في معالجة المشكلات الحزبية والقضايا القومية» (٢٣) .

على انه لا بد من القول ان الحزب كان يشدد على اهمية المركزية في الفترات التي تشيع في صفوفه عوامل الفوضى والارتخاء ، وتضعف بين اعضائه روح الانضباط والتقيد بالتعليمات والواجبات الحزبية . وثمة نشرات كثيرة توضح هذا الذي نشير اليه ، بل لعل العبارات التالية كافية لتوضيحه وفيها «نحن الذين كسبنا تلك المعارك الخارجية ، يجب أن نعتبر معركة الحزب الحاضرة بل نضاله الاكبر ، هو في التغلب على نفسه وكسب المعركة الداخلية، المعركة ضد الفردية والفوضوية،

---

٢٢ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ، ص ٣٨ ، ٤٢ .

٢٣ ـ مذكرتي المقدمة في ايلول ١٩٥٦ .

المعركة ضد الانقسام ، والاستهتار بنظام الحزب ، المعركة في سبيل الخضوع الواعي من قبل الاعضاء كبارا وصغارا ومن جميع المنظمات لنظام مركزي حديدي يجعل الحزب كتلة متراصة ليس فيها ثلمة ولا تصدع تقودها قيادة الحزب المركزية» (٢٤) .

● ـ **وعن ضرورة الانضباط والنقد الذاتي** : نطالع في نشرة داخلية لعام ١٩٥٧ حول الحرية في العمل الحزبي والنقد والنقد الذاتي والقيادة الجماعية ما يلي : «مهما تكن الخطة المقررة جديدة او غريبة عن اجهزة الحزب الاخرى ، فان وحدة الحزب والانضباط ، يقضيان بأن تنفذ دون اية مناقشة ، ذلك ان كل شك او تردد او نقد امام العمل ، تؤدي الى عرقلة النضال الحزبي وتشل روح النشاط في الحزب ، ويصبح الانتقاد ضروريا بعد تنفيذ الخطة ، فعلى الحزبيين ان يراقبوا اعمال حزبهم بعد تنفيذها وينتقدوها ويوجهوا مبررات انتقاداتهم الى المؤسسة القيادية في الحزب ... ومن الواضح ان مثل هذا الانتقاد يكون ضمن شروط الانضباط الحزبي الذي يقرره النظام الداخلي .. وقد تبدو الخطة الحزبية الصحيحة فاسدة منحرفة لانها لم تنفذ بصورة انضباطية متينة .. وعدم رجوع القيادة الى مقررات الحزب العامة وتقصيرها في تبرير خططها وسياستها للاعضاء ، قد أشعر الحزبيين ان خطط الحزب وسياسته تصدر عن ارتجال شخصي عابر ... ان عدم ايمان البعض بالعمل الجماعي الذي تتجلى فيه ديمقراطية الحزب قد خلق في نفوس كثيرين من الحزبيين نزعة الى الانتقاد الهدام» (٢٥) .

---

٢٤ ـ نشرة داخلية للقيادة القومية ، دمشق ١٩٥٥ . ابحاث في التنظيم الحزبي ، ص ١٢٤ .

٢٥ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٥٩ . نشرة داخلية في القطر السوري بتاريخ ٢٩ـ٨ـ١٩٥٧ .

● ـ **وعن الظواهر الانتهازية والفردية** : ورد في النشرة الداخلية لعام ١٩٥٢ «ان الانتهازية نقيض الروح الانقلابية الحزبية ... تقطع الرابطة العقائدية بين الاعضاء والحزب وتحل محلها الرابطة الشخصية ، فتحيل الحزب من حزب عقائدي الى مجموعة احزاب وتكتلات شخصية ... وفي الحزب روح منبثقة عن روح الانتهازية ويمكن تسميتها بروح (الوجاهة) تتجلى في وجود اعضاء يحتلون مراكز حزبية دون ان يمارسوا رسميا اي عمل حزبي» . وورد ايضا عن الفردية «ان الروح الفردية تتمرد على كل قرار لا يوافق مزاج صاحبها ورأيه ، وتعرقل كل تقدم للحزب في حين ان مبدأ الحزب هو هذا : **الرأي الصحيح هو الرأي الجماعي والقيادة الصحيحة هي القيادة الجماعية** ويد الله مع الجماعة» . وتمضي النشرة الى القول «مما يزيد في صعوبة المشكلة وجود تيارين عقائديين دخيلين على الحزب ولا بد من تطهير الحزب منهما اولهما التيار اليساري الرومانتيكي وثانيهما التيار اليميني الانتهازي» (٢٦) .

وبمناسبة فصل الريماوي اصدرت القيادة القومية بيانا اشارت فيه الى معنى الانتهازية بقولها «انها لن تبرز بمظهرها الحقيقي لان ذلك معناه فضحها واجتثاث جذورها بل تحاول دوما ان تجد لها مبررا عقائديا ، وأسلوبا تنعته احيانا بالواقعية الثورية ، وأخرى بالروح العلمية الموضوعية» .

● ـ **وعن ظاهرة القطرية وتعزيز سلطة القيادة القومية** يمكننا القول ان ظهور بعض المواقف القطرية والاقليمية من بعض القياديين ، قد نبه الحزب الى خطورة هذه الظواهر على وحدة

---

٢٦ ــ ابحاث في التنظيم الحزبي ، ص ١٥ ــ ١٧ . نشرة تشرين الاول ١٩٥٢ ، دمشق .

الحزب ومنطلقاته القومية ، فراح ينتقدها ويعالجها بإبراز أخطارها ، وباعطاء المزيد من الصلاحيات للقيادة القومية والمطالبة بالمركزية ، وبالتثقيف القومي الموحد .. وتتضح هذه النقاط في النصوص التالية «ان الحزب اكتفى في كثير من الاحيان بالمناداة بوحدة النضال العربي ، ولم يعط من وقته وجهده ما يجعله يضع تصميما عمليا لتوحيد النضال العربي . وكخطوة اولى لا بد من جعل القيادة القومية شيئا حقيقيا وفوق كل قيادة حزبية اخرى» (٢٧) . وفي نشرة داخلية لقطر لبنان عن واقع القيادة القومية نطالع ما يلي : «في خلال كل هذه الفترة (التي اعقبت المؤتمر القومي الثاني) كانت القيادات الحزبية القومية التي اختيرت بشكل استثنائي وبانتظار مؤتمر قومي رسمي ، تقوم بعملها بشكل لا يؤمّن الا جزئيا مسؤوليات قيادة قومية طبيعية لحزب ثوري ، وقد مضت فترات وقامت أحداث على المستوى القومي وفي مستوى الاقطار ، كانت القيادة القومية فيها سلبية وغائبة تماما» (٢٨) .

ولو رجعنا الى التقرير المقدم للمؤتمر القومي الثالث ، لوجدنا فيه نصوصا واضحة في نقد الواقع المتردي للقيادة القومية مع تحليل العوامل التي أدت الى ظهور المؤثرات الاقليمية والقطرية . ومما ورد بهذا الصدد «ان التنظيم القومي لم يرتفع مستواه السابق ، بل بقي على حالته الاولى بدائيا ، يعوزه الاساس العلمي والاساليب الحديثة . وفي الوقت الذي بدأت التشكيلات الاقليمية تتجه بالتدريج نحو الاقليمية والانغماس في المشاكل المحلية ، لم يوجد تنظيم قومي مركزي متين يحد من هذا الاتجاه» ويرجع الحزب لوحدته ، ويطرح منه رواسب

---

٢٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٣ .

٢٨ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ١٥٩ .

الواقع الفاسد التي تسربت اليه ، وفحوى ذلك في ضعف القيادة القومية وتخلفها عن متطلبات الوضع القومي الجديد الذي نما وتوسع عما كان عليه في مرحلة التأسيس . والقيادة القومية نفسها لم تسلم من هذا الداء فقد جذبها واقع سورية اليه ، فانغمست به واصبحت في معظم نشاطها متجهة نحو الوضع الاقليمي» (٢٩) .

ولعل هذا الضعف المتزايد في سلطة القيادة القومية وما نجم عنه من تهديد لوحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية هو الذي حدا بالمؤتمر القومي الثالث الى «تعديل النظام الداخلي بشكل يوسع صلاحيات القيادة القومية ، ويزيد من فعالياتها في قيادة الحزب والاشراف على تنظيماته ، وتأمين مركزية سليمة في اجهزة الحزب وتخطيط نضاله ومعاركه بمزيد من الوعي والقوة» (٣٠) . هذا وفي مذكرتي المقدمة لقيادة القطر السوري في ايلول ١٩٥٦ والتي سبقت الاشارة اليها أمثلة ونماذج كثيرة عن ضعف التنظيم ، وفوضى اجتماعات القيادة مع عدم التقيد بالمواعيد والانضباط والتسلسل ، والاعتماد على الارتجال والابتعاد عن ممارسة القيادة الجماعية ، واهمال شديد لرسائل الفروع وعدم اصدار التوجيهات اللازمة لها حول القضايا السياسية المهمة المستجدة في القطر السوري وخارجه ، بالاضافة الى عدم الاتصال بالفروع وزيارتها والتعرف على مشكلاتها الحزبية ، كما ورد في المذكرة أمثلة على الانغماس في مشاكل القطر ، وضعف الاهتمام بالقضايا القومية .

---

٢٩ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٧٩ ، وكتاب في التنظيم والتربية الحزبية ط١ ، ص ٤٠ ، (دار الطليعة ، ١٩٧١) .

٣٠ ـ نضال البعث ، الجزء الرابع ، ط١ ، ص ٦٧ .

● - **وحول الانقلابية (الثورية) وأهمية التفرغ** : نلاحظ مزيدا من النضج والتطور والفهم الواقعي والعلمي لمعنى الثورية ولمسألة اليمين واليسار وضرورة التفرغ الحزبي ، وربط ذلك كله بقضية التنظيم الانقلابي . ونطالع بهذا الصدد ما يلي «ان غالبية الشباب المثقف لسبب صغر سنهم ونقص تجربتهم ، يحملون ثورية سطحية وخيالية رومانتيكية عاطفية فيصبح بذلك عجولا لجوجا مهووسا فاقد الصبر والانتظار .. انه وقد آمن بالاشتراكية ورغب في تحقيقها يظن ان الشعب مثله وبدرجته، مؤمن بها وراغب بتحقيقها ، دون ان يدرك تأخر الشعب عنه في الوعي ... **ان هذه الروح العاطفية الرومانتيكية تنمنطق طبعا بعقائدية يسارية قد تستهوي الشباب الحزبي لاول وهلة ولكنها لا تلبث ان تنكشف عن يسارية مرضية فوضوية خطرة.. انها لا تؤمن بالواقع الموضوعي وبقوانين تطوره الخارجة عن ارادتها** فتعرقل كل سياسة حزبية جماهيرية تأخذ بعين الاعتبار شروط هذا الواقع وتضع له الحلول المناسبة ، انها تحوله من حزب قائد لنضال الجماهير الشعبية الى طريقة صوفية او الى حركة مغلقة لا تلبث ان تنزلق نحو المغامرات الشخصية والانقلابات من فوق ، والانتقام الفردي والارهاب السياسي والعمل في الظلام . **ان الواقعية الثورية هي العقائدية السليمة في الحزب وهي اليسارية التي ليس فوقها يسارية ...** واذا كانت الروح اليسارية الرومانتيكية تعزل الحزب عن الشعب فان الروح اليمينية الانتهازية تجعل الشعب أجوف وشعبية الحزب فارغة . صحيح انها تحقق الاتصال بين الحزب والشعب ولكنه اتصال انتهازي لا ثوري .. اتصال يضع المبادىء والاهداف على الرف ويحول الحزب من عقائدي انقلابي الى سياسي اصلاحي ، غايته تحقيق بعض الاصلاحات الشعبية لا تحقيق الاشتراكية . ان على حزبنا **ان يطهر نفسه من روح**

اليسارية المريضة التيخلقها الجهل البسيط ومن روح اليمينية الانتهازية التي يخلقها الجهل المركب مع الطمع» (٣١) .

وعن علاقة التنظيم بالعمل الانقلابي يقول الامين العام للحزب «ان التنظيم الانقلابي الذي نحتاجه ولم نبلغ مستواه ، يتطلب انقطاع أفراد للعمل الحزبي انقطاعا تاما ليجعلوا من العمل الحزبي الانقلابي شاغل حياتهم ، منه يعيشون ويكسبون رزقهم وفيه يضعون جميع امكاناتهم وكفاءاتهم وآمالهم وطموحهم» (٣٢) .

ـ ٣ ـ
في النظام الداخلي

● **بالنسبة لمشاريعه وتعديلاته** : نلاحظ من خلال ما ذكرناه في الفقرة السابقة عن أسس التنظيم ومنطلقاته الفكرية ، ان النظام الداخلي للحزب لم يستقر على حال ، ولم يأخذ صيغة محددة وثابتة لعدة سنوات متتالية ، **بل كانت تطرأ عليه تعديلات واضافات مستمرة في كل مؤتمر ، بل وأحيانا في اجتماعات مجلس الحزب ومؤتمراته القطرية** .. كما اننا نلاحظ شكوى مرة في المؤتمر القومي الثالث من مخالفات النظام الداخلي وتجاوزاته المتكررة . ووضع صيغ خاصة لبعض الاقطار والمنظمات الحزبية ، وذلك لدوافع اهمها «ضغط الظروف المحلية خصوصا في الاقطار التي يكون العمل فيها سريا يواجه الارهاب من قبل السلطة . فضغط الظروف بدلا من ان يواجه

---

٣١ ـ ابحاث في التنظيم ص ١٨ ـ ١٩ من النشرة الداخلية ـ تشرين الاول ١٩٥٢ دمشق .

٣٢ ـ في سبيل البعث ، ط٣ ، ص ١٩٠ .

بروح ثورية عالية تعاف السهولة وتبقي مصرة على التغلب عليها، **حصل شيء من التراخي والخضوع لمتطلبات الظروف فتكييف النظام بدلا من ان يحدث العكس ـ وبجانب ذلك هناك النقص في النظام الداخلي نفسه** الذي لم يكن من الشمول والمرونة لدرجة يستوعب معها تباين الظروف وقسوتها في بعض المناطق، والذي بقي جامدا لا يتطور ازاء الصعوبات والعقبات في التطبيق .. ولكن هناك نوعا من الاجتهادات التي كانت دوافعها التخلص من المسؤولية والالتفاف حول النصوص . وهناك نوع من التكيف الذي أوجد ليخدم اغراض بعض الاعضاء من ذوي المراكز العالية في الحزب ولدعم نفوذهم» (٣٣) . أما فيما يتعلق بالتعديلات والصيغ التنظيمية الجديدة في مرحلة النمو والتوسع والتي تعبر عن المرونة احيانا ، وعن حالة القلق وعدم الاستقرار احيانا اخرى ، فنلاحظها مثلا في النشرة الدورية الصادرة عن المكتب الاداري في الاردن بتاريخ آب ١٩٥٢ حيث تضمنت تعليمات بادخال بعض التصحيحات على ملحق النظام الداخلي حول كيفية انتخاب امين سر الحلقة وصلاحيات قيادة الشعبة ونوع العقوبات التي يحق لها اتخاذها ، والمبالغ المسموح بالتصرف بها من قبل قيادات الفرق والشعب من دون الرجوع الى القيادات الاعلى .. هذا بالاضافة الى ان القيادة القومية والقطرية كانت احيانا تعمد لتفويض قيادة احد الفروع باعادة بناء التنظيم وفق الصيغة التي ترتأيها قيادة الفرع كما جرى في حلب عام ١٩٥٦ حيث قامت بتصنيف الاعضاء وتوزيع البطاقات الحزبية ، وايجاد مكاتب جديدة ، منها مكتب الانتسابات ومكتب

---

٣٣ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٨١ . من تقرير قدّم للمؤتمر القومي الثالث ١٩٥٩ .

الاحياء والمكتب الصحفي ومكتب المناوبة (٣٤) . وفي الوقت الذي كان فيه المكتب المختص في الشؤون التنظيمية والتنفيذية يأخذ احيانا في سورية والاردن اسم المكتب الاداري ، فقد كان اسمه في العراق المكتب التنفيذي منذ عام ١٩٥٣ ، **وكانت المرحلة التي اعقبت سقوط النظام الديكتاتوري في سورية وحتى قيام الوحدة ، حافلة بمحاولات وضع نظام داخلي للحزب واضح وثابت** ، ويتضح ذلك من النص التالي:«ومما يدعو الى الدهشة والاستغراب ان لا يكون لحزبنا العقائدي نظام داخلي وأن يسير في تنظيماته على ما يشبه الاعراف والتقاليد الحزبية بعد ان الغى النظام الاخير المعقد الذي رتبه فرع الاردن ووضعه مجلس الحزب تحت التجربة ، وبعد ان هيأت القيادة مشروعا جديدا ووضعته على الرف منذ عام (اي في منتصف ١٩٥٥) . ومن الغريب كذلك ان الفترة التي تعهدت فيها القيادة بدعوة مجلس الحزب لاقرار نظام جديد واجراء التصفية والتهيئة لانتخابات جديدة لمجلس الحزب، قد مضت ولم يظهر من القيادة ما يشير الى عزمها على اعادة الحياة الشرعية والطبيعية الى الحزب الامر الذي يدعو للتساؤل عما اذا كنا سائرين نحو العشائرية ام الديكتاتورية وكلاهما شر» (٣٥) .

ولو تتبعنا مشاريع الانظمة الداخلية الجديدة او المعدلة في خلال المرحلة التي نعنى بها ، لوجدناها كثيرة ، اذ جرت في مجلس الحزب المنعقد في نيسان عام ١٩٤٩ ثم في نيسان من العام التالي .. وفي المؤتمر القومي الثاني في حزيران من عام ١٩٥٤ اقر نظام داخلي جديد استمر العمل به حتى نهاية العام ، ثم أقر مجلس الحزب نظاما جديدا معقدا ، كان فرع الاردن قد

---

٣٤ ـ من النشرة الدورية رقم ٦ لفرع حلب في اذار ١٩٥٧ .

٣٥ ـ مذكرتي المقدمة للقيادة القطرية في ايلول ١٩٥٦ .

اقترحه ووضعه المجلس موضع التجربة والاختبار في مطلع عام ١٩٥٥ ، ثم ما لبث ان وضعه على الرف بعد بضعة اشهر ، حيث وضعت القيادة مشروعا جديدا للعمل به ولكنها لم تضعه موضع التنفيذ ، وهكذا ظل الحزب بدون نظام داخلي محدد ومعتمد اكثر من عام ونصف .

● **اما بالنسبة الى الهيكل العام للتنظيم** : فيمكننا تقديم صورة مصغرة او مختصرة عنه من خلال الانظمة الداخلية التي وضعت في مرحلة النمو والتوسع،وكذلك من خلال النظام الداخلي الذي أقره المؤتمر القومي الثالث ووضع موضع التطبيق منذ ايلول عام ١٩٥٩ لانه جاء كمحصلة للتجارب والمشاريع المتعددة المتصلة بالنظام الداخلي ضمن المرحلة السابقة المعنية .

١ ـ يتضمن النظام الداخلي عادة **مقدمة تحدد الاسس النظرية للتنظيم وأهمها** : وحدة الحزب وحقيقته القومية الاشتراكية الانقلابية ، ومبدأ الديمقراطية والمركزية ، وجعل العلاقات بين الاعضاء موضوعية وحزبية ، تحل فيها المصلحة الحزبية دائما محل المصلحة الشخصية ويحل القرار الحزبي محل الرأي الشخصي .

ويتحقق ذلك في احترام حرية العضو بالاشتراك في انتخابات هيئاته ومناقشة كافة شؤونه وسياسته ، وفي وجوب فهم الحرية فهما ايجابيا حزبيا ، تمارس ضمن تشكيلات الحزب وهيئاته ووفق مبدأ التسلسل الحزبي ، مع التحريم المطلق لجعل اي راي يبديه العضو اساسا لاتهامه او التهجم عليه ، ثم اعتبار راي الاكثرية ممثلا لراي الحزب .. وورد ايضا في مقدمة النظام الداخلي الذي اقره المؤتمر القومي الثالث «ان الديمقراطية تتحقق لان اعضاء قيادات الفرق ينتخبون من قبل اعضاء الفرقة انفسهم ، وهم قاعدة الحزب ، انتخابا مباشرا ومنهم تنبثق بالانتخابات المؤتمرات ثم القيادات

العليا القطرية والقومية المسؤولة مسؤولية ثقة امام مؤتمراتها».

٢ ـ **العضوية** : ويندرج تحتها شروط العضوية وأهمها القبول بدستور الحزب وسياسته ومنهاجه الداخلي ، والا يكون منتميا لحزب آخر ، ثم شروط الانتساب كأن يرشحه عضوان عاملان ثم يرفع طلب الانتساب الى القيادات المختصة التي تقرر رفضه او قبوله ، واداء قسم الانتماء للحزب ، ثم تسجيله كرفيق متدرب في حلقة حزبية لمدة سنة واحدة ، حيث لا يمنح فيها حق الترشيح والانتخاب ، وقد تمدد سنة اخرى اذا رات القيادة ذلك ، اذ يمنح صفة العضو العامل او يطوى قيده .. اما اذا طلب حزب ما الاندماج فعلى القيادة القومية ان تعرض الامر مع توصياتها على المؤتمر القومي للبت به .. وهنالك مواد تتعلق بكيفية انتقال الاعضاء وحقوقهم وواجباتهم .. على ان حق النقد لا يجوز ان يحول دون قيام العضو بتنفيذ جميع قرارات وأوامر الهيئات القيادية المختصة بكل امانة ودقة .

٣ ـ **تنظيمات الحزب الاساسية** : وتبدأ من الفرقة التي تشكل من ٣ ـ ٧ حلقات مع العلم ان الحلقة هي اصغر وحدة ادارية وتتألف من ٣ ـ ٧ اعضاء وتعيّن قيادة الفرقة أمناء سر حلقاتها .. اما الشعبة فتتألف من فرقتين فأكثر . والفروع من شعبتين فأكثر ، ثم يليه القطر الذي يتكون من عدة فروع ولا يكتسب صفته الشرعية الا بعد موافقة القيادة القومية . وأخيرا الحزب الذي يشمل جميع التنظيمات الحزبية في الوطن العربي وخارجه . ومن الجدير بالملاحظة ان اعضاء الفرقة ينتخبون قيادتها ، وان مؤتمرات الشعب والفروع والقطرية والقومية تنتخب قياداتها ، وان اعضاء هذه القيادات ينتخبون أمناء السر .

٤ ـ **الصلاحيات والواجبات** : نصت على ان الفرقة هي حلقة الاتصال بين الحزب والجماهير وتنشط في كسب اعضاء جدد وتنفذ التعليمات الحزبية .. في حين ان المؤتمرات

بمستوياتها المختلفة تناقش تقارير قياداتها ، وتنتخب القيادات التي تعمل على تنفيذ المقررات والتوصيات وتعميق الوعي والانضباط ودراسة القضايا المحلية ووضع الحلول اللازمة لها ووضع التقارير حول مختلف الشؤون التي تهم الحزب ، في حين أعطيت القيادة القطرية صلاحية فصل الاعضاء وقبول استقالاتهم ، وقبول الاعضاء ذوي الصفة السياسية وتسمية مرشحي الحزب للمجالس النيابية للقطر ، وحق حل القيادات التي هي ادنى منها .. اما القيادة القومية فاعتبرت اعلى سلطة قيادية في الحزب ، تشرف على كافة شؤونه ، بالاضافة الى اعطائها حق قبول او رفض اندماج اي جماعة او هيئة في الحزب ، وقبول او رفض التعاون في اي قطر مع اي حزب او جماعة او هيئة اخرى ، وكذلك قبول او رفض اشتراك الحزب في الحكم او الانتخابات النيابية في اي قطر ، وتجميد وفصل اي عضو من اعضاء القيادات القطرية ، مع تجميد واقتراح فصل اي عضو من اعضائها بثلثي الاصوات ، على ان يبت به المؤتمر القومي .. ومن صلاحياتها ايضا النطق باسم الحزب وتقرير امر الاشتراك في المنظمات والمؤتمرات العربية والدولية وموقف الحزب من كافة المشاريع والحلول والقضايا والعلاقات ذات الطابع القومي والدولي ، واقرار نشر الكراسات والكتب الحزبية .

٥ ـ **وعن الاجتماعات والقرارات** : تحدد عادة الدورات العادية لانعقاد المؤتمرات الحزبية وغالبا ما كانت تحدد كل عام للمؤتمر القطري ، ثم مرة في كل عامين للمؤتمر القومي ، بينما قد تعقد دورات استثنائية لبحث أمور معينة بناء على قرار بدعوتها من قبل القيادات المختصة.. ويرأس أمناء سر القيادات جلسات المؤتمرات والاجتماعات ، وتكون الجلسات قانونية بأغلبية الحاضرين المطلقة ، وتتخذ القرارات بأكثرية الحاضرين

المطلقة ايضا ولرئيس الجلسة صوت مرجح .. وعلى القيادات ان تعقد اجتماعات دورية اسبوعية ، وكلما دعت الحاجة ، اما القيادات القومية فتعقد دورات عادية كل شهرين وجلسات استثنائية كلما دعاها الامين العام .. وتنظم القيادات القومية والقطرية مكاتبها السياسية ، وتتم الاتصالات وتلقى التعليمات وفق التسلسل الحزبي من الاعلى الى الادنى او بالعكس بواسطة أمناء السر .

٦ ـ **وعن التنظيم المالي** : ورد ان الحزب يعتمد على رسوم الانتساب والاشتراكات والتبرعات وموارد المطبوعات والمشاريع الحزبية ، ويعتبر كل قطر وحدة مالية ، ويتصرف بدخله بعد ان يحسم منه حصة القيادة القومية ، ويحق للشعبة ان تنفق عشرة بالمائة من دون استئذان كما يحق للفرع انفاق ٢٥ بالمئة وتنظم سجلات للمالية، وترفع تقارير شهرية عن الدخل المالي.. ويشكل مكتب مالي في مستوى القطر ، وتوقع اوامر الصرف من امين القيادة المختصة وأمينها المالي ، وتنتخب المؤتمرات القطرية والقومية مكاتب للتدقيق المالي ..

٧ ـ **وعن العقوبات الحزبية** : ورد انها تستهدف تقويم سلوك الاعضاء واصلاح اخطائهم وتنمية الروح الانضباطية فيهم، ولذا تحث الهيئات الحزبية على عدم التشهير بالعضو المعاقب، وأن تخصه بالعناية والتربية الحزبية ، وهي تبدأ بالتنبيه ، فالانذار فالحرمان من المسؤوليات الحزبية والتجريد منها ، فتجميد النشاط ثم الفصل، وقد شرحت الحالات التي تستحق فيها فرض هذه العقوبات . ولا تتخذ عقوبة الا بعد دعوة العضو لاستماع دفوعه امام القيادة المختصة ، ويسقط حقه بالدفاع اذا تمنع عن الحضور دون عذر مشروع . وهنالك محكمة حزبية في كل قطر مؤلفة من ثلاثة اعضاء ينتخبهم المؤتمر ، وكذلك محكمة قومية من ثلاثة اعضاء ، وتنظر هذه في الاستئنافات التي يقدمها

الاعضاء المعاقبون ، وتعتبر قراراتها نهائية . ويجوز للقيادة القطرية في حالة الطوارىء ان تستغني عن تطبيق النظام الداخلي وأي جزء منه بقرار معلل ترفعه الى القيادة القومية للبت به خلال شهر ..

٨ ـ **في المكاتب واختصاصاتها** : ينص النظام الداخلي على تشكيل المكاتب الاساسية في الفروع والاقطار ويترك للقيادة المختصة حرية اختصارها ، وأهمها مكاتب الامانة ، والمالية ، والثقافة والدراسات ، والدعاية والنشر والاستعلامات ، والعمال ، والفلاحين .

● **وعن بعض المفاهيم التنظيمية** : رايت من المفيد ان اشير بإيجاز الى نماذج من الشروح والابحاث التي تناولت قضايا ومفاهيم اساسية في النظام الداخلي ودلت على مستوى متطور من الوعي والنضج والقدرة على فهم واستيعاب المستلزمات الضرورية لاية حركة ثورية كحركة البعث . فعن العضوية مثلا نلاحظ الادراك لأهمية التوعية والتثقيف في بناء الجهاز العقيدي الفعال الذي يعمل ويناضل بدوافع ذاتية قبل ان تكون زجرية او أمرية . وبهذا الصدد نطالع ما يلي «ان الانضباط الحزبي لا يمكن ان يكون في حزبنا الديمقراطي الانقلابي آليا بل عن وعي وفهم . وهذا يعني ان الوعي العقائدي وفهم مبادىء الحزب ليس امرين نظريين بل هما الاساس العملي لتكوين الحزب كمنظمة ، ولغرس روح المسؤولية والمبادرة عند الاعضاء ولنمو الروح القيادية عندهم .. ولا بد من نظرية منبثقة عن مبادىء الحزب وعن منطقه الثوري لتكون النور الذي يضيء لحزبنا طريق النضال . كما لا بد من التجربة والتطبيق ليكون محكا لصحة النظريات ويدخلا عليها التعديل الذي يفرضه واقع النضال ... وعلى العضو ان يندمج في حياة الحزب الداخلية اندماجا كليا بحيث يحيا في الحزب ويحيا الحزب فيه وبحيث

يصبح مركز اشعاع للحزب في وسطه الشعبي» (٣٦) . وفي مكان آخر يصف العضوية «بأنها تعني واجبات مفروضة على العضو، اذا قام بها نتج عن القيام بها ممارسة حقوق للعضو ويكتسبها، فينتج عن اكتسابها مشاركة كاملة في توجيه سياسة الحزب.. والعضو عندما يندمج في الحزب يشعر بأن انقلابا قد حدث في نفسه وانه اصبح يفكر اليوم بعكس ما كان يفكر بالامس ، وان اليأس الذي كان في نفسه قد تحول الى امل وتفاؤل ، وان ما كان يراه مستحيلا قد اصبح ممكنا ، وما كان يؤلمه قد اصبح يتلذذ به اليوم» (٣٧) . وفي نشرة لعام ١٩٥٥ ورد **«انه لا عضوية حزبية بدون مسؤولية وان قيمة الفرد لا تقاس الا بمدى قيامه بمسؤوليته، ومدى ما يقدم للحزب من خدمات وتضحيات»**(٣٨). وفي نشرة داخلية لعام ١٩٥٣ عن اهمية الفرقة ومهامها وطبيعة عملها نلاحظ الوعي الفكري والنظري ممتزجا بعمق التجربة ونضج الممارسة . كما نلاحظ في نشرة اخرى لعام ١٩٥٥ عن مفهوم الدعاية وأسلوبها ، تطورا كبيرا في وسائل نشاط الحزب وتحركه بين الجماهير ، حيث وردت تفاصيل وجزئيات مستمدة من الحاجة والمعاناة الحية ومن الممارسة العملية المنبعثة عن صدق العاطفة وحرارة الايمان وذلك بشكل لم يكن معروفا من قبل (٣٩) .

---

٣٦ ـ نشرة عن القطر السوري لعام ١٩٥٣ . ابحاث في التنظيم الحزبي ص ٤٥ ـ ٤٦ .

٣٧ ـ المصدر السابق ، ص ١٢٧ . نشرة عام ١٩٥٤ دمشق .

٣٨ ـ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ٤٩ . من نشرة لقيادة قطر لبنان .

٣٩ ـ راجع ابحاث في التنظيم الحزبي ، ص ١١٦ ـ ١١٨ وكذلك ص ١٠٥ ـ ١١٥ .

وحول معنى دفع الاشتراكات المالية بانتظام ورد «ان الغاية الاساسية من مواظبة العضو على دفع اشتراكه الشهري ليست المساهمة في نفقات الحزب فحسب ، بل تمتين الارتباط الروحي بين الحزب والعضو . وهذا لا يتم الا اذا بلغت قيمة الكمية التي يسددها العضو مستوى الشعور بالتضحيةوالحرمان والضيق . والا اذا كان دفع هذه الكمية يتم بانتظام في رأس كل شهر» (٤٠) .

وعن ممارسة الانتخاب والنقد الذاتي نطالع ما يلي « ان الانتخاب ليس مجرد حق للعضو ، بل هو تجربة وتدريب ومسؤولية يجب ان نخلق عنده حسا واقعيا وارتباطا حيا بين النظرية وبين ما يمارسه في الواقع ، وبأن ندربه في كل خلية (حلقة) وكل فرقة على ممارسة النقد والنقد الذاتي» (٤١) .

وأخيرا وليس آخرا يمكننا القول : بالرغم من كثرة النشرات الحزبية التي عالجت بدقة وعمق واقع التنظيم وأسسه ومقوماته الفكرية والعملية ، فان المردود لم يكن بالمستوى المطلوب ، وذلك لان عوامل الفوضى والتسيب كانت مستشرية بين القيادات والقواعد في اكثر الاحيان ، ولم تستطع القيادات العليا تحقيق الانسجام اللازم بين اعضائها الى الحد الذي يدفعهم لتوحيد جهودهم وتركيزها على معالجة هذا الجانب التنظيمي الهام وفق المنطلقات والاسس والمفاهيم المذكورة آنفا .

- ٤ -
الدمج بين البعث العربي والعربي الاشتراكي

في البيان الصادر عن مقررات المؤتمر التأسيسي الاول عام

---

٤٠ ـ المصدر السابق ، ص ٤٨ .

٤١ ـ المصدر السابق ، ص ٦٠ .

١٩٤٧ ورد «ان الحزب يجيز التعاون مع الاحزاب العربية التقدمية التي تناضل ضد الاستعمار الخارجي والاستثمار الداخلي ، في سبيل تنظيم جبهة عربية نضالية شعبية قوية» ، كما ورد ايضا «انه يرفض الاتحاد مع اي حزب من الاحزاب القائمة في سورية ، لانها كلها تكتلات وقتية ، فاقدة للروح الحزبية الصحيحة .. وتتصف بسطحية الفكرة واعتدالها وبالطابع الاقليمي في عملها ، ولا تتجاوب مع فكرة حزب البعث العربي القومية الاشتراكية الانقلابية ولا مع اساليبه في النضال» (٤٢) .

وهنا لا بد ان نتساءل **كيف تخلى الحزب عن هذه النظرة ولماذا قبل بالدمج مع العربي الاشتراكي في ١٣ تشرين الثاني لعام ١٩٥٢ ؟**. قبل عشرة أعوام من هذا التاريخ كانت مجموعة من المثقفين في حماه قد انشقت عن الكتلة الوطنية وأنشأت تنظيما باسم «حزب الشباب» وكان من بينهم الاستاذ اكرم الحوراني الذي برز بعد قيادته مجموعة من الشباب لدعم ثورة مايس (ايار) ١٩٤١ في العراق ، ثم بعد نجاحه في الانتخابات النيابية بعد عامين ، واصداره جريدة وطنية باسم «اليقظة» .

وفي مطلع الخمسينات عقد حزب الشباب مؤتمرا بدمشق وأصبح اسمه الجديد «الحزب العربي الاشتراكي» كما أصدر بعد ذلك جريدته «الاشتراكي» . وأقام مهرجانا شعبيا كبيرا في حلب ، اوحى بتنامي وزنه السياسي والشعبي .. وفي هذه الفترة بدأت تتكون صلات ايجابية بين بعض الاعضاء من الحزبين وراح بعضهم يطرح فكرة الدمج بينهما . ويمكننا ان

---

٤٢ ـ صحيفة البعث العدد ١٥٠ في ١٣ نيسان ١٩٤٧ . نضال البعث، الجزء الرابع ، ط٣ ، ص ٣٦ .

نوجز العوامل والمبررات التي أدت لتحقيق الفكرة فيما يلي :

١ ـ ان الحزبين يتكاملان اي ان احدهما يكمل الآخر . فالبعث العربي يملك الدليل النظري الواضح، والنوعية العقائدية المناضلة واكثريتها من الشباب المثقف الواعي ، في حين ان العربي الاشتراكي يمتلك قاعدة جماهيرية فلاحية عريضة ، وقوة سياسية جديدةوبعض النفوذ بين العسكريين .

٢ ـ ان توجه اديب الشيشكلي لاقامة حكم فردي برئاسته واصطدامه بالحزبين ، بل محاربتهما بلا هوادة ، عزز بينهما الشعور بالحاجة الى الدمج ، لان المصيبة جامعة كما يقال ..

٣ ـ ان الدستور الذي وضعه العربي الاشتراكي في بداية الخمسينات ، تشابه في مضمونه وأهدافه القومية والاشتراكية مع دستور حزب البعث العربي ، وعليه فلا مبرر لوجود حزبين لتحقيق اهداف واحدة . وبهذا المعنى ورد في تقرير المؤتمر القطري الانتقالي لعام ١٩٥٧ «ان اتحاد الحزبين تعبير عن حقيقة مبدئية في البلاد العربية وهي : ليس هناك الا اشتراكية عربية واحدة ، تستند الى قاعدة نضالية واحدة» . ومما شجع على ذلك ايضا ، ان نجاح العربي الاشتراكي في استقطاب قاعدة واسعة من الفلاحين وضرب الاقطاعيين ، قد عبر عن تجربة عملية حية ، اكدت امكانية التفاف الجماهير الكادحة حول حركة عربية تقدمية اشتراكية ، وذلك بغض النظر عن اقتصار هذه التجربة علىمحافظة حماه ، وعن كونها اختلطت بأغراض انتخابية واستهدفت الكمية لا النوعية ، واعتمدت على الاثارة العاطفية اكثر من اعتمادها على التوعية الفكرية والربط العقيدي .

٤ ـ ان مواقف الاستاذ الحوراني في البرلمان منذ عام ١٩٤٣ كانت متجاوبة الى حد بعيد ، مع مواقف حزب البعث في معظم القضايا العربية والدولية ، وبخاصة فيما يتعلق بمعارضة الفئة الحاكمة في القطر السوري ، رغم ما شاب مواقفه من مناورات

تاكتيكية كانت تدفعه احيانا الى التحالف مع فئات في المجلس النيابي لا تقل سوءا ورجعية عن مجموعة حزب الشعب التي كان يعارضها في معظم الاحيان ..

ومهما يكن من امر فقد انتهت مفاوضات الدمج الى الاتفاق على النقاط التالية :

١ ـ اعتماد دستور حزب البعث العربي ونظامه الداخلي من دون اضافة او تعديل .

٢ ـ انضمام الاستاذ اكرم الحوراني الى اللجنة التنفيذية لحزب البعث العربي .

٣ ـ تشكيل لجنة لدراسة من يمكن تنظيمه في الحزب من الجماهير التي كانت مرتبطة بالعربي الاشتراكي[1].

٤ ـ اضافة لفظ الاشتراكي على اسم الحزب بحيث اصبح «البعث العربي الاشتراكي» . ومن الجدير بالذكر ان عملية الدمج تمت بموافقة القيادات العليا عليها ، ولم يدع مؤتمر حزبي لبحثها لقسوة الظروف المحيطة بالحزبين ومقاومة النظام لهما من جهة ، ولمعرفة القيادات بأن اكثرية القاعدة الحزبية مع هذا الاتجاه من جهة ثانية . **هذا وقد كان لعدد من الحزبيين بعض التحفظات والمخاوف الناجمة عن الشعور بوجود اختلاف في أسلوب الحزبين وطبيعة عملهما ، وعدم تحقيق الانسجام المطلوب بين قيادتيهما** . ولئن جاءت النتائج بعد عدة سنوات معززة الى حد كبير لهذه المخاوف ، فانه من غير الموضوعية ولا من الانصاف في شيء ـ كما يفعل بعضهم ـ تحميل ما اصاب الحزب من ضعف وشلل وانتكاس ، الى عملية الدمج ، او الصاق كل العيوب والنواقص بجناح من دون الآخر . **ولئن كان مطلوبا ان نبدي رأيا ونقدم تقييما لآثار الدمج ونتائجه ، فيمكننا ايجازها بالقول :**

ان شعبية الحزب ازدادت ونمت قوته السياسية وقدرته على مواجهة النظام الديكتاتوري في القطر السوري ، والذي

١ ـ كنت عضواً عن الحزب في لجنة المفاوضة من اجل الدمج واذكر امر الصيغة وضعت بشكل عام ومرت وبحيث تشمل جميع الاعضاء من الحزبين

أسهم بدوره في خلق اندماج فعلي بين قواعد الحزبين المناضلة الصلبة ، من خلال تصديها الشجاع لهذا النظام . ولعل نمو قوته الشعبية والسياسية وتصاعد تأثيره بين العسكريين قد مكنته من الصمود في وجه ذلك النظام الديكتاتوري والاسهام الفعال في الاطاحة به ، ومن دفع الامور في ظل حكومة التجمع القومي ، نحو الحياد وعدم الانحياز وباتجاه الاتحاد مع مصر . غير انه لا بد من القول في الوقت نفسه ، ان الاهتمام بالانتخابات النيابية وباللعبة البرلمانية وبالمناورات السياسية قد ازداد ، وان التطلع والعمل من اجل الوصول السريع الى الحكم قد تضاعفا . وكذلك فان الاهتمام بكسب العسكريين والانغماس الزائد بالقضايا المحلية والقطرية قد اصبحا اكثر قوة وبروزا ، وذلك في الوقت الذي تضاءل فيه الاهتمام ببناء التنظيم وبالتثقيف الحزبي ، وضعف الانضباط ودب التراخي والاسترخاء في قواعد الحزب بعد زوال النظام الديكتاتوري . **ومع ان هذه الظواهر المذكورة قد تكون امرا طبيعيا وملازما لنمو الحزب سياسيا وشعبيا الا انه مما لا شك فيه ان لعملية الدمج دورا في تنميتها واستفحالها** . ولو رجعنا الى التقرير الذي قدمته اللجنة التحضيرية لمجلس الحزب الانتقالي في القطر السوري في تموز ١٩٥٧ لوجدناه يعالج ظواهر الفوضى والاضطراب في التنظيم ، ويحدد مواطن الضعف ومسؤولية القواعد والقيادات ، ويمارس النقد لمنطقين او تيارين موروثين من واقع الحزب قبل الدمج ، ومما ورد حول هذا الشأن «لتكوين وحدة الحزب المبدئية والنضالية يجب ان نعالج الى جانب الانقسامات والانحرافات في داخل الحزب لفصلها او اقصائها ، مشكلة نوعيتين من الاعضاء نشأتا بسبب ضعف تكوين الحزب .. فهناك قسم متزمت حرفي كان على هذا النحو نتيجة نقص في تجربته وضعفه وجموده واخذه بقضية

الحزب وبفكرته اخذا مجردا عن واقع العمل الشعبي .. ولقد استطاعت هذه النوعية ان تسير في البدء مع الحزب وأن تتلاءم معه ، وأن تنتج عندما كان مجال العمل الحزبي ضيقا ، وعندما كانت قاعدة الحزب مؤلفة من مجموعات من الطلاب والموظفين والشباب ، ولكن اتساع عمل الحزب الشعبي عزلها وابقاها في جو من الحيرة لا تعرف ما تعمل فتعمد الى التشكيك بكل الخطوات الشعبية التي حققها سير الحزب الصاعد . وهناك قسم آخر ونوعية اخرى تتبع اسلوبا معاكسا تقريبا . فلها صلتها بالجماهير تندفع معها وتعيش بينها ، ولكن تنقصها التربية الحزبية العقائدية ، تتبع الاسلوب الهين الرائج لكسب الناس وارضائهم واسلوب هذه النوعية لا يفترق عن اسلوب السياسيين القدامى ، الا ان له عنوانا عقائديا وثوريا وانه ضمن مجموع حزب يعمل لمصلحة الشعب» (٤٣) .

- ٥ -

حل الحزب في دولة الوحدة

ان الذين يقومون قضية حل الحزب من خلال نتائجها السلبية التي كشفتها الاحداث اللاحقة فقط ، ومن دون التعرف على ظروف الحل وعوامله ومبرراته ، يفتقرون الى الدقة والموضوعية ، كأولئك الذين يستهينون بنتائجه السلبية ويعتبرونه موقفا طبيعيا بحكم الظروف والعوامل التي املته وقادت اليه .. فالاولون ينظرون الى الموقف على انه انحراف او خطأ مبدئي واستراتيجي لا يغتفر . في حين يرى فيه الآخرون

---

٤٣ ـ ابحاث في التنظيم الحزبي ، ص ٩١ .

امرا عاديا يدخل في باب الاجتهاد الخاطىء طالما انه جاء وليد الظروف المحيطة به . والحق ان النظرة الموضوعية لهذه القضية تكمن في توضيح نتائجها السلبية بكامل ابعادها من دون تهويل ولا تهوين . وهي اذ تدين الحل وتحمّل القيادات مسؤوليتها الكبيرة فيه ، تأخذ بعين الاعتبار ظروفه ومبرراته فتصبح للادانة اسباب تخفيفية . وبناء على ما تقدم نعرض ظروف الحل ومبرراته وكيفية وقوعه ، ثم آثاره ونتائجه ، وتقويم المؤتمرات القومية له .

اما بالنسبة للظروفه فقد كانت

١ ـ على الصعيد السياسي صعبة ودقيقة حيث اشتد التآمر الامبريالي والرجعي على النظام التقدمي في القطر السوري، والذي كان يدعمه الحزب من خلال مشاركته في حكومة التجمع القومي ، ولذلك كان التوجه نحو الاتحاد مع مصر قويا وشديدا ..

٢ ـ وكانت على الصعيد الحزبي ، حافلة بالفوضى والاضطراب والتسيب ، ولم تستطع القيادة العليا ان تسيطر على التنظيم وتعيد بناءه بالشكل الذي يحقق مطاليب القواعد الحزبية وطموحها ، فضلا عما كان بين اعضاء تلك القيادة من حساسية وخلافات في الرأي حول كثير من القضايا السياسية والحزبية .

٣ ـ تصاعد التقدير لمواقف عبد الناصر بعد تأميم القناة وانفتاحه على القومية العربية، وعلى شعارات الحزب وتنامي الاعجاب بجرأته وشعبيته الى الحد الذي بولغ بامتداحه وبويع ضمنا بالقيادة .

ومن القضايا الاساسية التي تجدر الاشارة اليها ايضا عند الحديث عن حل الحزب ، ان القناعات الذاتية التي تكونت لدى القيادة استندت الى ان الوحدة ستفجر ما لا يحصى من الوعي والنضال والتقدم في الوطن العربي ،

بحيث تتضاءل امام ذلك جهود الاحزاب ووجودها . ولهذا لا يجوز اضاعة هذه الفرصة عن طريق التمسك ببقاء الاحزاب ، اي انها :

٤ ــ انطلقت من اعتبار ان وحدة سورية ومصر خطوة ثورية تاريخية لا يجب ان تفوت مهما بلغت التضحيات .

٥ ــ ستتحقق في ظلها الحرية السياسية وما يطمح اليه الحزب في اهدافه ، وانها قفزة نوعية للنضال العربي .

٦ ــ القناعة التامة بأن رجال الثورة سائرون على نفس الطريق التي رسمها الحزب سلوكا وهدفا ؛ فضلا عن امكانية التأثير بهم وتوجيههم من الحزب والجماهير .

٧ ــ ان الاتحاد القومي سيكون مجرد اطار لافكار الحزب ونشاطات اعضائه بملء الحرية التي كانوا يمارسونها قبل الوحدة .

ويظهر ذلك من خلال نشرة داخلية للحزب في لبنان في اوائل شباط من عام ١٩٥٨ «حول الجمهورية العربية المتحدة وماذا يعني حل الاحزاب في سورية» ، وقد وردت فيها اسباب قيام الوحدة ، وعكست الثقة الكبيرة بقيادة عبد الناصر ، ولخصت مبررات حل الحزب بضرورة انجاح الوحدة كخطوة تحريرية ثورية ، ولتفويت الفرصة على استغلال الاحزاب الاخرى اذا ما تمسكنا بالحزبية ، فتعمل على استبعاد الوحدة، وكذلك لمواجهة خطر اسرائيل المتفاقم واحباط الاحلاف والمؤامرات الامبريالية . **ولكن النشرة ذهبت بعيدا في طريق التفاؤل الذاتي وتبرير حل الاحزاب بقولها** «ونحن مع عبد الناصر اكثر الناس علما بقوة استغلال الاستعمار والرجعية لمعنى مبدأ الحياة الحزبية السياسية ، وكذلك بعدم بلوغ الرأي العام عقلانيا وإراديا المستوى المطلوب من الوعي ولاحتضان مبدأ الحياة الحزبية ، وصيانته من ايدي المستغِلين والمتآمرين» . ومضت النشرة الى القول : «والاتحاد القومي الذي سيكون

الهيئة السياسية الوحيدة المعترف بشرعيتها ، سيكون بالنسبة الينا بمثابة الصيغة الجديدة لنشاطنا الحزبي الفكري والسياسي في الجمهورية الجديدة وبيدنا زمامها وتوجيهها وامكانياتها الفكرية والمعنوية» (٤٤) . ثم تتابع النشرة الحديث عن المستقبل النضالي بنظرة تفاؤلية مشرقة ، وترفض باسم أخلاقية الحزب وتجنب الازدواجية ، فكرة ابقاء نواة حزبية في داخل الاتحاد القومي . هذا ولعل اوضح ما يمكن طرحه عن مبررات حل الحزب نجده في الفقرات التالية التي وردت في كلمة الامين العام الاستاذ عفلق بمناسبة الاعلان عن الحل ، حيث قال :

« .. عندما تم الاتفاق على توحيد مصر وسورية ، لم يكن ثمة مشكلة بالنسبة الينا ، عندما اقتضت ضرورة الانسجام والتماثل في الوضع السياسي في الدولة الجديدة ، بأن لا يكون في سورية احزاب متعددة ، بل يسري عليها نظام الاتحاد القومي . لم يكن ثمة مشكلة لسببين اساسيين :

الاول : اننا بكل بساطة نعتبر الوحدة اكبر كسب يمكن لأمتنا ان تحققه في هذا الظرف ، لان هذه الوحدة فيها من الطاقة الثورية ما سيفجر في كل مكان على ارض هذه الجمهورية الجديدة وفي الارض العربية الواسعة كلها سيفجر طاقات لا تحسب من الوعي ومن النضال ، ومن التقدم . **فإذن اي قيمة تبقى لوجود احزاب امام هذه الخطوة وما ينتظر منها في المستقبل** ، لانها بحد ذاتها الضمانة الكبرى ليس لوجود وبقاء الحرية السياسية فحسب ، بل .. لانها ستنقل العرب الى مستوى جديد ارفع من كل ما عرفوه حتى الان .

الثاني : ان حل الحزب لم يكن شرطا طرح ، ولا تضحية، قبلنا بها في سبيل هذا الكسب العظيم انما هو حل من جهة

---

٤٤ ــ نضال البعث ، الجزء الثامن ط٣ ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

وتكوين من جهة اخرى .

قلت لكم بأن رجال الثورة في مصر مقتنعون بعد تجارب وتردد وبعد دراسة وصلوا الى هذا الاقتناع ، بأنه لا بد من العمل على نفس الطريق ، طريق الوعي ، طريق العقيدة ، طريق النضال الشعبي المنظم . والاتحاد القومي هو مجال تطبيق هذه القناعة وهذه الفكرة . وما علينا الا ان نحسن ملء هذا الاطار الجديد بنشاط ووعي وحماس ، فالحزب هو حركة تاريخية للوطن العربي كله ، ولا يمكن ان يحتجب او يزول او ينسحب ما لم يحقق اهدافه ورسالته . والحزب موجود في الوطن العربي ، اما في الوطن الصغير ، في الجمهورية العربية المتحدة، فانه باق كعقيدة ، لان جمهورية كهذه ولدت من نضال عقيدتنا ، من النضال الشعبي ، من نضال التحرر ، من نضال الاشتراكية، لا يمكن ان يكون لها سياسة او يكون لها اتجاه مختلف عن العوامل التي أوجدتها او ساهمت في تكوينها» ، ثم قال :

«هذا ما اردت ان اقوله لكم ، وأعتقد وأشعر دون ان اسأل احدا منكم ، بأن هذه هي المرة الاولى التي ربما تشعرون فيها بالتجاوب التام مع الاحداث ، ومع قيادة الحزب ومع الحزب ، وأشعر بأنكم مطمئنون الى ان حل الحزب ليس شيئا ننظر اليه، مع فرحتنا بالوحدة التي تحققت ، بشيء من الاسف ..» (٤٥) .

اما الطريقة التي تم فيها حل الحزب فتتلخص في ان قيادة القطر السوري ، دعت في اوائل شباط من عام ١٩٥٨ لعقد اجتماع للمجلس القطري ، فحضره ما يقرب من سبعين عضو وتخلف عن الحضور الاستاذ اكرم الحوراني ، ثم القى الاستاذ عفلق الكلمة التي اشرنا اليها قبل قليل ، ولم يعترض على الحل

---

٤٥ ـ من نشرة لقيادة قطر لبنان عن تاريخ الحزب في الوطن العربي حتى عام ١٩٦٣ .

سوى عضو واحد (٤٦) ، في حين كان الباقون متجاوبين ، او قابلين به ، لثقتهم بقيادتهم ، واطمئنانهم لقناعتها ، وللمبررات التي قدمتها لهم من خلال اتصالاتها المستمرة مع عبد الناصر . **هذا بالاضافة الى ان الاجواء النفسية والذهنية كانت مهيأة لمثل هذه الخطوة بفعل التثقيف الذي استمر اكثر من عام باتجاه التضحية بكل شيء في سبيل الوحدة . ومن ذلك على سبيل** المثال ، ما ورد في بيان للحزب حول اتحاد مصر وسورية والذي القي في مجلس النواب السوري في تموز عام ١٩٥٦ وهو قوله «اذا كان ثمة موضوع يمكن ويجب ان يعلو على الخلافات الحزبية والاجتهادات الضيقة فهو موضوع الوحدة . إذ ما نفع اجتهادات الاحزاب وعملها ، بل ما الفائدة من وجودها اذا بقي وطننا مقطعا الي أجزاء لا يستطيع اي منها – مهما يكن واسعا وقويا – ان ينهض وحده وبشكل عميق اصيل بعبء المبادىء التي تنادي بها الاحزاب» (٤٧) . ومن الجدير بالتنويه في هذه المناسبة ان قيادة الحزب في القطر السوري ، وأعضاء القيادة القومية فيها الذين كانوا على رأسها ، لم يدعوا الى انعقاد مؤتمر قومي من اجل هذا الموضوع المهم ، الامر الذي أثار الاستغراب والتساؤل من معظم المنظمات الحزبية في خارج القطر السوري، بل وحمل بعضها على تقديم الاعتراض والنقد لتلك الخطوة عند وقوعها ، وقبل ان تتكشف نتائجها السلبية . ففي السابع من شباط ارسلت قيادة قطر العراق الى الامين العام رسالة جاء فيها «وفي غمرة هذا الابتهاج العظيم بولادة (الجمهورية العربية

---

٤٦ – هو الدكتور جودة الركابي ، من دمشق .

٤٧ – نضال البعث ، الجزء الثالث ط٣ ، ص ١٧٧ ، وكذلك معركة المصير الواحد ، ص ٨٢ .

المتحدة) لم ينس اعضاء الحزب في العراق قضية اخرى خطيرة هي قضية الحزب في سورية .. ونود ان نلفت نظركم الى ان اي قرار يتخذ بهذا الشأن (حل الحزب) يجب ان يكون على مستواه القومي ، ولا يجوز بأي حال لأي قطر الانفراد بقرار يهم الحزب في جميع أقطاره .. اما رأي القيادة القطرية في العراق فيتلخص بوجوب استمرار الحزب في المحافظة على كيانه وتنظيماته ، **والاستمرار على العمل والنشاط وان اقتضى الامر ان يكون ذلك بشكل سري . وحل الحزب وذوبانه في تكتلات اخرى يشكل خطورة كبيرة على مفاهيم الحزب واتجاهاته وعقيدته»** (٤٨) .

ومما يذكر ايضا ان منظمة الحزب في مصر اعترضت على حل الحزب والتسليم لعبد الناصر بقيادة دولة الوحدة وحذرت من طبيعة نظامه الفردي ، كما ان منظمة بريطانيا سجلت اعتراضها على الحل ولم يتح المجال للمنظمات القومية كي تبدي رأيها به ، بل وضعت امام الامر الواقع .

وعندما انعقد المؤتمر القومي الثالث في نهاية آب من عام ١٩٥٩ اصدر بيانا سياسيا جاء فيه : «ان حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ساهم مع قيادة الثورة في مصر في خلق الجمهورية العربية المتحدة .. ما يزال عند مسؤولياته الخطيرة في ترسيخ أسسها والدفاع عنها ، والتعاون الوثيق مع قيادتها في تحقيق اهداف الشعب ورسالته .. وان مؤتمر الحزب القومي الذي انبثقت عنه القيادة الجديدة ، **قد اعلن موافقته على قرار القيادة السابقة بحل الحزب في الجمهورية العربية المتحدة** . وقد اتخذ هذا القرار باعتباره اول مؤتمر يعقد بعد

---

٤٨ ـ نضال البعث ، الجزء الخامس ط٣ ، ص ٢٢٢ .

قرار الحل المذكور» (٤٩) .

والواقع ان موافقة المؤتمر على قرار الحل كانت بدوافع تكتيكية، تستهدف قطع الطريق على محاولات الريماوي استعداء عبد الناصر واجهزته ضد الحزب ، وتحريضها عليه ، في الوقت الذي يحتاج فيه الحزب الى نوع من المهادنة او العلاقة الودية التي تمكنه من الانصراف لاعادة بنائه التنظيمي وتقوية نفسه .

اما المؤتمر القومي الرابع الذي انعقد بعد عام وفي ظروف اخرى لا يحتاج فيها للمسايرة او المداراة ، فقد ادان قرار حل الحزب بقوة ووضوح فقال : «لقد خلق قرار حل الحزب في الجمهورية العربية المتحدة هزة عنيفة في الاوساط الحزبية وفي الرأي العام المؤيد للحزب ، لم تتضح خطورتها الا بعد زوال موجة الحماسة الكبرى التي رافقت حدث الوحدة .. وحل الحزب في القطر الذي لعب الدور الاساسي في النضال الحزبي ، زعزع ايمان عدد من الحزبيين باستمرار الحزب .. وجاء يؤكد مدى ضعف قيادة الحزب السياسية وتردي وضع الحزب العام ، وحدثت تساؤلات خطيرة تدل على امرين : اولا، ان المتسائلين يعتبرون حل الحزب كإمكانية نظرية لا تتناقض مع رسالة الحزب ، وبأن مهمة الحزب بالتالي ، هي مهمة مرحلية.. ثانيا : ان الحزبيين فقدوا ، بعد صدمة نتائج الوحدة ، كثيرا من عنفوانهم الذي يعبر بطريقة سلبية عن الثقة بالنفس ووقعوا في عقدة الاثم والشعور بالعجز .. وتجدر الاشارة في هذا المجال ، الى ان قرار حل الحزب في الاقليم السوري لم يصدر عن مؤتمر قومي للحزب ، ولا عن القيادة القومية بشكل نظامي، ولم يكن لقيادات الحزب خارج سورية رأي جدي بالموضوع ، بل ان هذه القيادات جوبهت بالامر الواقع» . وبعد ان يمضي

---

٤٩ ــ نضال البعث ، الجزء الرابع ط٣ ، ص ٥٦ .

التقرير الذي أقره المؤتمر الى تلخيص الاعتبارات التي استندت اليها قيادة الحزب في حله ، والتي سبق ذكرها فانه ينتهي الى القول : «الخطأ الاول الذي يلفت النظر هو انعدام دور التوجيه القومي لفروع الحزب في جميع الاقطار العربية وحصره في سورية .. والخطأ الآخر الثاني يتعلق بأسلوب التفكير وطريقة العمل .. فالموقف الذي اتخذه الحزب استند الى حد كبير الى ثقته بقائد ثورة مصر والاطمئنان الى شعبيته ووعوده .. اي ان موقف الحزب لم يتقرر في ضوء عوامل موضوعية ، بقدر ما ارتكز على العوامل الشخصية التي تدل على الابتعاد عن الاسلوب العلمي الصحيح الذي يفترض توافره في قيادة حزب اشتراكي ثوري ..

ان هذه النظرة السياسية البسيطة ، مضافة الى روحية الوصاية التي تطبع القيادة الحزبية ، جعلتها تعتقد بأن الوحدة ستمكن الحزب من لعب دوره القيادي الصحيح ومن تثقيف عبد الناصر وجماعته «الجاهلين» ودفعهم في الاتجاه السليم » (٥٠) .

اما بالنسبة الى النتائج التي تولدت عن حل الحزب فيمكن انجازها فيما يلي

١ ـ حدثت ازمة ثقة بين القواعد والقيادات ساعدت على مزيد من البلبلة والاضطراب في جهاز الحزب كله ، وأدت في القطر السوري الى نوع من التشرذم ، اخذ بعد الانفصال طابع الشلل والتكتلات المتعددة المتباينة في نظرتها وتقويمها للقضايا الحزبية والسياسية .

٢ ـ تخلي عدد غير قليل من الحزبيين ، وخاصة في دولة الوحدة عن ممارسة النشاط الحزبي بدوافع اليأس او

---

٥٠ ـ المصدر السابق ، ص ١٠٥ ـ ١١١ .

الشعور بعدم جدوى النضال بعد الحل ..

٣ ـ استمر عدد آخر من الحزبيين بالتعاون مع عبد الناصر وأجهزته ، واشترك في الاتحاد القومي ، بفعل التضليل او التغرير واغراءات النفوذ والمادة ... ثم شكل فريق من هؤلاء مع آخرين ، ما عرف باسم «الاتحاد الاشتراكي» بينما شكل فريق آخر تنظيما عرف باسم «الوحدويين الاشتراكيين» .

٤ ـ تكونت ردود فعل عنيفة لدى بعض الحزبيين ، ضد قيادة الحزب ، وراحوا يحملونها مسؤولية الاخطاء التي وقعت ويطالبون بتبديلها ، او تجاوزها ، بينما توجهت ردود الفعل العنيفة هذه ، عند بعضهم الآخر ، ضد عبد الناصر ونظامه، الى الحد الذي اوقعهم في مهاوي السلوك القطري ، او حملهم على تأييد الانفصال او على الانشقاق عن الحزب[٥١].

٥ ـ أحدث حل الحزب هزة عنيفة بين الاعضاء ، ودفعتهم الى تحليل ما جرى ونقده بجراة وصراحة مع التوكيد على اهمية دور الحزب وضرورة استمراره كحركة ليست مرحلية بل تاريخية ذات رسالة وأهداف ضخمة تجعل الجماهير غايتها وأداتها في تحقيق رسالتها وأهدافها ، وتشدد من

---

٥١ ـ هؤلاء ثلاثة انواع : القطريون وهم الذين رفضوا اعادة بناء الحزب في سورية وفق ما قرره المؤتمر القومي الخامس ، وكانوا قد ايدوا الانفصال من دون الاشتراك معه في الحكم ،ومعظمهم من دير الزور واللاذقية . والنوع الثاني يمثله الاستاذ اكرم الحوراني ، ومن معه حيث ايدوا الانفصال واشتركوا مع قادته في الحكم وشنوا حملة عنيفة على عبد الناصر . اما النوع الثالث فتمثله مجموعة عبد الوهاب الشميطلي التي انشقت عن الحزب بعد المؤتمر القومي الخامس لرفضها شعار تجديد الوحدة مع مصر حتى ولو كانت وفق أسس وضمانات جدية وجديدة .

جديد على ممارسة القيادة الجماعية واعتبار «الديمقراطية هي تفاعل القيادة والقاعدة ولا وصاية لقيادة على القاعـــدة بحجة اخلاصها وكفاءتها وعدم وعي الجماهير» ..

وبعد فلعل العبارة التالية من مقررات المؤتمر القومي الرابع خير ما نختتم به الحديث عن قضية حل الحزب وهي ..

«ربما كانت هذه الازمة العميقة ضرورة تاريخية لكي يدرك الحزب حقيقة رسالته وحقيقة امكانياته ودوره ، ونوعية اخطائه ونواقصه في ضوء دراسة هادفة وموضوعية تغنيها التجـارب النضالية» ..

مراجع الكتاب

١ ـ الكتب :

ـ دستور حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٧ .
ـ بعض المنطلقات النظرية للحزب ـ أقرها المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣ .
ـ النظام الداخلي لحزب البعث العربي الاشتراكي ـ ايلول ١٩٥٩ .
ـ نضال البعث الجزء الاول ط٢ ك٢ ١٩٧٠ دار الطليعة ـ بيروت . ثم ط٣ ١٩٧٣ .
ـ نضال البعث الجزء الثاني ط١ ١٩٦٣ دار الطليعة ـ ط٣ ١٩٧٣ .
ـ نضال البعث الجزء الثالث ط١ ١٩٦٤ دار الطليعة ـ ط٣ ١٩٧٦ .
ـ نضال البعث الجزء الرابع ط١ ١٩٧١ دار الطليعة .

- نضال البعث الجزء الخامس ط١ ١٩٦٥ دار الطليعة ـ ط٣ ١٩٧٦ .
- نضال البعث الجزء السادس ط١ ١٩٦٥ دار الطليعة ـ ط٣ ١٩٧٦ .
- نضال البعث الجزء السابع ط١ ١٩٦٥ دار الطليعة ـ ط٣ ١٩٧٦ .
- نضال البعث الجزء الثامن ط١ ١٩٧٢ دار الطليعة ـ ط٣ ١٩٧٦ .
- نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ط١ عام ١٩٧١ دار الطليعة .
- في التنظيم والتربية الحزبية ايلول ١٩٧١ . دار الطليعة .
- في سبيل البعث ـ ميشيل عفلق ط٣ دار الطليعة ـ بيروت ت٢ ١٩٦٣ .
- معركة المصير الواحد ـ ميشيل عفلق ـ ط١ دار الآداب ، ١٩٥٨ ـ ط٤ المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- مذكرة شبلي العيسمي عضو القيادة القطرية ـ ايلول ١٩٥٦ .
- ملحق نضال البعث ج٥ مخطوطة ـ المكتب الثقافي ـ بغداد بلا تاريخ .
- حول المؤتمرات القطرية بالعراق مخطوطة ـ المكتب الثقافي بغداد ١٩٧٦ .
- ابحاث في التنظيم الحزبي مخطوطة المكتب الثقافي في لبنان نيسان ١٩٦٠ .
- في الثورة العربية ـ شبلي العيسمي ـ المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ط٤ ١٩٧٣ .
- الوحدة العربية من خلال التجربة ـ شبلي العيسمي ـ المؤسسة العربية بيروت ط٣ ١٩٧٤ .

- حول الوحدة العربية ـ شبلي العيسمي ـ دار الطليعة بيروت ط٣ ١٩٧٤ .
- اشتراكية البعث ومنهاجه الاقتصادي ـ د. بشير داعوق ـ دار الطليعة ط١ ١٩٧٤ بيروت .
- الشعبية في البعث العربي ـ كراس بلا تاريخ .
- الصراع على سورية ـ باتريك سيل ـ ترجمة سمير عبده ـ دار الانوار بيروت ط١ ١٩٦٨ .
- الصراع السوفيتي الامريكي في الشرق الاوسط ج.س. هورويتز ـ دار النفائس ـ بيروت ط١ ١٩٧١ .
- تاريخ العرب المعاصر ـ الدكتور عبد العزيز نوار ـ دار النهضة بيروت ١٩٧٣ .
- التطورات السياسية في العراق ـ جعفر عباس حميدي ـ مطبعة النعمان ١٩٧٦ .

٢ ـ بيانات ونشرات حزبية :

- موقفنا السياسي من الشيوعية ـ ميشيل عفلق وجمال اتاسي ك٢ ١٩٥٦ .
- بيان باسم «الشباب العربي في العراق» بغداد ١٧ـ٢ـ١٩٥٢ .
- بيانات عن فرع الاردن بتاريخ ٢٠ـ٤ـ١٩٥٦ ، ٥ـ٥ـ١٩٥٦ ايلول ١٩٥٦ .
- تقرير من قيادة فرع الاردن ١٩٥٣ .
- نشرات داخلية للحزب في الاردن بتاريخ آب ١٩٥٢ تموز ١٩٥٣ ايلول ١٩٥٣ شباط ١٩٥٤ .
- نشرات داخلية للحزب في العراق بتاريخ اذار ١٩٥٥ ـ تشرين اول ١٩٥٥ عام ١٩٥٩ .

- نشرة بمناسبة تأسيس الحزب ــ نيسان ١٩٥٩ .
- نشرة حول موجز لتاريخ الحزب (العراق) ١٩٥٨ على الارجح .
- نشرة حول تاريخ الحزب (لبنان) ١٩٦٣ .
- نشرة داخلية ــ عن شعبة ادلب ــ سورية منتصف شباط ١٩٥٦ .
- كراس مطبوع على الرونيو (الاشتراكية العربية في الجانب الاقتصادي) سوريا والعراق عام ١٩٥٤ .

٣ ــ لقاءات مع بعثيين قدماء :

- لقاء مشترك في ١٤ــ٤ــ١٩٧٥ ضم الدكتور فخري قدوري، شفيق الكمالي ، جعفر قاسم حمودي ، د. تحسين معله ، طارق عزيز ، محمد محجوب ، علي صميدة .
- لقاء آخر مشترك في ٢٩ــ٣ــ١٩٧٦ ضم :
نعيم حداد ، محمد محجوب ، شفيق الكمالي ، د. سعدون حمادي ، جعفر قاسم حمودي ، د. فخري قدوري ، دحام الالوسي ، شمس الدين كاظم ، د. عبد الرحمن منيف ، فيصل حبيب الخيزران ، محمد سعيد الاسود .
- لقاء مع امين شقير (الاردن) في ٢٤ــ٩ــ١٩٧٥ ، والدكتور منيف الرزاز في ١٣ــ١ــ١٩٧٧ ومع الرفيق طالب صويلح في ١٣ــ١ــ١٩٧٧ . ومع الدكتور عبد الخالق الخضيري (العراق) عام ١٩٧٣ ومع علي صالح السعدي في ١١ــ١٢ــ١٩٧٦ .
ومع الدكتور ع.م (مصر) في ٢٤ــ١١ــ١٩٧٦ ، ومع الرفيقين علي غنام وقاسم سلام .

٤ ـ تقارير خطية من حزبيين قدماء :

ـ تقارير لجعفر قاسم حمودي في ٢ـ٣ـ١٩٧٢ ودحام الالوسي في ١٩٧٢ وعزيز المشهداني في ٦ـ٢ـ١٩٧٢ وقاسم سلاّم في ١٩٧٣ وسعدون حمادي في ٩ـ٢ـ١٩٧٢ وكريم شنتاف في ١٥ـ٢ـ١٩٧٥ وعبد الرحمن الضامن في ١ـ٦ـ١٩٧٥ ومحمد سعيد الاسود في ١٨ـ١ـ١٩٧٦ وعادل البكري في ١٥ـ٢ـ١٩٧٦ .
وجاسم محمد حمزه بلا تاريخ .

ـ هذا بالاضافة الى حوالي خمسين تقريرا من عدد من الرفاق والرفيقات في مدرسة الاعداد الحزبي كلفوا بتقديمها او جمع معلوماتها من قدماء الحزبيين في العراق .

٥ ـ الصحف :

ـ جريدة البعث العدد ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، لعام ١٩٥٤ . العدد ٤٤٢ في ١٤ـ٥ـ١٩٥٠ . العدد ٥٠٤ في ٣٠ـ٦ـ١٩٥١ . العدد ٩٠ في ٨ـ٢ـ١٩٥٨ .

ـ الاشتراكي ، عدد ٨ شباط ١٩٥٦ وعدد اذار ١٩٥٨ .

ـ الجبهة الشعبية البغدادية ، العدد ١٧٠ في ١٧ـ٢ـ١٩٥٢ ، ٤٠٠ في ٢٤ـ١١ـ١٩٥٢ ، ٣٥٤ في ١٦ـ١١ـ١٩٥٢ .

ـ الاخبار ، العدد ٣٦٢٦ في ٢٠ـ١٢ـ١٩٥٢ .

ـ جريدة الاهالي ـ البغدادية ، العدد ٩٢ في ٢٤ـ٩ـ١٩٥٢ ، ١٤١ في ٢١ـ١١ـ١٩٥٢ .

ـ وكالة الانباء الفرنسية ، ٢٨ـ٢ـ١٩٧٦ ، تصريح لرئيس الحزب الشيوعي الفرنسي .

٦ ـ ملاحظة عامة :

هنالك بعض الكتب عن حزب البعث العربي الاشتراكي تم الاطلاع عليها والافادة منها بصورة عامة ومنها :

- حزب البعث ـ لمطاع الصفدي عام ١٩٦٤ : طابعه العام الانفعال والمغالطة والتشويه المتعمد للوقائع من اجل الاساءة للحزب .
- البعث ـ لسامي الجندي عام ١٩٦٩ ، ثم حزب البعث العربي لجلال السيد عام ١٩٧٣ وتبرز فيهما الدعاية للذات مع الغمز بالحزب واسقاط أخطائهما على الآخرين .
- حزب البعث العربي الاشتراكي ـ لكامل ابو جابر (من الاردن) عام ١٩٦٦ ويفتقر الى الدقة والموضوعية في بعض أحكامه ومعلوماته .
- حزب البعث ـ لهورست مار (الماني) عام ١٩٧١ لا يخلو ايضا من عدم الدقة والآراء الموجهة .

كتب للمؤلف

(١) حول الوحدة العربية ـ الطبعة الاولى، مطبعة ابن زيدون، دمشق عام ١٩٥٧، والطبعة الثالثه في دار الطليعة، بيروت عام ١٩٧٤.
(٢)محافظة السويداء (مع آخرين)، طباعة وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٥٩.
(٣) في الثورة العربية ـ الطبعة الاولى، دار الطليعة ١٩٦٨ والطبعة الخامسة في المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت عام ١٩٧٥، وترجم الى الفرنسية.
(٤) الوحدة العربية من خلال التجربة ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الاولى ١٩٧١. والطبعة الثالثة ١٩٧٤م.
(٥) حزب البعث العربي الاشتراكي ـ المرحلة التاسيسية، دار الطليعة الطبعة الاولى حزيران ١٩٧٤. والطبعة الخامسة في نيسان ١٩٨٢، كما ترجم الى كل من الانكليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية.
(٦) بعض القضايا العربية ـ دار الطليعة، الطبعة الاولى في شباط ١٩٧٥. والطبعة الثانية في ايار من عام ١٩٧٥.
(٧) في الوحدة والحرية والاشتراكية ـ دار الطليعة ١٩٧٦، (كتابات منشورة بالعربية ثم ترجمت في كتاب الى كل من الانكليزية والاسبانية والفرنسية والالمانية).
(٨) حول الوحدة والتضامن والتسوية ـ مطبعة دار الحرية بغداد، ١٩٧٦.
(٩) حزب البعث العربية الاشتراكي ـ مرحلة النمو والتوسع، دار الطليعة والطبعة الثانية في ايار ١٩٧٩م.
(١٠) رسالة الامة العربية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الاولى، حزيران عام ١٩٧٨. والطبعة الثانية في نيسان عام ١٩٧٨.

(١١) عروبة الاسلام وعالميته ـ دار الطليعة للطباعة والنشر، طبعة اولى: شباط ١٩٨٥. طبعة ثانية حزيران ١٩٨٥. طبعة ثالثة اب ١٩٨٥.
(١٢) العلمانية والدولة الدينية ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ ط ١ حزيران ١٩٨٦.

محاضرات مطبوعة.

١ ـ دور الاحزاب العقيدية واثرها في تطور الامة، دمشق عام ١٩٥٤.
٢ ـ تاريخ البعث «فكر والنضال» منشورات وزارة التخطيط، بغداد ١٩٧٦.
٣ ـ مقومات الوحدة وآفاق المستقبل بغداد ١٩٧٨
٤ ـ اسلوب الحوار الديمقراطي ـ مطبعة الرشيد، بغداد شباط ١٩٨٤.
٥ ـ العرب مادة الاسلام ـ مطبعة واوفسيت رافد، بغداد تموز ١٩٨٤.
٦ ـ وحدة سورية ومصر: دروس وعبر تموز ١٩٨٥.

المؤلف في سطور

- من مواليد عام ١٩٢٥ في محافظة السويداء - القطر العربي السوري.
- مجاز في التاريخ واهلية التعليم العالي من جامعة دمشق.
- انتسب لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٢ وحضر مؤتمره التاسيسي عام ١٩٤٧، واصبح عضوا في قيادته القطرية عام ١٩٥٦، وامين عام مساعد للحزب منذ ١٩٦٤ وحتى الوقت الحاضر.
- اعتقل ثلاث مرات لأسباب سياسية بين عامي ١٩٥٢ - ١٩٦٦م.
- تسلم عدة وزارات في القطر السوري من ١٩٦٣ - ١٩٦٦ وهي: الاصلاح الزراعي - التربية والتعليم - الثقافة والارشاد القومي، ثم اصبح نائبا لرئيس الدولة.
- هرب من السجن في آب ١٩٦٦ الى لبنان ومنه الى بغداد في ايلول ١٩٦٨.
- حكم غيابيا بالاعدام، وبعد حوالي عام خفض للمؤبد.

الفهرس

٣٠٠٠ / ٥٥١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

هذا الكتاب

بعد ان أرّخ للمرحلة التأسيسية لحزب البعث العربي الاشتراكي بين ١٩٤٠ – ١٩٤٩ ، يتناول مؤلف هذا الكتاب في هذا الجزء الثاني المرحلة التالية من حياة الحزب الممتدة بين ١٩٤٩ – ١٩٥٨ . . أي الفترة التي نما فيها عدد اعضائه واتسع حجمه وزاد وزنه الشعبي وتأثيره السياسي بالشكل الذي مكنّه من ان يلعب دوراً ملموسا في الأحداث السياسية في انحاء كثيرة من الوطن العربي .

وبما ان تاريخ الحزب متداخل بتاريخ النضال العربي عموماً ومتفاعل معه ، فان هذا الكتاب يُعد بمثابة تاريخ لتلك المرحلة المصيرية من حياة الأمة العربية ، بمثل ما هو تاريخ لحياة الحزب ونضاله واكتمال صياغة نظريته .

الغلاف : رياض عبد الكريم



١٩٨٧

السعر دينار